



جامعة الزقازيق
كلية الآداب
قسم التاريخ

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية
بين المغرب والسنغال
منذ ١٩٤٥ . ١٩٨٠
رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

هدى محمود محمد علي نايل

إشراف

الأستاذ الدكتور / رأفت غنيمي الشيخ

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

وعميد كلية الآداب سابقاً

الأستاذ الدكتور / حاتم عبد الرحمن الطحاوي

أستاذ التاريخ المساعد

القاهرة ٢٠٠٩

المحتويات	الموضوع	الصفحة
اختصارات		ج
المقدمة		د-ن
التمهيد:		٣١-١
أوضاع المغرب والسنغال قبيل عام ١٩٤٥		
المبحث الأول:		
أولاً: أوضاع المغرب:		
أ. الأهمية الإستراتيجية للمغرب.		
ب. الأوضاع السياسية للمغرب قبيل عام ١٩٤٥.		
ج. الأوضاع الاقتصادية للمغرب قبيل عام ١٩٤٥.		
د. الأوضاع الاجتماعية للمغرب قبيل عام ١٩٤٥.		
المبحث الثاني:		
ثانياً: أوضاع السنغال		
أ. الأهمية الإستراتيجية للسنغال.		
ب. علاقة السنغال بأفريقيا الشمالية.		
ج. الأوضاع السياسية للسنغال قبيل عام ١٩٤٥.		
د. أوضاع السنغال الاقتصادية والاجتماعية.		
الفصل الأول:		٦٣-٣٢
تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٨٠:		
أ. أوضاع المغرب الاقتصادية بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٥٦.		
ب. الأوضاع الاجتماعية للمغرب بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٥٦.		
ج. التطور الاقتصادي والاجتماعي في المغرب منذ عهد الإستقلال.		
الفصل الثاني:		١١٠-٦٤
تطور أوضاع السنغال الاقتصادية والاجتماعية بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٨٠:		
المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية والتقسيم الطبقي في السنغال.		
المبحث الثاني: التطور الاقتصادي في السنغال.		

العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب والسنغال بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٨٠:

المبحث الأول: رؤية العرب للأفريقي وأثر ذلك على العلاقات الثقافية بين البلدين.

المبحث الثاني: محددات العمل الثقافي المغربي للسنغال.

المبحث الثالث: السمات المشتركة بين البلدين وأثرها على التقارب الثقافي:

أ. العقيدة الإسلامية.

ب. النظام القبلي.

المبحث الرابع: دور التنمية السياسية في كلا البلدين في تنمية العلاقات الثقافية.

العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسنغال بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٨٠:

المبحث الأول: أ. التطور الإقتصادي في المغرب ودوره في تنمية العلاقات مع السنغال

المبحث الثاني: أ. التطور الإقتصادي السنغالي من التخلف إلى التنمية ودوره في تنمية

العلاقات مع المغرب

الاختصارات التي وردت في الرسالة

ANS : Archives Nationales du Sénégal (Dakar).

الأرشيف السنغالي في دكار

ANM : Archives Nationales du (Maroco).

الأرشيف في المغرب

ANSOM : Archives Nationales de la France section d' outre-mer (Paris).

الأرشيف الفرنسي فيما وراء البحار باريس

AASOM : Archives de L' armee section d'outre- mer (Paris).

أرشيف ما وراء البحار باريس

MEA : Ministere des Affaires Etrangeres (Paris).

وزارة الخارجية باريس

BIFAN : Bulletin de L' institut fondementai d' afrique Noir dusenegal.

المعهد الدراسات الأفريقية في السنغال

المقدمة:

تمتد العلاقات العربية الأفريقية إلى أمد بعيد في التاريخ ربما لأكثر من ألفي عام، حيث قامت الصلة بين الطرفين بحكم الجوار والإلتصاق الجغرافي، وبحكم التنقل والهجرات المتبادلة سعياً وراء الرزق وتبادل المنافع والمصالح من طرف إلى الطرف الآخر، وذلك عن طريق المنافذ المعروفة المتمثلة في طريق البحر الأحمر ومضيق باب المندب وشبه جزيرة سيناء وعبر الصحراء الكبرى جنوب القارة الأفريقية.

ولقد كان لأهالي اليمن وأهالي الساحل العماني قبل الإسلام صلات قديمة معروفة وعلاقات تجارية وثقافية مع كل من الحبشة والصومال وسواحل شرق أفريقيا، إزداد بالطبع هذا الدور إتساعاً في التواصل والتفاعل والإحتكاك المباشر بين الطرفين بعد ظهور الإسلام في القرن الأول الهجري . القرن السابع الميلادي . ثم إنتشاره فيما بعد الفتوحات والجهاد وبفضل العرب المسلمين الأوائل الذين أعطوا القدوة الحسنى والنموذج الأمثل في حسن التعامل والمباشرة وصدق الكلمة كتجار ورجال الدين مما كان له أثره البالغ في المكانة التي بلغوها لدى إخوانهم الأفارقة وفي التعاون وإياهم على إنشاء الدويلات الإسلامية المعروفة على هذه السواحل الشرقية مثل مصوع وزيلع وموغاديشو ولاموا ومالندي وزنجبار وموزانيق، ولعل هذه المدن تعني لنا الشيء الكثير .

ومثلما كان لسكان الجزر وعرب الخليج دورهم في التواصل العربي الأفريقي، وفي تقبل المؤثرات العربية وتوسيع دائرة التأثير الإسلامي في شرق وشمال أفريقيا، فإن إخوانهم العرب سكان مصر والسودان، وسكان المغرب العربي في الشمال الأفريقي، ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، على أثر الهجرات العربية الكبيرة إلى تلك الأنحاء والمناطق، وتتابع موجات الفتوحات العربية الإسلامية التي عمت المنطقة المجاورة للجزيرة العربية وما بعدها، فإن هؤلاء العرب المسلمين بلسانهم العربي، وثقافتهم الإسلامية وإقترايبهم وتصاهرهم مع إخوانهم الأفارقة حيث عملوا بدافع العقيدة على نشر دعوة الإسلام الحنيف بينهم وأبلوا بلاءً حسناً في إتساع رقعة الأرض التي إتخذت اللغة العربية لساناً لها وساد فيها النمط العربي والثقافة الإسلامية من دين ولغة ونظم حكم وزعي ومعمار... وهكذا لم تقف الصحراء الكبرى عائقاً أمامهم، بل إقتحموها وتجاوزوها إلى وسط وغرب أفريقيا.

ولعلنا نلمس آثار هذا الإتصال فيما إنتهى إليه الطرفان العربي والأفريقي من تواصل ورباط حضاري ثقافي وروحي طبع ولا يزال يطبع علاقات الطرفين بطابعه مما أدى بالتالي إلى

تبادل التأثير والتأثر فيما وقع عليها من تغيير ومؤشرات وافدة، وما خضعا له من ظروف متشابهة نتيجة لوقوعهما معاً في براثن الإستعمار الأوربي الذي إبتغى السيطرة والإستغلال ونهب خيرات البلاد في كل من المنطقة العربية والقارة الأفريقية.

فلقد تعرضت أفريقيا . كما هو معروف لنفس ما تعرضت له المنطقة العربية من جور وظلم وهجمة إستعمارية أوربية كان من نتيجتها تفتيت وتجزئة الأمة العربية الواحدة وزرع بذور الشك والشقاق بينها وتعارض مصالحها مع بعضها البعض وهذا بالفعل ما منيت به أفريقيا على فترات متعددة من قبل القوى الغربية الإستعمارية بلغت ذروتها حين تم عقد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ / ١٨٨٥ الذي حضرته كافة الدول الأوربية بإستثناء سويسرا وقد قبلت فيه الولايات المتحدة الأمريكية والدول العثمانية آنذاك، وكان الغرض الرئيسي للمؤتمر تقسيم القارة الأفريقية ونهب خيراتها وتجزئتها إلى وحدات سياسية تابعة ومستعمرة وتجنب نشوب سوء الفهم والمنازعات بين الدول المستغلة التي عادت بالتراضي فيما بينها، دون أدنى إعتبار لأهل القارة أنفسهم، رسم خريطة جديدة لأفريقيا سياسياً وعنصرياً وقومياً، وكان نشر المسيحية والحضارة الأوربية أحد حجج القارة الأوربية لإستعمار القارة الأفريقية. وكذلك إضعاف تأثيرات التيار الإسلامي والثقافة الإسلامية الأفريقية عن طريق محاربة الشريعة الإسلامية واللغة العربية، ومحاربة المسلمين بصورة عامة من تقلد المناصب الكبرى.

وبالطبع فإن الأفريقيين ومن تعايش معهم وساكنهم في بيئاتهم المختلفة من إخوانهم العرب لم يستكينوا لذلك الوضع على الرغم من قلة حيلهم وضعف وسائلهم حيال تلك القوى الباغية المسلحة بأحدث الأسلحة وأفتكها، بل جابهوا ذلك الغزو المنظم بكل بسالة وشجاعة وإنطلقت لذلك صيحات الجهاد وحركات التحرير المتمثلة بالطرق الصوفية مثل الطريقة التيجانية والمريدية والشاذلية ونتيجة للتواصل والتفاعل وتبادل التأثير بين المنطقة العربية والأفريقية فإن حركات التجديد والإصلاح هذه كانت مشابهة ومتأثرة بحركات الإصلاح الديني التي عرفتها المنطقة العربية في آسيا وأفريقيا كالحركة الوهابية والمهدية والسنوسية... إلا أن القبلية . للأسف الشديد . كانت لصالح الدول والقوى الإستعمارية نتيجة لتقدمها وحدثها وسائلها وانتظام صفوفها، في مقابل تفكك القوى الأفريقية وضعفها وتخلفها مما نتج عنه أن عاشت القارة الأفريقية نهب الأطماع الإستعمارية خاضعة للقهر والإستغلال على مدى خمسة وسبعين عاماً، حيث أمكن للقارة الأفريقية فيما بعد، بالتعاون والمساندة مع غيرها من شعوب العالم الثالث بالحصول على

حريتها، وإستقلالها والتخلص من ذل العبودية والإستعمار بعد أن أدت ودورها بكل شجاعة وإيمان.

إن تحقيق الإنتماء العربي الأفريقي قد إنتفت إليه وتبناه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر حين أشار في كتابه فلسفة الثورة أن دوائر ثلاث من العمل المصري المتبقية بحكم الارتباط المصري العمل في نطاقها وتخطيط السياسة الخارجية وفق مقتضيات الإنتماء إليها وهى الدائرة العربية والدائرة الأفريقية والدائرة الإسلامية... وهذا ما يعتبر أول إعلان رسمي من قطر عربي في هذا الشأن وهذا ما سارت عليه مصر . ولا تزال . بالنسبة للتفاعل والترابط بين كل هذه الدوائر الثلاث مجتمعة، وتأكيد لطريق التضامن العربي الأفريقي فإن نطاق أمنها القومي يمتد في أفريقيا بصورة مباشرة ولهذا فقد قدمت العون والمساعدة لكافة حركات التحرر الوطني في أفريقيا وقد إحتضنت على أرضها الثوار الأفارقة . رجال الحرس القديم . الذين حملوا على أكتافهم لواء تحرير القارة من كافة أشكال الإستعمار إيماناً منها . أي مصر . أنها دولة أفريقية المنشأ والأرض والمصير .

ولكن لنا هنا مجموعة من الملاحظات حول بعض دساتير الدول الأفريقية العربية في أفريقيا:

فموريتانيا مثلاً وقد صدر دستورها في ١٩٦١/٥/٢٠ . أي قبل إنشاء منظمة الوحدة الأفريقية في عام ١٩٦٣ لا تذكر مطلقاً أفريقيا في دستورها، بينما يذكر دستور الصومال أفريقيا في واحدة في ديباجته، أما الدستور الليبي فإنه يذكر في الفقرة الأخيرة من مادته الثانية أن إقليم ليبيا جزء من أفريقيا ودستور السودان ينص في مادته الأولى على أن جمهورية السودان جزء من الكيانين العربي والأفريقي، بينما يذكر دستور الجزائر أفريقيا في مادته الثانية: أن الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي والعالم الأفريقي وأفريقيا، بينما ينص دستور تونس، التي كانت تسمى في الماضي أفريقيا في ديباجته فقط على الإنتماء للأسرة العربية وبالتعاون مع الشعوب الأفريقية في بناء مصير أفضل وبالتضامن مع جميع الشعوب المناضلة ولا يذكر أفريقيا في أي مكان آخر بالدستور، ومن الجدير بالذكر أن البعض رأى عند وضع الدستور المصري ضرورة النص على إنتماء مصر الأفريقي وعلى أنها تعمل لأجل الوحدة الأفريقية إلا أن هذا الرأي لم يؤخذ به ولهذا جاء الدستور المصري خالياً من ذكر أفريقيا.

وكان لعالمنا العربي بقيادة زعاماته مع سائر قادة الدول الأخرى المحبة للحرية والسلام دوره الفاعل والبارز في مساندة كفاح القارة السمراء، وأيام النضال في نهاية عقد الأربعينات وطوال عقد الخمسينيات، وما أن جاء عقد الستينيات حتى بدأت موجات إستقلال الشعوب الأفريقية تتوالى إلى حيث سجل عام ١٩٦٠ بالذات ما لا يقل عن عشرين دولة أفريقية حديثة الإستقلال.

وهكذا واجه الطرفان العربي والأفريقي معاً بداية الإستعمار فإنهما أيضاً بتفاعلهما وتاريخهما المشترك وشعورهما بالإرتباط بمصير واحد، وما كان من تأثر أحدهما بالآخر في الإعتداد به في نزعات التحرر والإستقلال وتأكيد السيادة على أراضيه، فعملاهما يساند بعضهما البعض على تخليص بلادهم من رقة الإستعمار، كما بدأ معاً طريق التعاون بعد مرحلة الإستقلال في مواجهة أعباء الحياة الحديثة وتحقيق متطلبات العدالة والحرية والتنمية لشعوبهما الناهضة على النحو الذي يحقق الإحترام بينهما والمصلحة المشتركة لهما.

ومن المعلوم أن عشر دول عربية، هي بحكم الإنتماء الجغرافي والإرتباط الحضاري والثقافي، دول أفريقية بمقدار ما هي عربية، وإن هذه الدول العشرة في أفريقيا تمثل أكثر من ٨٠% من سكان الدول العربية في مجموعها، مما يزيد من تمتين الأواصر ويشد في وثائق الإخاء والتعاون بين العرب وإخوانهم الأفارقة وذلك بالطبع فيما لو تم الوعي الكامل بما تقرضه حقائق الجغرافيا والتاريخ من واقع لا يمكن تجاهله أو التغاضي عنه.

أهمية البحث:

وتمثل المغرب إحدى الدول العربية الهامة ليس فقط بما تمثله من موقع جغرافي ومن تاريخ عريق ومن تكريس للعقيدة الإسلامية ومن بنيان حضاري تفخر به أمتنا العربية وإنما بجانب كل هذا أنها تكاد تكون الدولة العربية الوحيدة من بين الدول العربية التي تنص ديباجة الدستور في الفقرة الثانية منه التعهد بالعمل للوحدة الأفريقية وتؤكد أنها بصفتها دول أفريقيا فإنها تجعل من بين أهدافها تحقيق الوحدة الأفريقية.

ولقد قادت المغرب في معظم تاريخها حركة التضامن العربي الأفريقي ليس فقط عن طريق العلاقات الثقافية ولكن أيضاً من خلال العلاقات العقيدية والإقتصادية فلقد كان للمغرب دور هام في نشر الإسلام في أفريقيا وحض الكثير من الأفريقيين للدراسة فوق أرضها وبالذات

من منطقة غرب أفريقيا، هذا بالإضافة إلى أن العمق الإستراتيجي في وقت الأزمات بالنسبة للمغرب كان القارة الأفريقية حيث دفعت الكثير من العقبات من أمام توطيد صلاتها بأوروبا.

أما السنغال فقد كانت إحدى الدول الأفريقية الإسلامية والتي حرصت رغم وجود الإستعمار الفرنسي بها لسنوات طويلة على الإتصال بشمال أفريقيا وبالذات المغرب وكانت السنغال تمثل إحدى الدول الأفريقية التي إقتبست الكثير من الحضارة الغربية وكانت بما تملك من موارد إقتصادية وموقع جغرافي وتطور حضاري تمثل محوراً ناجحاً لبناء علاقات عربية أفريقية.

فالبحث في هذا الموضوع هو من الأهمية لدراسة عوامل هذه العلاقة والتي لم يستطع الإستعمار أن يقف في مواجهتها... كما أن دراسة هذا الموضوع يعتبر محاولة جادة لدراسة معوقات نجاح هذه العلاقات وما أهم الإيجابيات الناتجة عنها والسلبيات التي تعوقها. لماذا إخترت هذا الموضوع:

الهدف الأول هو البحث عن تعزيز مجالات التعاون العربي الأفريقي متخذين نموذجاً له العلاقات المغربية السنغالية.

الهدف الثاني هو دراسة معوقات هذا التعاون وكيف يضع الإستعمار الغربي الكثير من العقبات أمامها لأن الحصيلة النهائية لها ليست في مصلحته كما يحب.

الهدف الثالث أنه حتى الآن لا زالت الدول العربية الأفريقية بعيدة عن التعامل مع أفريقيا وإن ترك هذا المجال يؤثر على الكثير مما تطمح إليه القارة الأفريقية من أرضية مشتركة وتعاون كامل في كافة المجالات يبدأ من الإستغلال الإستعماري وتحقيق مصلحة متكاملة للشعوب الأفريقية، والشعب العربي بأكمله.

وإذا كان الكفاح المشترك للدول العربية والأفريقية قد حقق الكثير من الفائدة لهما فإنه من الحكمة الإستمرار في تعميق مفاهيم هذه العلاقات.

صعوبات الدراسة:

واجهتني الكثير من الصعوبات في إعداد هذا البحث أذكر منها على سبيل المثال:

١. إن هذه الحقبة الخاصة بالدراسة إلى حد ما عصرية وقد تعددت الآراء والإتجاهات حولها مما شكل عبئاً على الطالبة في تتبع كل ما كتب عنها في الدوريات العلمية والمصادر ذات الإتجاه الواحد إلا أنني إستطعت التغلب على هذه الصعوبة من خلال إتباع مفهوم الحياد التاريخي في كتابة نصوصها.

٢. الكثير من الإحصائيات والأرقام الخاصة بالعلاقات الإقتصادية والإستثمارات بين البلدين والتعداد الخاص بالمؤسسات التجارية والتعليمية تكاد تكون نادرة وذلك إما لعدم وجود عناية بالتسجيل في كلا البلدين مما دفعني إلى أن أستعين ببعض الأرشيفات الأجنبية التي قد تحوي بعضاً من هذه المعلومات الضرورية للبحث.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة متكاملة عن العلاقات المغربية السنغالية وإن كنا نقر بوجود بعض من هذه الدراسات متناثراً في بعض المصادر والمراجع ولكن أن توجد محاور العلاقات التي تناولناها في إطروحتنا فذلك يكاد يكون بعيداً تماماً.

كما أن التفصيلات حول تضافر هذه العلاقات في المجال الإجتماعي والثقافي والإقتصاد السياسي لم تكن متيسرة لأي دراسة سابقة على هذه الدراسة.

ونحن لا ننكر وجود بعض الكتابات الأجنبية التي تناولت هذه العلاقات إلا أن الدراسة العربية لم تتعرض لهذا الموضوع إلا بشكل عمومي عندما تعرض بعضها للكلام عن العلاقات العربية الأفريقية بشكل عام ومن ثم فإنه لا غرابة أن نعتبر أن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها على كافة الأصعدة.

منهج البحث الذي إتبعته:

إتبع في كتابة هذه الدراسة منهج بحث هدفه إلقاء الضوء على الحقيقة التاريخية وحدها بحيادية مطلقة ولا هدف من ورائها إلا تأكيد أن العلاقات بين الدول لا تنمو ولا تتكرر إلا في ضوء مجموعة من العوامل التعمق فيها قد يكون متعلقاً بظروف داخلية والبعض الآخر بظروف خارجية.

ولقد إتبعنا ثلاثة مناهج للوصول إلى كشف تلك الحقيقة التاريخية:

المنهج الأول:

هو المنهج التاريخي والمعروف لدى علماء المنهج بأنه المنهج الإستردادي أي إسترداد الواقعة التاريخية في ظل الظروف التي وقعت فيها والعوامل التي أثرت عليها مع محاولة تفسيرها وتحليلها إجابة لمجموعة من التساؤلات هي ماذا حدث، وكيف حدث، وما الذي ترتب على ما حدث؟

المنهج الثاني:

هو المنهج المقارن، وهو مقارنة ما حدث من الجانبين المغربي والسنغالي وهذا المنهج يلقي الضوء على إمكانية المقارنة بين أوضاع السكان والشبه أو الخلاف بين العادات والتقاليد وأثر ذلك على هذه العلاقات وكذلك الظروف المتشابهة والمختلفة التي مرت بها كلا البلدين وكان لها تأثير سلبي أو إيجابي على تطور هذه العلاقات أو جمودها أو تأخرها.

المنهج الثالث:

هو المنهج الوصفي التحليلي والذي من خلاله يصل الباحث إلى الحقيقة التاريخية المجردة من خلال وصف الظاهرة وتحليلها لمعرفة الأدوار التاريخية التي مرت بها تلك العلاقات.

المساحة الزمنية للبحث:

وتشمل المساحة الزمنية للبحث نحو ثلث قرن من ١٩٤٥م حتى عام ١٩٨٠م وقد إخترت بدايتها سنة ١٩٤٥م وهي فترة إنتهاء الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من بداية مرحلة جديدة لشعوب العالم وبالذات تلك التي تقع تحت سيطرة الإستعمار الأوربي، حيث خرجت أوروبا من ميدان الصدارة السياسية إلى دولتين آخرتين غير بريطانيا وفرنسا التقليديتين في زعامة العالم، هاتين الدولتين هما الولايات المتحدة الأمريكية التي تزعمت الكتلة الغربية ودولة الإتحاد السوفيتي التي تزعمت الكتلة الشرقية ويلاحظ أن السنغال قد حصلت على إستقلالها سنة ١٩٦٠م بينما حصلت المغرب على الإستقلال عام ١٩٥٦م، ولاشك أن نهاية الحقبة الزمنية للبحث وهي عام ١٩٨٠م تعتبر سنة فاصلة في علاقاتهما حيث بدأت كل من المغرب والسنغال في ترسيخ محاور العلاقة بينهما والتنمية التي تبعث على الإعجاب برغم الصعوبات التي صحبت تلك العلاقات ويلاحظ أن المغرب كانت من أوائل الدول التي أعترفت بإستقلال السنغال، كما أن عام ١٩٦١م كان تولي الملك الحسن الثاني السلطة في المغرب خلفاً لوالده فالمساحة الزمنية مناسبة جداً في البحث التاريخي.

تقسيم فصول الدراسة:

قمت بتقسيم الرسالة إلى جانب المقدمة والخاتمة إلى الآتي:

فصل تمهيدي يتحدث عن أوضاع المغرب والسنغال قبيل عام ١٩٤٥م حيث شرحت فيه الأهمية الإستراتيجية للمغرب وأوضاعها السياسية والإقتصادية والإجتماعية قبيل عام ١٩٤٥م أما المبحث الثاني من هذا الفصل فهو يلقي الضوء على الأهمية الإستراتيجية للسنغال وأوضاعها قبيل عام ١٩٤٥م.

ويأتي الفصل الأول بعنوان تطور الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب بين عامي ١٩٤٥ . ١٩٨٠م.

ويأتي الفصل الثاني حيث يشرح تطور أوضاع السنغال الإقتصادية والإجتماعية بين عامي ١٩٤٥ . ١٩٨٠م.

أما الفصل الثالث فهو يتناول العلاقات الاجتماعية والثقافية بين المغرب والسنغال بين عامي ١٩٤٥ . ١٩٨٠م.

أما الفصل الرابع والأخير فهو يعالج العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسنغال بين عامي ١٩٦٠ . ١٩٨٠م.

وكل فصل من هذه الفصول يضم عدداً من المباحث تحوي تفصيلاً حول المحور الذي نتحدث عنه.

وضمت الرسالة مجموعة من الملاحق إلى جانب مكتبة البحث المتمثلة في المصادر الأصلية والمراجع العربية والأجنبية.

شكر وتقدير

لم يكن لهذه الرسالة أن تخرج إلى حيز النور لولا تشجيع ودعم الكثيرين، وفي مقدمتهم، أساتذتي الأجلاء الذين أدين لهم بفضل التوجيه والرعاية، وتعجز الكلمات عن التعبير عما يستحقونه من شكر وتقدير، وعرافان بالجميل.

واجد لزاما على إن أقدم الشكر جزيلا لأستاذي الدكتور رأفت الشيخ أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر والمشرف على الرسالة والذي شملني برعايته وأمدني بملاحظاته القيمة منذ الخطوات الأولى في إعداد الرسالة، ثم تولي متابعة كتابة مختلف فصولها، بحرص واهتمام كبيرين. فقد كان نعم الأستاذ والأب الذي لم ييخل علي في أي وقت.

وكل الشكر إلى الأستاذ الدكتور حاتم الطحاوي المشرف الثاني على الرسالة على اهتمامه الكبير بمتابعة مراجعة فصول الرسالة.

أما أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور / عبد الله عبد الرزاق إبراهيم أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر ووكيل معهد البحوث والدراسات الأفريقية سابقاً، رائد الدراسات الصوفية ومؤسس مدرسة تاريخ غرب أفريقيا من خلال دراساته المتعمقة لممالك غرب القارة والطرق الصوفية وجهاد هذه المناطق، فله مني كل التقدير والعرفان على ما علمني في مرحلة الدراسات العليا وأيضاً إشرافه على في إعداد رسالة الماجستير وما قدمه من نصائح وإرشادات. لقد كان واسع الصدر ولم ييخل على بعلمه الغزير وريادته للدراسات الأفريقية وكانت مؤلفاته خير عون لي في إعداد هذه الرسالة فله مني خالص الشكر والعرفان وأدعو الله أن يديم عليه الصحة والعافية حتى تظل ريادته للدراسات الصوفية الأفريقية نموذجاً يحتذى به.

والشكر موصول لأستاذى الفاضل الدكتور محمود متولي أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر وعميد كلية التربية جامعة قناة السويس سابقاً، الذى شرفني بقبول الاشتراك فى لجنة الحكم على الرسالة، وقدم لي من النصائح والرؤى العلمية المتعمقة ما فتح أمامي آفاقاً وكان لي نبراساً.

ولا يمكن أن أنسى فضلاً أمناء مكاتب جامعات القاهرة، الزقازيق، عين شمس، حلوان، إسكندرية ومسئولي الأرشفة القومي بالمملكة المغربية فقد قدموا لي تيسيرات الإطلاع على المراجع العربية والأجنبية واستعارتها منذ أن سافرت إلى المغرب وحسن استقبالهم لي مما هيا الاستفادة من مجموعة متميزة من الكتب والمخطوطات والمستندات.

كذلك يستحق الشكر والتقدير كل من السيد سفير المغرب بالقاهرة محمد فرج الديكالي والمستشار الثقافي بالسفارة والسيد سفير السنغال بالقاهرة فقد كانت التسهيلات التى أتاحوها لي عوامل أساسية فى إتمام الرسالة.

أما السيدة السفيرة الأستاذة الدكتورة شادية قناوي المندوب الدائم بمصر لدى منظمة اليونسكو (باريس) فإن جهدها فى توفير كل ما احتجت إليه من وثائق ومستندات أكبر من أن أعبر عنه بكلمات .

أما قيادات الأكاديمية الحديثة بالمعادي والجامعة الحديثة وفى مقدمتهم الأستاذ الجليل الدكتور نبيل دعبس والأستاذة الفاضلة الدكتورة ألفت كامل فلن أنسى أبداً ما حييت تشجيعهم ودعمهم فى مختلف مراحل إعداد البحث وفضلهم فى توفير كافة التسهيلات التى يسرت لى إعداد البحث.

والشكر أيضا للأستاذ الدكتور/ صلاح الهوى رئيس قسم العلوم الأساسية بالأكاديمية
الحديثة على تشجيعه الدائم لي وأيضا الشكر أخي العزيز وزوج أختي الأستاذ ناجي
سعد الدين بالمخبرات العامة على كل تسهيلات والتيسيرات التى قدمها لي فى إعداد
الرسالة

وأدعو المولي عز وجل أن يكون فى هذه الإشادة الموجزة بفضل هؤلاء وغيرهم تسجيلاً
لكريم دعمهم واعترافاً بفضلهم والله ولي التوفيق.

الفصل التمهيدي:

أوضاع المغرب والسنغال قبيل عام ١٩٤٥م

أولاً: أوضاع المغرب:

أ. الأهمية الإستراتيجية للمغرب:

بلاد المغرب مصطلح يقصد به الكتاب العرب كل الأقاليم الواقعة غربي مصر و التي تشمل شمال القارة الأفريقية وتتضمن حالياً البلاد الليبية بولاياتها الثلاث (برقة . طرابلس . وفزان) وتونس، والجزائر (بصحرائها المترامية إلى تخوم السودان)، وأخيراً المغرب الذي كان يسمى إلى ما قبل الإستقلال بإسم مراكش نسبة إلى عاصمته الجنوبية، ويمتد طبيعياً نحو الجنوب إلى حدود السنغال والنيجر^(١). ولكلمة المغرب مدلول أوسع مما هي عليه الآن، ويلاحظ أن كلمة الأقصى بعد كلمة المغرب كانت تشير إلى المغرب الحالي وأن كلمة المغرب وحدها كانت تشمل المغرب الكبير الذي يشمل تونس والجزائر والمغرب الأقصى.

أما كلمة المغرب الحالية فهي حديثة العهد أعادها الملك محمد الخامس بعد عودته من المنفى عام ١٩٥٥م وحصول البلاد على إستقلالها وكان هذا القطر يسمى بإسم عاصمته الأولى (مراكش) كما ذكرنا، ومازال معروفاً في بلاد المغرب إلى الآن فهو عندهم Maroc. ويقع المغرب في الشمال الغربي من قارة أفريقيا ويشرف على بحرين عظيمين البحر المتوسط في الشمال بإمتداد ٤٧٥ كيلو متراً والمحيط الأطلسي في الغرب وطول ساحله ١٦٦٠ كيلو متراً، ومن الشرق تقع الجزائر أو المغرب الأوسط، ومن الجنوب الصحراء المراكشية التي تكون جزءاً من الصحراء الكبرى. والشاطئ المطل على البحر المتوسط أغلبه صخري لا يصلح لرسو السفن عدداً ميناء طنجة الذي يقع في الزاوية الشمالية الغربية للقارة الأفريقية^(٢).

ويوجد بالمغرب سلسلتان جبليتان أعلاهما جبال الأطلس، وتتكون من ثلاث سلاسل تمتد شرقاً وغرباً حتى شاطئ المحيط الأطلسي ويبلغ إرتفاع بعضها ١٤٠٠٠ متر فوق سطح البحر.

وهذه السلاسل هي الأطلس الأعظم والأطلس^(٣) الأوسط والأطلس الأصغر، يلي ذلك

(١) علي منصور نصير: أضواء على الفتح الإسلامي للمغرب، بلاد المغرب وعلاقاتها بالشرق حتى أواخر القرن ١٥م، مراكش، سنة ١٩٨٣م - ص ١٧

(٢) جيمس دلي: الإستعمار البرتغالي في أفريقيا ترجمة الدسوقي حسين المراكبي - الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٣م - ص ٢٧.

(٣) إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ المجلد الثالث، الدار البيضاء سنة ١٩٨٥م، ص ٩٢.

سلسلة جبال الريف ويبلغ إرتفاعها ثمانية آلاف قدم فوق سطح البحر، وتقع في الشمال وتمتد في شبه قوس بين طنجة ومليلة، تمر بين أراضي سهلة يطلق عليها إسم الريف المراكشي وبين جبال الريف والأطلس أرض سهلة يطلق عليها ممر تارة نسبة إلى بلدة تارة الواقعة على الطريق الرئيسي بين العاصمة الرباط وبين وجدة على الحدود الجزائرية.

وفي أقصى الجنوب تقع المنطقة الصحراوية وتمتد جنوباً حتى نهر النيجر، وتوجد بعض الوديان التي ترويهما نهيرات وأهمها نهر سبور وينبع من جبال الأطلسي ونهر أم الربيع وسوسة ودرعة.

وهكذا نجد أرض المغرب تختلف طبيعتها بين سهول منبسطة وهضاب مرتفعة وجبال عالية ورهاد دانية وصحاري نسيم^(١) لذلك تباينت طبيعتها واختلقت تربتها وكثرت خيراتها وإنطوت أرضها على كنوز هائلة^(٢).

الأوضاع الإقتصادية للمغرب قبيل عام ١٩٤٥م:

يأتي الفوسفات في مقدمة كنوز الأرض المغربية فهو يفوق نصف ثروتها المعدنية وأهم مناجمها في كاشطاط وفورميكة، والمغرب أكبر مورد للفوسفات في العالم إلى أوربا. وتبلغ مساحة الأرض الزراعية في المغرب ٤ مليون هكتار، وتخضع الزراعة في المغرب لنظام الأمطار التي تخزن في أجواف الجبال، فالري يقوم على الأمطار والمياه الجوفية وكان الأوربيون يستغلون وحدهم الكروم ومنتجاتها، كما كانوا يسيطرون على ثلاث أرباع إنتاج الموالح وتلثي الحبوب ولهم ١٠% من أشجار الزيتون البالغ عددها ٩.٤٠٠.٠٠٠ شجرة وتنتج مناطق السادية ومكناس وعبد دتادالا والمنطقة الشرقية أمنية وعشرين مليون قنطار من الحبوب وتنتج المنطقة الجنوبية ومنطقة السادية الكمون . الكراوية كما توجد أشجار الحناء في دكالة^(٣).

وينبت في المغرب^(٤) الحناء والكتان ونبات الحلفا الذي يستخدم في صناعة الحصير والحبال والمنسوجات الخشنة كما تصنع منه أجود أنواع الورق.

(٢) جمال حمدان: أفريقيا الجديدة. دراسة في الجغرافية السياسية - النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٦ - ص ٦٦.
(٣) Davidson. Basil: The African Past, Penguin London 1966. p. 63 .
(٤) Oliven, R. and Fage, L. D. Ashort history of Africa penguin, London 1970 P.75.
(١) محمد الملي: المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامع الشعوب - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٨٣م - ص ص ١٢ - ٢٤.

وفيما يلي جدول يبين أهم المحصولات ومساحات الأراضي المزروعة^(١):

نوع الزراعة	المساحة بالهكتار	الإنتاج بالطن
قمح يابس	٨٣٨.٠٠٠	٣.٦٥٧.٠٠٠
قمح طري	٣٧٦.٠٠٠	٢.٦٥٢.٠٠٠
شعير	١.٦٨٩.٠٠٠	١٠.٨٥٧.٠٠٠
الخرطل (علف البهائم)	٤٨.٤٠٠	٤٧٥.٠٠٠
الذرة	٦٠٨.٠٠٠	٢.٦١٣.٠٠٠
الخضر الجافة	١٥٥.٠٠٠	٥٥٥.٠٠٠

ويمثل الرعي مكاناً مرموقاً في الإقتصاد الزراعي وهذا جدول يبين عدد رؤوس الماشية في المغرب الأقصى قبيل عام ١٩٤٥:

النوع	عدد الرؤوس	النوع	عدد الرؤوس
الأغنام	٧.٤٢٣.٠٠٠	الماعز	٥.٧٤٢.٠٠٠
البقر	١.٣٢٦.٠٠٠	البغال	١٤٠.٠٠٠
الخيول	١٥٢.٠٠٠	الحمير	٥٣٢.٠٠٠
الجمال	٦٥٧.٠٠٠		

وصيد الأسماك أحد المهن الرئيسية لبلاد المغرب ويعتبر صيد الحوت من الثروات الأساسية في مينائي آسفي وأغادير، ويبلغ عدد الصيادين حوالي سبعة آلاف صياد ويقدر مجموع ما يصطادونه سنوياً بحوالي سبعة وخمسين ألف طن أما عن الثروات المعدنية في المغرب فإنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسواق العالمية وأهم المعادن في المغرب هي:

الفوسفات^(٢): يوجد على شكل طبقات يتراوح سمكها بين ثلاثين سنتيمتراً وتعد مناجم المغرب من أغنى مناجم البلاد الأفريقية إذ يبلغ مجموع ما تنتجه نحو ٢١% من الإنتاج العالمي.

و يلعب الفوسفات منذ عام ١٩٣١ دوراً كبيراً في إقتصاديات المغرب نظراً للأرباح الطائلة التي تعود من تصديره، إذ تقدر مناجم فورييجا ثلاثة ملايين طن في السنة، ومنجم لويس ينتج نحو ٧٥٠.٠٠٠ طن.

(٢) عز الدين فريد: ظهور الوعي الأفريقي، محاضرات الموسم الثقافي لوزارة الثقافة والإرشاد القومي عام ١٩٦٣ القاهرة ص ص ١٨ - ٢٠.

(٣) أمين الريحاني: المغرب الأقصى - الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٥ م ص ص ٢ - ١١.

كما يوجد الحديد في المغرب بكميات كبيرة في مناجم ضيافة حيث يقدر ما ينتجه من الحديد بنحو خمسين مليوناً من الأطنان وهى غنية بسلفات الباريوم ونسبة الحديد فيها ٤٣ في المائة هذا عدا المناجم الأخرى في السوس والسهل الغربي والمناطق الشرقية^(١).

أما المعادن الأخرى فمنها في جبال الأطلس مناجم الزنك والرصاص وتبلغ كمية الزنك المستخرج نحو ١٠.٠٠٠ طن ومن الرصاص ٤.٠٠٠ طن. وسوقها الرئيسي لهذين المعدنين للتصدير هي (فرنسا . بلجيكا) كما يوجد في المغرب المنجنيز والكوبليت، وهذا المعدن الأخير لا يوجد إلا في ثلاث مناطق من العالم هي المغرب الأقصى وكندا والكونغو (زائير) والكوبليت تشغل من أراضي المغرب خمسين كيلو متراً مربعاً تحتوي على سدس ما يستخرج منه في العالم ومناجم في "بوعزاز" ومدينة "مراكش".

كما ينفرد المغرب والولايات المتحدة الأمريكية والنرويج دون سائر بلاد العالم بمناجم الموليبيديوم وهو معدن في بياض الفضة ويدخل في صناعة أحرف الكتابة يكسبها صلابة ضد الإحتكاك ويوجد هذا المعدن في جبال الأطلس الكبير الغربي ويوجد البترول في المغرب الأقصى أيضاً بجوار سلسلة الريف وهويكاد يطفو على السطح في بعض الجهات.

كما يوجد الفحم النباتي في المغرب الأقصى بكمية كبيرة لكثرة الغابات هناك، أما الفحم الحجري فيوجد في منطقة جرادة والنوع الذي يستخرج منها من أجود الأنواع، وفي سنة ١٩٢٧ اكتشف منجم آخر للفحم الحجري في جنوب (وجدة) وبدئ في إستغلاله في سنة ١٩٣١م ويبلغ ما يستخرج منه سنوياً ٢٦٥.٥٠٠ طن وتتولد الكهرباء في المغرب الأقصى من مساقط المياه لكثرة ما يوجد به من سدود، أما عن الصناعة فقد كانت المغرب حتى ١٩٣٩ بلداً زراعياً ومصدراً للمنتجات المعدنية^(٢) فى صورة "الخام" أما عن التصنيع فلم يكن يتجاوز ما يتصل بالإنتاج الزراعي إذا إستثنينا صناعة المباني والورش الصغيرة التي تقوم بإصلاح الآلات المستوردة.. وراء هذا^(٣).

ج. الأوضاع السياسية للمغرب قبيل عام ١٩٤٥م:

نقصد بالأوضاع السياسية وجود مجال إجتماعي وفكري يعطي للحوار دوراً هاماً في

(١) Johnslon, H. 11. A History of Colonization of Africa by Alien Races. Cambridge univ press, London 1913, P.P. 22.30.

(٢) إبراهيم أحمد رزقانة: بعض مشكلات الجغرافيا السياسية - الطبعة الأولى - دار النهضة العربية - سنة ١٩٦٧م ص ١٠ - ٢٣.
(٣) منتدى الفكر العربي "عمان": التعددية السياسية والديموقراطية في الوطن العربي (سلسلة الحوارات العربية) تحرير وتقديم د. سعد الدين إبراهيم، ١٩٩٠، عمان.

النقد والإعتراض والآخذ والعطاء وبالتالي التعايش في إطار من السلم القائم على الحلائل الوسطى المتنامية... إن هذا يعني أن الأوضاع السياسية تتطلب كشرط أولى وجود فئة سياسية معترف بها تقوم بجانب السلطة الحاكمة بدور الجسر الذي ينقل إليها بصورة من الصور مطالب المحكومين ووجهات نظرهم ويجعل بالتالي من السلطة سلطة تمارس بنوع من التوسط، وبعبارة أخرى أن ما يميز الحكم الإستبدادي ملكياً كان أو جمهورياً أو عسكرياً عن الحكم غير الإستبدادي . ونوضح أنواع ودرجات ما زرعه هنا في المجال السياسي.

الحكم الإستبدادي حكم تكون فيه العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة مباشرة وتتضمنها العصا وحدها (راع وعين، وعصا ملازمة للراعي) بينما يتميز الحكم غير الإستبدادي بوجود طرف ثالث وسيط يكون هو ما إصطلح على تسميته في الفقه الإسلامي بأهل الحل والعقد الذين يقومون عن الأمة في إختيار الحاكم ويقومون بمراقبته نوعاً من المراقبة الشيء الذي يمنح الشرعية الضرورية لبقائه ويجعل الناس ينصاعون لأوامره طوعاً^(١).

وواضح أن المجال السياسي بهذا المعنى كان يوجد في كثير من أنظمة الحكم التي عرفها التاريخ وعلى رأسها نظام الخلافة في الإسلام (على الأقل كما شرع له الفقهاء) وكما صورت أيضاً في بعض فترات التاريخ الإسلامي وفي بعض الأقطار العربية والإسلامية وفي مقدمتها المغرب موضوع دراستنا.

من الناحية السياسية كان المغرب^(٢) هو الوحيد بين الدول العربية والإسلامية الذي بقي فيه المجال السياسي الإسلامي التقليدي قائماً منذ بدأت عملية تقنين هذا المجال في التجربة الحضارية العربية الإسلامية أي منذ العصر العباسي الأول الذي هو نفسه العصر الذي قامت فيه المغرب دولة مستقلة عن الخلافة العباسية (دولة الأدارسة) ومنذ ذلك الوقت والأسر الحاكمة المتعاقبة في المغرب (الأدارسة ثم المرابطون ثم الموحدون ثم المرينيون ثم الأسرة السعدية ثم الأسرة العلوية المعاصرة)^(٣).

ولقد تميز تاريخ المغرب الحديث بدور الصفوة أثبتته كتابات المؤرخين خاصة وقت تعرض الدولة للخطر سواء الخارجي بمعنى التهديد بالغزو أو وجود عدو على الأبواب أو الخطر الداخلي بمعنى إنتشار الفساد وإستعمال الظلم على الرعية. ولا تزال كثير من نصوص هذا النقد الجري محفوظة منها هذه الفقرة التي تقتبسها من رسالة الفقيه الحسن اليوسي إلى السلطان

(٢) منتدى الفكر العربي "عمان": التعددية السياسية وأصولها وآفاق مستقبلها (حالة المغرب) د. محمد عابد الجابري ص ١٠٧.

(٣) أحمد طاهر: أفريقيا فصول من الماضي والحاضر - دار المعارف ١٩٥٧م ص ص ١٣ - ٢٥.

(١) منتدى الفكر العربي: المرجع السابق ص ١٠٧.

إسماعيل (١٦٧٢ . ١٧٢٧)م الذي كان شديد البأس والبطش:

"فلينظر سيدنا فإن جباة مملكته قد جروا ذبول الظلم على الرعية فأكلوا اللحم وشربوا الدم وإمتصوا العظم ولم يتركوا للناس ديناراً ولا دنيا، وأما الدنيا فقد أخذوها وهذا شيء شهدناه ولا شيء طيبناه ثم أن أرباب الحقوق قد ضاعوا ولم تصل إليهم حقوقهم، فعلى السلطان أن يكف أيديهم عن الظلم ولا يغتر بكل ما يزين له الموقف، فإن كثيراً من الدائرين به طلاب دنيا لا يتقون الله تعالى ولا يتحفظون من المداهنة والنفاق والكذب".^(١)

ويظل دور الصفوة في العالم الثالث اليوم أكثر تأثيراً مهما كانت السلطة الإستبدادية، ولا شك أن مثل هذا النوع من الدراسات كفيلاً بأن يظهر حقيقة الأفكار التي يمكن أن تواجه المفاهيم الإستبدادية خاصة لو إمتلكنا هذه الصفوة بعض القيم مما يعصمها من الوقوع في الزلل لمجاراة الحاكم ونفاق من الخوف من السجون أو الطمع في الوصول إلى منصب أو الإستفادة من موقع.

وقد نجح المغرب العربي في الإحتفاظ بإستقلاله طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين بعد أن تم إجتياح الجيوش الفرنسية لكل من الجزائر ١٨٣٠م وتونس ١٨٨١م، إلا أنه ظل طيلة هذه الفترة يعاني من الدول الإستعمارية القابعة فيه غير فرنسا . مثل أسبانيا وألمانيا والتي لم تحدد الطرف الذي سيقوم بإستعمار هذا الجزء رغم أن فرحة فرنسا كانت كبيرة خاصة بعد عقدها الإتفاق الودي مع بريطانيا ١٩٠٤^(٢) (والذي أنهت بمقتضاه معارضتها لبقاء بريطانيا في مصر مقابل مساعدة فرنسا على مد نفوذها إلى المغرب، هذه الواقعة التي عرفها المغرب كانت نتيجة لشروط تاريخية، فمغرب ما قبل النصف الثاني من القرن ١٩م كان يعاني من شلل إقتصادي أثر على مسار تطوره وتقدمه

(٢) الناصري: الإستقصاء في أبناء المغرب الأقصى الرباط ١٩٩٠م - ج ٧ ص ٩٤.

(٣) أحمد نفاسكا: تطور الحركة العمالية في المغرب (١٩١٩م - ١٩٣٩م) بيروت ١٩٨٠م ص ص ٦٣ - ٦٧.

حيث إنتشرت الأوبئة^(١) والكوارث الطبيعية^(٢) إلى جانب تحول الطرق التجارية عنه، مما أدى إلى زعزعة أحوال الخزانة وأصبح المواطن بالكاد يجد ما يقتاته حيث إنخفض الدخل وقل الإنتاج وكسدت أحوال التجارة وإنخفضت قيمة العملة وساعد على تضخم المحن وبدائية وسائل الإنتاج.

الأوضاع الإجتماعية للمغرب قبيل عام ١٩٤٥م:

ومن الناحية الإجتماعية ظل الولاء للعشيرة والقبيلة حيث كان يحكم البوادي المغربية العرف والتقاليد أكثر من القوانين التي كانت مرفوضة من الجميع.

أما المدن المغربية فقد كانت أحسن حالاً نسبياً وخصوصاً الساحلية فيها ولكنها وجدت في تزامم البضائع الأجنبية نوعاً من الضياع الإقتصادي إنعكس أثره على مناطق الصناعة المغربية وأعلنت الكثير من الفابريكات (المصانع) الإفلاس وزاد عدد العاطلين. هذه العوامل سواء الإقتصادية أو الإجتماعية لا يمكن الفصل بينها وبين تطور الأحداث السياسية في منتصف القرن الـ ١٩ وبتفاهم الأزمة المالية بدأ الانقسام بين الحاكم والمواطن وبين المدينة والبادية وبين المجتمع والدولة^(٣).

وقد أدى الأمر بالسلطان بعد تحول الطرق التجارية ونقص أموال الخزانة أن عجز عن السيطرة على مقاليد الأمور فلم يستطع تعيين الجباة ولا رجال الشرطة في نواحي الريف المغربي، مما أدى إلى دور مهم للقبائل لكي تقوم مقام الدولة في حفظ الأمن وإستقرار الأمور، ولم يعد السلطان بقادر على التدخل في الشؤون الداخلية للقبائل وقد جعلت تلك الظروف التاريخية القبائل تشارك في جميع ما يصيب البلاد من مخاطر، كما يتدخل الأجنبي والكوارث الطبيعية واضطراب طرق التجارة مما أثر على السلم العام، ولا يمكن التحدث عن حالة إنشقاق إلا إذا رفضت إحدى القبائل أداء الدور المنوط بها، فبعض القبائل كانت خاضعة للضرائب أكثر من غيرها وأخرى كانت خاضعة للخدمة العسكرية وثالثة كانت في حالة إحباط^(٤).

الواقع التاريخي يشهد أن القبائل كانت إحدى الحالتين، فإما متروكة لأمرها نظراً لضعف

(١) جلال يحيى: المغرب الكبير (العصور الحديثة لهجوم الإستعمار - الدار العربية للطباعة والنشر) ١٩٦٦ ص ٣٤٦.
(٢) منها إنتشار الطاعون في سنة ١٨٨١ والذي إستمر لسنوات طويلة وجاء سوء محصول القمح المغربي ١٨٢٥ لكي يجبر البلاد على الإستيراد وبعد أن كانت بين الدول المصدرة لهذه السلعة وكانت أزمة ١٨٢٥ من أقوى الأزمات التي مرت بها البلاد ولم تقل في تسويتها إلا أزمة سنة ١٨٥٠ حيث إرتفعت أسعار القمح من أربعة إلى خمسة أضعاف مما تسبب في موت كثير من الأهالي نتيجة للمجاعة وإضطراب (المخزون) إلى شراء القمح من الخارج بأسعار مرتفعة مما أرق الخزان كما تسبب نقص المطر في هلاك البهائم وزاد الأمر سوءاً إنتشار العصابات وقطاع الطرق أنظر جلال يحيى - مرجع سابق ص ٣٤٨.
(٣) عبد الله العروسي: الجذور الثقافية والإجتماعية للتطور في المغرب - الرباط - مسبرد ١٩٨٠ ص ١٢٩.
(٤) جرمان عباس: دراسات للتاريخ المغربي - الرباط ١٩٨٣ ص ١٦٧.

الجهاز الحاكم وإما هي ثائرة ضد حاكم متعسف (ويطلق على الحالة الأولى إسم حالة شغور، والحالة الثانية حالة جور) وفيما عدا هاتين الحالتين كانت رعية ولم تكن سائبة، وعلى كل حال فإن أحداً لا يستطيع أن يتحدث عن أي حالة إلا إذا نظر في مركز حكم في حالة عجز قبل أن تكون إتهاماً للقبائل^(١).

وإذا نظرنا إلى أوضاع القبائل الإقتصادية والإجتماعية نجدها لم تتغير إلا بقدر ما تتغير من المطالب أو التعسفات وفي حالة الاعتدال فهي مرتبطة بخيوط ولاء. ولهذا السبب ضمت الكتابات الأجنبية في كلمة قصد الطعن في الدولة فيما جاءت النزعة الوطنية بردود إنكارية فأطلق الحديث توجد أبعاد النزعتين السالفتين الذكر ينفي على الباحث أن يستقصي في كل فترة حالات الضعف التي تعود إلى قصور في وسائل الدولة، وحينئذ ينصرف الإهتمام إلى كشف الذاتية للقبائل وآليات تنظيمها بدون تدخل مباشر للدولة المركزية.

ونلاحظ أن الإنفصام عن (حكومة السلطان التي لم تكن لها سلطات فعلية) وإبرازه بصورة أكبر من حقيقته من طرق الإستعماريين... فالإستعمار كان يحاول إظهار المغرب كبلد خالٍ من أي تنظيم سياسي أو جهاز قادر على تسيير البلاد ولذلك حاول التركيز على أن البلاد إنما يسود بها نظام بدائي يعتمد على تسيير القبائل لنفسها بنفسها دون وجود أي جهاز منسق بينها.

أما المخزن فقد تم تصويره كجهاز عسكري يقتصر على جمع الضرائب ودون أن يقوم بأي واجب تجاه هذه القبائل، إلا أن حقيقة الأمر تتمثل في الوجود الأجنبي (وبالذات الفرنسي) الذي خلق عدة صعوبات فمنذ منتصف القرن الـ ١٩م^(٢) أو داخل هذه الوضعية طرحت العديد من الأسئلة ومن بينها التساؤل حول الجهاز المخزني الذي كان يباشر الحكم والذي يسلم مقاليدته إلى الحماية الفرنسية عام ١٩١٢م.

إن المخزن في القرن لـ ١٩^(٣) عرف تطوراً مهماً بحيث أصبح يتكون من عدة وزراء بعد أن كانت هذه المهام تنحصر في يد عدد قليل من الوزراء وفي عهد الحسن الأول كان هناك كتب تقسم إلى سبعة دواوين وكل ديوان يضم ما بين ٢٠، ٦٠ كتاباً وقد كان جل هؤلاء الكتاب يتلقون دراستهم للناس ومجموعة كبيرة منهم تتحدر من أصول أندلسية^(٤) على رأس هذا المخزن

(١) أحمد التوفيق: المجتمع المغربي في القرن ١٩ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ١٩٩٠ ص من: ٥٩٠ - ٥٩١.

(٢) عبد الله العروسي: المصدر السابق ص ١٥٨.

(٣) حلمي محمد عlish: المغرب الأقصى كما رأيته - دار الكتاب العربي للنشر والطباعة - القاهرة - د.ت ص ص ٢٣ - ٤٠.

(٤) لقد كان هناك تقليد مغربي منه تستمد الشرعية، تقليد البيعة والمشورة وطلب الفتوى والإعتراف بحق المعارضة والإعتراض، ومن الظواهر التي أخذت تكتسب طابعاً خاصاً خلال هذه الفترة ظاهرة البيعة المشروطة وخلع السلاطين عدم الوفاء بنصوصها. وكانت آخر هذه البيعات المشروطة قبل الحماية الفرنسية ببيعة السلطان عبد الحفيظ التي تمت على إثر خلع أخيه عبد العزيز الذي تقاعس عن دفع

يوجد السلطان والذي كانت تتم توليته بمقتضى البيعة التي تُعتبر بمثابة عقد بين السكان من جهة والملك من جهة ثانية وعلى الطرفين أن يحترما هذا العقد، وكانت هذه النتيجة متمثلة في مبايعة السلطان جميع الفئات الإجتماعية وكذا جميع الأقاليم بمدنها وهذا ما أعطى للسلطان عدة صلاحيات كان يعتبر إمام المسلمين وحامي الشرع كما كان قائد الجيوش ومن يرد إليه الحكم.

إلا أن كلمة المخزن في مغرب القرن الـ ١٩ كانت لها عدة معاني، فالمعنى الضيق يضم الإداريين والجيوش والذين يتلقون رواتبهم من الخزينة السلطانية ومن هنا جاءت كلمة المخزن بمعنى النخبة الحاكمة والمخزنية بمعنى رجال الأمن وبهذا المنظار الأخير كان ينظر الفقهاء والأجانب للمخزن.

أما المخزن بمعناه الواسع والذي ينطبق على جملة المجموعات التي جندت بها أفراد المخزن الضيق: الخاصة قبائل الكبيش . الشرفاء . الزوايا المتواجدة في الوادي، والذين يتلقون الهدايا وبإستطاعتهم الحصول على التوقيع والإحترام، ويظل المخزن بمفهومه الضيق والواسع يشكله مجموع السكان لأن المخزن يستند على القوات المحلية لأن لهذه الأخيرة مكانها داخل المخزن، وداخل هذا الإطار ظل القواد هم ممثل السلطة المخزنية وطرح مفهوم أساسي طال حوله النقاش وهو مفهوم القيداوية^(١).

وسنحاول التطرق إلى المخزن معتمدين على وجهة نظر بول باسكون Poul Pascon في هذا الصدد حيث يرى بأنه يمكن تقسيم وجهات النظر التي يتعرض لها المفهوم إلى ثلاث:

الأولى: وهي التي تم تطويرها والتي ترى بأنه في البقع الخالية التي لم يصل إليها الحكم المركزي يتقوى النفوذ الشخصي داخل هذا الإطار الخارج عن الحكم المركزي يتقوى الأفعار^(٢) (رئيس المجلس ويطمح لأن يكون قائداً مخزنياً).

الثانية: ترى أنه عند إقتراب الجيوش المخزنية فأن على القبيلة أن تقوم هذه الأجهزة لمحاربة

الأوربية في أوائل القرن العشرين، لقد تضمنت تلك البيعة شروطاً محددة، منها أن يلغي السلطان معاهدة الجزية الخضراء التي كان أخوه عبد العزيز قد صادق عليه، وهي تعطي إمتيازات للدول الأوربية في المغرب ومنها إسترجاع المناطق التي إحتلتها فرنسا بشرق المغرب على الحدود الجزائرية ومنها إلغاء نظام الحمایات الفردية التي كانت تمنحها الدول الأوربية كحصانة دبلوماسية لعمالها بالمغرب ومنها إلزام السلطان بالرجوع إلى إستشارتها إذا عرض ما يتوجب معارضة مع الأجانب في أمور أو تجارية فلا يبرم أمراً فيها إلا بعد به علاقة وإتخاذ الوسائل للموافقة عن البلاد ورفع ضرر المكوس (الضرائب) وكف العمال عن الخطط الدينية وترك أحدث من الجمع المستسلم لإستبداد الرؤساء في القضايا والأغراض من نص البيعة وبالموافقة مع ظاهرة البيعة المشروطة التي بقيت إلى اليوم (شمل بيعة محمد الخامس والحسن الثاني نجدها من هذا النوع والتي كانت تعددية بلجوء الملوك إلى تنظيم إستشارات عامة وتشمل العاصمة والأقاليم) بدأت تظهر ابتداء من أربعينات القرن الماضي ومشاريع إصلاحية تحديثية في شكل مذكرات قدمها أصحابها إلى السلطان مطالبين بتحديث الجيش وإقرار نوع من الحياة النيابية، أنظر التعددية السياسية والديموقراطية في الوطن العربي - المرجع السابق ص من: ١١١ - ١١٢.

(٣) نقصد به القبايل الأجانب - أي الذين من خارجها - داخل القبيلة.

(١) الأفعار لفظ يعني رئيس مجلس قبلي.

هذا الجيش خوفاً من إحتضان المخزن لها، عند ذلك يتم إختيار قائداً أو أفعار الحرب، عند إنتهاء هذه المقاومة يصبح هذا الأفعار قائداً يربط بين الحكم المركزي والقبيلة.

الثالثة: هي التي تمثلها النزعة الوطنية وهي ترجع خروج القواد في الجنوب من عمل المستعمر لأن هذه الظاهرة لم تعرف أهميتها إلا مع فرض الحماية وبذلك تصبح القيداوية نموذجاً غريباً زرع بالمغرب^(١).

ركزت النظريات الغربية على أن تطور القيادات يتم خارج المخزن إلا أن المنطلقات التي إنطلقت منها لم تكن صحيحة، ذلك أنها حاولت التركيز على التعارض بين القبيلة والمخزن هذا التعارض غير موجود، ذلك أن المخزن لم يكن يسعى للقضاء على القبيلة نظراً لأن هذه الأخيرة كمؤسسة لها مكانتها داخل الجهاز المخزني، أما عمليات خروج السلطان إلى القبائل فلم يكن يتعدى إطار المراقبة أو الزجر بالنسبة للمخالفين.

ومن الجدير بالملاحظة أن مجال نمو القيادات هو القبيلة فداخلها ظلت (الجماعة) تلعب الدور الرئيسي، فقد كانت بيدها جميع السلطات سواء التشريعية أو التنفيذية وكانت تقوم هذه الجماعة بالإنخاب سنوياً هذا هو الذي سيصبح فيما بعد قائداً يتم تعيينه، وتلعب الجماعة دوراً كبيراً في توليته لهذا المنصب، نظراً لأنها هي التي توافق على التعيين خصوصاً في المناطق البعيدة فإن رأي السكان يكون مهماً^(٢). إلا أن هذه القاعدة لم تكن عامة، فبجانب هؤلاء القادة كان هناك القواد الذي يتم تعيينهم من طرف السلطان ويكونون من غير المنطقة التي يتم منها تعيينهم بحيث أنهم ينتمون في الغالب إلى عسكر السلطان، وفي كلتا الحالتين كان على القواد تعزيز موافقتهم داخل القبائل^(٣) التي يباشرون فيها الحكم، إضافة إلى هذا كان على القائد أن يكون شرطة خاصة به يستطيع الدفاع عنه وحفظ الأمن الشيء الذي دفع بالقائد أن يوسع نفوذه ويمتلك الأراضي الشاسعة، ويتحكم في التجارة لكي يستطيع أن يحكم والدراسة التي قام بها أحمد التوفيق لمنطقة ليتولتان تبرز عملية تعيين القائد وكذا نفوذه بالمنطقة فالقائد الجبلالي تمت توليته بواسطة الشيوخ أي أعيان (المنطقة وهم في ذلك بين إرتعاب فوائد التعزيز وإحتساب بمواقب المخالفة) ولقد كان أسس هذه القيادة زيادة الأملاك والدخل لأن الجبلالي كان عليه أن يعطي كثيراً وأن يكون مبدراً كبيراً^(٤).

(٢) بول ياسكون: فوز مراکش الرباط ١٩٨٣ ج ١ ص من: ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٣) عبد الله العروسي: المرجع السابق ص ١٦٢.

(٤) (المهدي نبوتة: المغرب السنوات الحرجة - كتاب الشرق الأوسط ١٩٨٩م، الرباط، ص ص ١٠ - ٣٢.

(٤) أحمد التوفيق: المرجع السابق ص ٥٩٢.

لذلك كان المخزن^(١) يفضل الأعيان نظراً لأن لديهم من الثروة ما يمكنهم من فرض سيطرتهم على العامة.

(٥) ادو بواهن: تاريخ أفريقيا العام. أفريقيا في ظل الإستعمار ١٨٨٠ - ١٩٣٥ م - المجلد السابع - اليونسكو ١٩٧٧م ص ص ٩٨ - ١٠٢.

المبحث الثاني:

أوضاع السنغال قبيل عام ١٩٤٥

الأهمية الاستراتيجية للسنغال:

السنغال اسم يشتق من الكلمة البرتغالية التي تعني المستنقعات التي تسد الساحل. وتقع في القسم الشمالي الغربي من القارة الأفريقية بين دائرتي عرض ١٨° □ ١٢°، ٤١° □ ٤٦° شمالاً وخط طول ٢١° □ ١١°، ٣٥° □ ١٧° غرباً. ويحد السنغال من الغرب المحيط الأطلسي (الأطلنطي) ومن الشمال نهر السنغال ودولة موريتانيا، ومن الشرق نهر ياييم ودولة مالي ومن الجنوب غينيا بيساو وجمهورية غينيا وتوسطها جمهورية غامبيا بمساحة تقرب من عشرة آلاف كيلو متراً مربعاً^(١).

وتعتبر السنغال بوابة أفريقيا الغربية ومفتاح كنوزها وعقدة اتصالاتها، كما أنها تعتبر أكثر أقطار غربي أفريقيا تطرقاً نحو الشمال بمساحة تزيد عن مائتي ألف كيلو متراً مربعاً وتطل على ساحل المحيط الأطلسي بمساحة ستمائة كيلو متراً مربعاً^(٢).

والسنغال جزء من حوض سنغامبيا الرسوبي الذي تكون في نهاية الزمن الجيولوجي ويرتكز القسم الشرقي منها على الصخور البللورية القديمة والتي تظهر شواهد فيها على حدودها مع مالي وغينيا، بينما القسم الغربي من شبه جزيرة الرأس تظهر التكوينات البركانية التي حدثت في الزمن الثالث الجيولوجي وهي المسؤولة عن تضاريس جزيرة "جوريه" وتعتبر السهول الرسوبية التي لا تزيد مساحتها عن ٢٠٠ كيلو متراً مربعاً وهي الظاهرة الغالبة على تضاريس السنغال وتغطيها الرمال الحمراء (أصبح يسمى حالياً نهر سالوم). ويعرف حوض سنغامبيا ثلاثة أنهار هي نهر السنغال، نهر غامبيا، نهر كازامانس^(٣). وتعد السنغال أكثر الدول المدارية قرباً واتصالاً بالأوروبيين، كما أنها تقع في منطقة انتقال بين أفريقيا الغربية شمالاً وأفريقيا الزنجية جنوباً^(٤) وتقع السنغال ضمن الإقليم المداري الممطر صيفاً وتتراوح كمية الأمطار بين ٢٠ . ٦٠ بوصة ومعظم أراضيها تقع في المنطقة الصحراوية^(٥)، بينما تتركز المناطق الزراعية في الأراضي الواقعة ما بين نهر السنغال الذي يقطع البلاد وطوله ألف وسبعمائة كيلو متراً ومدينتي داكار وسانت

(١) Regive uan chi, the Atlas of Africa, Paris 1973 P113

(٢) عبد الرحمن محمد الصالحي: دليل الدول الأفريقية - الجمعية الأفريقية القاهرة ١٩٩١ ص ١٨١.

(٣) عبد الغني سعودي: أفريقيا شخصية القارة - القاهرة ١٩٩٨ ص ٢٦١ - ٢٦٢.

(٤) فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية أفريقيا - دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء الإسكندرية ١٩٨٧ م ص ٢٤٤.

(٥) Azan. F: Notice sur oaluo revuematiter Colombia 1974 P. 496.

لويس^(١).

وتتباين الحياة النباتية في السنغال من حشائش الاستبس التي تمتد جنوباً حتى داكار ويليه سافانا شجرية جافة حتى غامبيا وسافانا شجرية رطبة في كازامانس Casamance.

تمثل الزراعة عماد الاقتصاد السنغالي ويعمل ثلاثة أرباع السكان في السنغال بالزراعة وتمارس الجماعات القبلية المعروفة بإسم (الولوف، السيرر)^(٢) زراعة الذرة الرفيعة والبقول السوداني، ويمثل البقول السوداني ثلاثة أرباع قيمة الصادرات كما أنه يشغل نصف المساحة المزروعة فيها، ويكون هذا المحصول معظم الصادرات الزراعية حيث يزرع بكميات كبيرة جعلت السنغال رابع دولة منتجة له على المستوى العالمي كما أنها ثاني دولة في الصادرات من البقول السوداني بعد نيجيريا في أفريقيا، وتتركز زراعة البقول السوداني في الجنوب في منطقة اسمها كاؤلاك Kaolack وكان لهذا المحصول أثره في جذب أيدي عاملة معظمها من غينيا ومالي للعمل الموسمي في زراعته وحصاده، وتقوم السنغال بعصر معظم المحصول ثم تصدره إلى الخارج وخاصة فرنسا.

وينقسم السنغال إلى ثمانية أقاليم إدارية هي على النحو التالي^(٣) كاب فيرو، كازامانس، ديوريل، فايف، سنجال، أورينتال سيبين، سالوم.

هذا ويضم إقليمي سيبين وسالوم أكبر عدد من السكان ويليه إقليم فيرو^(٤) والمناظر الطبيعية للسنغال تكاد تكون على وتيرة واحدة، فهي منطقة ساحلية تميل إلى الغرب قليلاً تخترقها أخاديد يميل عمقها إلى مائتي متر حفرتها أنهار السنغال، سالوم وكازامانس^(٥).

وفي منتصف القرن الخامس عشر تحولت هذه المنطقة إلى دولة السنغال ويتكون الساحل في الشمال من مصب نهر السنغال حتى شبه جزيرة الرأس الأخضر من تلال رملية^(٦). ومن الجدير بالذكر أن البرتغاليين هم من أول من إرتاد الرأس الأخضر واكتشفوا دولة السنغال.

(١) مدينة داكار تأسست عام ١٨٥٧ كمحطة ملاحية للسفن الفرنسية، وعندما أنشئت السكك الحديدية في غرب أفريقيا امتدت إليها في عام ١٨٨٥، مما جعلها محل مدينة سانت لويس كميناء رئيسي لتصدير البقول السوداني إلى فرنسا أنظر خريطة توزيع موانئ أفريقيا في كتاب فتحي محمد أبو عيانة - المرجع السابق ص ٢٤٥.

(٢) هدى محمود نايل: مملكة الجولوف في القرن التاسع عشر - معهد الدراسات والبحوث الأفريقية - القاهرة ٢٠٠٥ ص : ٦-٢.

(٣) جمال حمدان: أفريقيا الجديدة، دراسة في الجغرافيا السياسية - دار النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٦ ص ٥٥.

(٤) محمد محمود ربيع: موسوعة العلوم السياسية، جامعة الكويت ١٩٩٤م ص : ٣٦٤ - ٣٦٦.

(٥) محمود شاكر: السنغال (مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقيا، المكتب الإسلامي - بيروت ط ٢ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ص : ٩ - ١٢).

(٦) إجلال رأفت: صراع القوى السياسية في السنغال بعد الاستقلال وإتجاه السياسة الفرنسية نحو الصراع، رسالة دكتوراه غير منشورة - معهد الدراسات والبحوث الأفريقية - جامعة القاهرة ١٩٧٨ ص ٥٢.

ورغم إنتماء الغالبية العظمى من السكان في السنغال إلى العرق الزنجي الأصيل إلا أنه يمكن تقسيمهم إلى عدة سلالات تجمعت في شعوب وقبائل اختلفت في اللغات والديانات والتقاليد^(١) وعرفت هذه المجتمعات نظام حكم يقترب من النظام الجمهوري الحديث ونظام ملكي يتمثل في العنصر النسائي حيث أن الدم الملكي في هذه المجتمعات كان يتوارث عن طريق الأم^(٢) وقد سكنت في السنغال مجموعة من القبائل التي كانت تدين بالديانة الإسلامية، سيطرت على هذه البلاد في فترة العصور الوسطى حتى مطلع العصور الحديثة حين قدوم المستعمر الأوروبي وقد أطلق على المنطقة إسم السنغال بعد أن استقرت بها قبائل صنهاجة البربرية في القرن الحادي عشر الميلادي.

والواقع أن المجموعات العرقية التي استقرت في السنغال، تضم قبائل عديدة والمجموعات العرقية بها تتفرد قبيلة واحدة فيها وهي قبيلة الولوف^(٣) بتشكيل نحو ثلث شعب السنغال ولعنتهم هي السائدة، كما أنها القبيلة السائدة في النصف الشمالي من السنغال وجزء منهم ينتشر أيضاً في شرقي البلاد وبينهم قبيلة الفولاني الذين ينتشرون في مناطق واسعة في منطقة غرب أفريقيا، ثم تليهم قبائل الديولا والتوكلور وهم من بقايا المرابطين. ثم هناك قبيلة السير التي تتركز في شمال غمبيا وهم من أمهر زراع السنغال ويقومون بالزراعة وتربية الحيوان في آن واحد^(٤).

وقد تمكن الولوف من السيطرة على ملوك السير، سين سالوم، حتى وصل بهم الأمر إلى أن فرضوا سيطرتهم على منطقة السنغال كلها^(٥). ولكن سرعان ما تلاشت مملكة الجولوف أو الولوف عندما دخل ملوكها في صراع فيما بينهم إلى جانب الصراعات التي نشبت بينهم وبين الممالك المجاورة، وفي نفس الوقت تعرضت مملكتهم للكثير من الغزوات الخارجية^(٦) ونتيجة لانهايار مملكة الولوف فقد انقسمت السنغال إلى ثلاث مقاطعات، تتمتع كل منا باستقلال ذاتي وهذه المقاطعات الثلاثة هي: والو Oualo، كيور Cayor و باول Baol^(٧).

(١) محمود شاكر: مرجع سابق ص ٩.

(٢) إجلال رافت: مرجع سابق ص : ٥٢-٥٦.

أنظر أيضاً محمد عوض: السلالات والشعوب الأفريقية - القاهرة ١٩٦٥ ص : ٢٠ - ٢٥.

(٣) هدى محمود نايل: مرجع سابق ص : ١٠ - ١٢.

(٤) A. J. P, La société wolof les systemes Dinégaliné et de domination bivan (Senegal) 1981 P.P 13 - 14

(٥) هدى محمود نايل - مملكة الجولوف مرجع سابق ص : ٥٣ - ٥٥.

(٦) عبد الرحمن زكي: تاريخ الدول الإسلامية السودانية في أفريقيا الغربية - القاهرة ١٩٦٦ ص : ١٦ - ١٧.

(٧) محمود فريد زمزم: السنغال تحت الحكم الفرنسي ١٨٨٥ - ١٩٦٠ رسالة ماجستير غير منشورة - القاهرة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٧٤ ص ١٣.

■ إنتشار الإسلام في السنغال:

لعب المرابطون الدور الأكبر والأساسي في نشر الإسلام في القارة الأفريقية وبالذات في منطقة الشمال والغرب وكانت السنغال من أهم المناطق التي اختصوها بالجهاد ونشر الدعوى ونجحوا في القضاء على الحواجز الطبيعية التي كانت تعوق إنتشار الإسلام، حيث لم يعد نهر السنغال يشكل حاجزاً في البلاد الوثنية بل أصبح قاعدة إنطلاق لتيار الدين إسلامي، لم يجد ثمة ما يحول دون إنتشاره فالغالبية العظمى من شعب السنغال قد وافق وارتضى العقيدة الإسلامية ووصلت نسبة المسلمين إلى ما يزيد عن ٩٠% من التعداد الكلي للسكان^(١).

وينقسم المسلمون في السنغال إلى طوائف دينية متعددة، ومن أبرز هذه الطوائف طائفة الطريقة التيجانية^(٢) وقد انتشرت هذه الطريقة إنتشاراً واسعاً في أفريقيا الغربية عبر الصحراء الموريتانية وكانت هذه الفرقة الباعث الأول لكل الحركات الدينية المكافحة للإستعمار^(٣).

أما ثاني الطرق الصوفية العظيمة التي استقرت في السنغال فهي الطريقة المريدية وهي من الطرق الصوفية التي وجدت طريقها إلى غرب أفريقيا وتنسب هذه الطريقة إلى الشيخ "أحمد بامبا" ولقيت هذه الطريقة تأييداً من المناطق الريفية يفوق تأييد سكان الحضر لأنها أكثر تسامحاً، وكانت الزراعة هي شعار المريدية. وهذه الطريقة لها قوتها الروحية وتأثيرها السياسي ونفوذها الاجتماعي لأنها تنتشر في جميع أنحاء بلاد السنغال^(٤). أما ثالث هذه الطرق الصوفية الصوفية التي انتشرت في السنغال فهي الطريقة القادرية والتي تنسب إلى "الشيخ محمد محي الدين عبد القادر" الذي ولد في مدينة جيلان، ويرجع إنتشار القادرية في غرب أفريقيا إلى جهود "الشيخ عثمان بن فودي"^(٥).

وتعتبر الطريقة المريدية ومبادئها هي الأكثر تأثيراً من هذه الطرق الصوفية حيث كانت

(١) المرابطون لفظ مشتق من كلمة رباط، وهو المكان الذي ينزل فيه المسلمون لمنازلة أعدائهم ويتجمعون به ، ويقال أن لفظ المرابطين مشتق من الرباط الذي إتخذه عبد الله بن ياسين في جزيرة السنغال، فأطلق على أتباعه عندما أبدوا كثيراً من الصمود وأحرزوا الكثير من الانتصارات في العديد من المواقع الحربية التي خاضوها ضد من تعبدوا للدعوة الإسلامية، أنظر حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية - القاهرة ١٩٦٣م ص: ٢٢١ - ٢٢٦.

(٢) تعتبر الطريقة التيجانية هي ثاني أوسع وأكبر الطرق الصوفية إنتشاراً في القارة الأفريقية وخاصة في الجزء الغربي من القارة الأفريقية يتركز أتباعها في السنغال تركيزاً شديداً في منطقة القوتاتور في أقصى الشمال الشرقي للسنغال وهي طريقة تنسب إلى الشيخ العباس بن أحمد بن محمد بن مختار التيجاني، أنظر محمود شاكر: مرجع سابق ص ٥٥، وأنظر أيضاً سحر صلاح الدين: الطريقة التيجانية - رسالة ماجستير غير منشورة - معهد الدراسات والبحوث الأفريقية - القاهرة ٢٠٠٥ وأنظر أيضاً:

Abun – Nasr Gambil: The Tiganiyya London 1976 P. P. 33 – 38.

(٣) محمد ولد سيدي محمد ولد أحمد: الإصلاح الإسلامي في غرب أفريقيا (الحركة الإيمانية في قوتاتور ١٧٧٦ - ١٩٣٤م) رسالة غير منشورة - معهد الدراسات والبحوث الأفريقية - القاهرة ٢٠٠١ ص ١٤٠.

(٤) عبد الله عبد الرازق: الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا - القاهرة ١٩٩٩ ص ص: ٢٥ - ٨٨.

(٥) حسن أحمد محمود: الثقافة العربية - مرجع سابق ص ٢٢٨، وأنظر أيضاً عبد الله عبد الرازق: الصوفية - مرجع سابق ص ٩٥.

العنصر الأساسي في صياغة الدور السياسي والاقتصادي في السنغال، وذلك لأنها تمتاز عن غيرها من الطرق بأنها أشد صلابة من حيث الهيكل التنظيمي ووضوح الدعوة وسهولة الإسلوب الذي اتبعته مما كان له قوة تأثير أكثر من الطرق الصوفية الأخرى. وتتميز الطريقة المريدية بأنها راعت التقاليد والعادات الأفريقية مما جعل السنغاليين يقبلون على دعوتها وهذا هو الذي جعلها التيار الأيديولوجي الذي يسيطر على نسبة كبيرة من عقول المواطنين وإستيعابها^(١). والجدير بالذكر أنه رغم تعدد المذاهب والطرق الصوفية ورغم الاختلاف في الجنس واللغة والثقافة إلا أن هذه الاختلافات تكمل بعضها البعض وتشكل اتحاداً إقليمياً خالياً من العنصرية العرقية والدينية^(٢).

وبالنسبة للسنغال يدور محور المجتمع في السنغال على أساس الجماعة المتآلفة بين الفئات المتعددة، كما أن هناك الارتباطات والدالات الأولية التي توحد ما بين الفرد والمحيط الاجتماعي، والتي تعود بالنفع على الجميع بلا استثناء وبلا تقارب في المصالح فهو مجتمع جماعي المعيشة حيث يتركز في الاهتمام على الجماعة، وهذه هي السمة الرئيسية للشعب السنغالي بفضل إنتمائه إلى أفريقيا قبل أي شيء^(٣).

ثالثاً: السنغال كمدخل للتوسع الفرنسي في غرب أفريقيا:

لقد احتلت السنغال موقعاً فريداً ومميزاً قبل أن يظهر اسم السنغال على الخريطة الجغرافية بأفريقيا. ووفد إليها العديد من الوافدين الأوروبيين وأخذوا يستقرون في منطقة النهر الواقع بين مرتفعات فوتاجالون وشبه جزيرة الرأس الأخضر.

وتعد السنغال أول إقليم على حافة الصحراء الكبرى يتم إكتشافه ويخضع للإستعمار الأوروبي منذ عام ١٤٤٤م، وكانت البرتغال هي الدولة الوحيدة التي تملك محطات على الساحل وكانت تقدم زيارات وتعدّد معاهدات صداقة مع ملوك السنغال، وأقامت وكالات تجارية بها واستقر بعضهم وظهر مع مرور الوقت جيل من الخلاصة^(٤) في منطقة الكازامانس، ومازالت

(١) إجلال رافت: الدور السياسي للإسلام في السنغال (دراسة تحليلية للطرق المريدية) سلسلة بحوث سياسية - مركز البحوث والدراسات السياسية - كلية الإقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٨٩ ص: ١٥ - ٢٥.

(٢) الصوفية لم تجد بين العلماء إتفاقاً على أصلها، فمنهم من قال أن الصوفية إسم مشتق من الصوف بوصف اللباس الغالب على هؤلاء المتصوفة، والبعض يرى أن الصوفية هي العكوف على العبادة والإنقطاع إلى الله تعالى. وقد مرت الصوفية بعدة مراحل إبتداء من القرن السادس عشر حتى التاسع عشر وأصبحت تمثل نشوة دينية وإتخذ المجتهدون في الدين الإسلامي وسيلة للتقرب إلى الله واللجوء إليه لمواجهة الأخطار الإستعمارية، أنظر ياسين رشدي: التصوف ما له وما عليه - القاهرة ١٩٩٣ ص ١٥، وأيضاً عادل طه يونس: المسلمون في العالم - القاهرة ١٩٨٠ ص ٣٥.

وأيضاً أحمد توفيق عياد: التصوف الإسلامي (تاريخه ودراسته، وطبيعته وأثره) - القاهرة ١٩٧٠م - ص ٤٥.

(٣) إجلال رافت: الدور السياسي للإسلام، مرجع سابق ص: ١٨ - ٢٥.

(٤) الخلاصة Metissage ظهرت نتيجة لانخراط جماعة سنغالية على طول ساحل المحيط الأطلسي مع البرتغاليين، وتزاوجوا وإنصهروا معهم، ثم نشأ جيل آخر بين مواطنين فرنسيين وإمتلكوا الجنسية الفرنسية كما لو كانوا فرنسيين في المنشأ والأصل، أنظر: محمود فريد زمزم، مرجع سابق ص ١٤٧.

حتى اليوم جماعات من الخلاسيين في زينجينوكور Zinguinchor يستخدمون اللغة البرتغالية في تعاملاتهم الاجتماعية والتجارية^(١).

ولم يلبث الأفريقيون أن ضاقوا ذرعاً بالسيطرة البرتغالية وخاصة بعد إنهيار أحوال البرتغال ووقوعها في براثن الاحتلال الأسباني سنة ١٥٨٠م وكانت من نتيجة ذلك أن نشطت حركة التنافس بين تجار الدول الأوروبية للحصول على امتيازات تجارية لتشجيعهم على التجارة وتحميمهم من أي أخطار تهددهم^(٢). ولعبت الشركات التجارية الفرنسية الدور الأكبر في إرساء قواعد مستعمرة السنغال، ومن الواضح أن أعمال هذه الشركات قد وطدت حق فرنسا التاريخي على ساحل غرب أفريقيا وقد أشدت فيه الصراع والتنافس الدولي بين كثير من الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا، ولم تصبح السنغال مستعمرة فرنسية حقيقية إلا في عام ١٦٢٦م بفضل نشاط التجار الفرنسيين^(٣)، ولم تزل الدول الاستعمارية الأخرى بجانب فرنسا التي تقود الحركة الاستعمارية في أفريقياً أو منفردة في ميدان غرب أفريقيا، بل إشتد التنافس بينهم لإقتسام القارة، مما عجل بعقد مؤتمر برلين عام ١٨٨٤، ١٨٨٥ وذلك لتقسيم القارة الأفريقية بين الدول الأوروبية الكبرى، حيث قسمت مناطق النفوذ والاحتلال لمعظم أراضيها ووضعت قواعد منظمة لطرق السيطرة على الملاحة في نهر الكونغو والنيجر، ورسمت بنود المؤتمر الطريق اللازم لتمكين كل دولة أوروبية من الحق في الاستيلاء على أية أراضي أفريقية تريدها^(٤). وقد تمت عملية التوسع الفرنسي في غرب أفريقيا على مراحل وخطط، ولعبت الشخصيات السياسية في فرنسا دوراً هاماً في تشكيل الإمبراطورية الفرنسية وتصارعت مع الدول الأوروبية لتفوز بالوصول إلى أنهار الزيت^(٥). وظلت السنغال تحت رحمة الصراعات وعملية التوسع حتى تمكنت فرنسا من تشكيل إمبراطوريتها الثانية، وذلك بفضل وزير خارجيتها هانتون Hanton الذي سعى إلى تنفيذ أهداف فرنسا التوسعية، والرغبة في ربط داكار في غرب أفريقيا وجيبوتي في الشرق بشبكة مواصلات تمكن فرنسا من التحكم في البلاد الواقعة على جانبي هذا الخط^(٦). لقد كانت السنغال حجر

(٢) Garvier, christine: Philippe erviont sénegal port de l'a frique, Hachette, paris 1962 – p.p 71 – 78.

(٣) Des chenps, Hubert, le sénegal et la ganbie, fue raisle paris 1964 – p.p 40 – 48.

(٤) محمد جلال عباس: التكاليف الإستعماري على السنغال: مجلة نهضة أفريقيا العدد ٣٤ - القاهرة ١٩٦٠ ص: ١٠ - ١١.
(٥) استطاعت فرنسا في تاريخها الإستعماري في العصر الحديث أن تكون الإمبراطورية الأولى في القرن الثامن عشر والتي تقوضت أركانها في أعقاب هزيمة نابليون في معركة ووترلو ١٨١٥ وكانت تشمل هذه الإمبراطورية كندا وبعض أجزاء من الهند وبعض جزر المحيط الهندي، أما الإمبراطورية الثانية فقد بدأت في القرن التاسع عشر وضمت معظم دول شمال أفريقيا وأجزاء كبيرة من غرب أفريقيا، أنظر زاهر رياض: إستعمار أفريقيا - القاهرة ١٩٦٥ ص ١٥٣.

ومن الجدير بالذكر أن إمبراطورية فرنسا الثانية بدأت بإحتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ واستطاع الفرنسيون أن يمدوا نفوذهم في شمال أفريقيا وغرب القارة وهو ما يطلق عليه اسم (أفريقيا الغربية الفرنسية) ثم مدوا نفوذهم إلى أفريقيا الإستوائية الفرنسية وأما في شرق القارة الأفريقية لم ينجحوا إلا في إحتلال منطقة عرفت باسم الصومال الفرنسي بالإضافة إلى جزيرة (مدغشقر) ولم تنجح محاولات فرنسا المتعددة في ربط مستعمراتها الغربية ومستعمراتها الشرقية وفشلت أحلام وزير خارجيتها هاغوموفي، تحقيق ذلك أنظر: محمود فريد زمزم، مرجع سابق ص ٧٦.

(٦) Luned, armand, le sénegal (lausonne 1996) p.p 153 – 161.

(١) شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق: تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٩٨ ص ٢٧٩.

الزاوية في إقامة دوينيون، فرنسي شاسع الأرجاء في القارة الأفريقية، أشيع نهم فرنسا وحقق طموحها على المستوى الاقتصادي والسياسي لدرجة استطاعت بها أن تتحدى إنجلترا والدول الإستعمارية الأخرى قرابة أربعة قرون^(١)، وقد حاولت الحكومة الفرنسية تبرير إستعمارها بإتخاذ شعار نقل الحضارات إلى الشعوب الأخرى، وكانت تلك الحضارة في نظرهم تحويل السكان إلى الديانة المسيحية ونشر اللغة والثقافة الفرنسية واعتبر الفرنسيون أنفسهم بأن لهم واجباً حضارياً وعليهم الإلتزام به، وأطلقوا عليه عبارة فرنسية^(٢) وهى: Remplir motre niession civeatnic . ومن الغريب أن الفرنسيين لم يقبلوا هذا التبرير، وأدركوا أنه كان للتضليل ولإلباس الإستعمار ثوباً جذاباً.

فاندلعت حركات المقاومة في السنغال ضد التوسع الفرنسي والتي إستمرت أكثر من خمسة وعشرين عاماً ضد القوى الأمبريالية ويعتبر الزعيم ساموري توري^(٣) من الزعماء الأفارقة الذين لعبوا دوراً هاماً جسد فيه البطولة والمقاومة الوطنية ضد الغزاة الأوروبيين واستمر ساموري توري في المقاومة حوالي سبعة عشر عاماً حتى قبضوا عليه بعد أن أسس دولة إسلامية كبرى في منطقة أعالي النيجر، ويعتبر أيضاً الزعيم "البري نديا" Bri Nedyi حاكم السنغال في مقاومة الفرنسيين حتى توفى واتسعت الإمبراطورية الفرنسية الثانية ما بين عام ١٨٧٩ حتى ١٩٠٠.^(٤)

وقد تم وضع دستور للجمهورية الفرنسية وأسس هذا الدستور على مبادئ الإدارة الإستعمارية القائمة في السنغال ثم إمتدت هذه المبادئ إلى المستعمرات الفرنسية الجديدة في غرب أفريقيا وتطور نظام الحكومة في الأقاليم الفرنسية في غرب أفريقيا وكان شبيهاً بالهرم أي يتدرج من القاعدة إلى القمة، فيوجد ذوي المستعمرات في القمة وهو عضو في الحكومة الفرنسية ومسئول أمام الجمعية الوطنية في باريس ويليه في الأهمية الحاكم العام الذي يشرف على المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا ويتخذ من دكاكر مقراً له ويلي الحاكم العام حكام المستعمرات المختلفة ونوابهم^(٥). واحتلت السنغال مركزاً فريداً ومميزاً لدى فرنسا بالمقارنة ببقية

(٢) Lunel, arwand, o. p. ct. p. p. 150 – 15.

(٣)

(٤) علي إبراهيم عبده: المنافسة الدولية في أعالي النيل - القاهرة ١٩٥٨ ص: ٤٥ - ٤٧.
(٥) ساموري توري ولد عام ١٨٣٥ في سافتكور بغينيا الفرنسية وإعتنق الدين الإسلامي وعرف الكثير عن الجهاد الإسلامي وجمع حوله عدداً كبيراً من الشباب الذين وجدوا فيه قائداً يمكن أن يجمع شملهم في دولة إسلامية كبيرة وتحدى القوى الأوروبية بكل صبر وبسالة واتخذ لنفسه لقب أمير المؤمنين وصار هذا القائد المسلم حاجزاً ممتنعاً ضد طموحات فرنسا وإستمر في المقاومة فترة طويلة نجح في تكبيدهم خسائر طائلة، أنظر: Petsony: Histoire de l'afrique noire, du paris 1970 p. p. 109 – 120.

(٥) البري نديا كان حاكم السنغال من ١٨٨١م حتى ١٩٠٠م وإعتنق الدين الإسلامي وحارب الفرنسيين وإمتاز بالمهارة العسكرية والدبلوماسية الحكيمة وأظهر تفوقه على كل زعماء السودان الغربي أنظر: هدى نايل - مملكة الجولوف - مرجع سابق ص ص ١٧٠ - ١٧٥.

(١) نصر الدين رشوان: دولة ساموري في غرب أفريقيا (١٨٧٢ - ١٨٩٨) رسالة دكتوراه غير منشورة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - جامعة القاهرة ١٩٧٨م - ص: ٤٠ - ٨٩.

أقاليم غرب أفريقيا الفرنسية لذلك وضعت فرنسا فيها جهاز أمن الموظفين الفرنسيين المستبشرين الخاضعين للحكومة الفرنسية في باريس، ولم يكن للشعب السنغالي أي رأي في الطريقة التي تطبق في الحكم^(١).

وقد جعلت فرنسا حاكم السنغال حاكماً عاماً لإتحاد أفريقيا الغربية الفرنسية A. O. F. والتي أنشأتها فرنسا عام ١٨٩٥ وكانت السنغال العليا التابعة لهذا الإتحاد الذي شمل السودان (مالي حالياً) وغينيا وساحل العاج وموريتانيا وداهومى وفولتا العليا والسنغال وإختارت فرنسا داكرا مقرأً للحكومة العامة لغرب أفريقيا عام ١٩٠٤^(٢). إن المبدأ الأساسي الذي دارت حوله فلسفة الحكم الفرنسي في السنغال منذ البداية هو الحكم المباشر Direct Rule وأمنت السياسية الفرنسية بأن البلاد الأفريقية التابعة ما هى إلا ضياع وأرض ملحقه بأراضيها الأوروبية وتخضع لنفس نظمها وطرق حكمها، ومن ثم فهى لا ترى ضرورة لوجود تنظيمات قبلية أو محلية تقوم بين إدارتها والأفارقة، بل عملت على تحطيم الزعامات القبلية والمحلية والعسكرية والإسلامية والوثنية حتى تتمكن من تطبيق نظمها الديكتاتورية^(٣) وقد قامت فرنسا بتقسيم السنغال إلى ثلاثة أقسام يختلف بعضها عن بعض:

القسم الأول: أطلق عليه لفظ الممتلكات الفرنسية وهى مناطق الإستعمار الفعلي ثم أطلق عليه فيما بعد قسمين آخرين بإسم الكوميونات^(٤) Coumunes ، وهذه المناطق هى: (سانت لويس . داكرا . روفلة جوريه)^(٥).

والقسم الثانى: المناطق الملحقة أو المدمجة Annexes وهى البلاد التي إحتفظ فيها السكان بقوانينهم وعاداتهم.

والقسم الثالث: يتضمن المناطق المحمية التي وضعت تحت الحماية الفرنسية^(٦) وأصبح أهالي الكوميونات مواطنين فرنسيين، وجعلت فرنسا من حق كل مديرية من الكوميونات الفرنسية إرسال

(٢) علي إبراهيم عبده: المرجع السابق ص: ٤٧ - ٤٩.

(٣) Crowdet, Michael, a study in French assimilation policy, Oxford univpress 1962 p. p. 120 - 128.

(٤) الحكم المباشر الفرنسي جعل رسم السياسة من سلطة الفرنسيين بمفردهم وشغل الفرنسيون جميع الوظائف السياسية وتولوا تنفيذ أوامر الحكومة وعينوا أنفسهم قضاة وكتبة ورجال تعليم وصحة وكان هذا الحكم يعني قبضة حديدية على كل السكان وحرمانهم من أية مساواة أو مزايا وعلى عكس الإستعمار الإنجليزي الذي كان يتبع سياسة الحكم غير المباشر Indirect rule إلا أنه كلا النظامين كانا يحققان الفائدة للمستعمرة والإستمتاع بخيرات البلاد المستعمرة وحرمان أهاليها من ثمره جهودهم، أنظر محمود فريد زمزم، المرجع السابق ص ١٢٦.

(٥) الكوميونات عبارة عن أقاليم يرأس كل منها مدير ينوب عن حاكم السنغال وتطبق فيها النظم والقوانين الفرنسية أنظر:

Basil Davidson: West Africa before the colonial era history to 1890 London 1988 P. P. 91 - 96.

(٦) تبعد جوريه عن داكرا ميلان وهى من الكوميونات الفرنسية الأربع ولها جذور تاريخية عميقة في تجارة الرقيق خلال القرن ١٦ حتى القرن ١٩ حيث كان المستعمر يحشد أعداداً هائلة من الرجال والنساء في هذه الجزيرة الصغيرة لنقلهم للعالم الجديد، أنظر:

Montiner, eduioud, France, and Africa, Paris 1969 - p. p. 49 - 60.

(١) زاهر رياض: الإستعمار الأوربي لأفريقيا - القاهرة ١٩٦٥ ص: ١٢٠ - ١٢٢.

مندوب عنها يمثلها في البرلمان الفرنسي في حين كان أهالي القسمين الثاني والثالث (المناطق المدمجة والمحمية) ليسوا سوى رعايا أو تابعين Sujet لا يتمتعون بحق التمثيل في البرلمان الفرنسي بباريس ولا الوصول إلى المناصب العليا في الحكومة أو الإلتحاق بالجامعات الفرنسية، بل كان عليهم نفس واجبات الفرنسيين أمام القانون الفرنسي ولم يكن لهم أي حق من حقوق المواطنة الفرنسية^(١). وإن في فرنسا ثلاث طبقات من الرئاسات هي رؤساء الأقاليم Chep di prove. وجعلت فرنسا منهم خلفاء للرؤساء الإقطاعيين ثم في الإدارة الفرنسية ثم رؤساء القرى Chep de village وكانت معهم الرؤساء في تنفيذ تعليمات الضابط التنفيذي الأعلى من الحكومة الفرنسية^(٢).

وعندما إشتكى السنغاليون من أجل الإرتقاء بمستوى الإدارة من الأراضي المدمجة والمحمية، أخذ الفرنسيون يحاولون إيهام الرؤساء الأفريقيين بأنهم ليسوا على المستوى الذي يجعلهم لاتقن للقيام بأعباء الإدارة ولذلك فليس لهم حق في التظلم من الرؤساء الفرنسيين، ورأت السلطة الفرنسية أن تضع هؤلاء الرؤساء الأفريقيين في وضع عملاء خاضعين لها حتى يتسنى لها السيطرة على الحكم ويصبح مركزياً ومهيمناً على كافة أشكاله وأوضاعه.

وبعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ بدا بعض الساسة الفرنسيين مضطرين إلى التغيير كوسيلة لإشراك بعض العناصر السنغالية في الحكم وزيادة تمثيلهم في برلمان الدولة الأم حيث أن السنغاليين لم يكن يمثلهم في البرلمان الفرنسي سوى نائب واحد، وبذلك منحت فرنسا للأفريقيين حقوق الإنتخابات الخاصة بمندوب السنغال^(٣) أو في إنتخابات المجالس الإقليمية للكوميونات الأربعة أو المجلس العام "Le conseil colonial" للمستعمرة الذي شمل السنغال بأكملها^(٤).

وبمرور الوقت إزدادت أهمية حاكم السنغال لدرجة أن كلاً من حاكم السودان الغربي (مالي) وحاكم منطقة الأنهار الجنوبية كان يخضع لحاكم السنغال والذي كان إسمه البوربا البري ندبا Borba Bri Nedyi وتقلد حاكم السنغال أمور البلاد مما أعطى السنغال مكانة مرموقة وخاصة أنها في موقع إستراتيجي هام على مواجهة أفريقيا الغربية^(٥).

Haily, Lord: An African Survey, London 1956 p. p. 551 – 554. (٢)

Ibid p. 558. (٣)

Barry. Boukakar: Memoire inedit de monserat sur l'histoire du nord Senegal de 1819 – 1839 Bifan (٤)
1970 P. 37.

(٥) أنشأت فرنسا المجلس العام للمستعمرة في عام ١٩٢٠ ليشمل السنغال كلها وذلك بعد إحتجاجات السنغاليين من جانب السكان الوطنيين ضد الإفتقار حتى تمثيل النواب على الكوميونات الأربع أنظر:

Harrissom Fhuch: R. :French west Africa London 1961 - p. p. 200 – 201.

(١) هدى نايل: مرجع سابق ص ١٣٠ - ١٦٠ وكلمة بوربا تعني باللهجة السنغالية (الولوف) ملك أو حاكم أو قائد.

لقد لعبت فرنسا سياستها الإستعمارية في السنغال وغيرها من المستعمرات الأفريقية على أساس بعض المبادئ البراقة في مظهرها التي أعلنتها الثورة الفرنسية وإستند الفرنسيون على أن جميع سكان المستعمرات يجب أن يكونوا مواطنين فرنسيين لهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات وعلى هذا الأساس وضعت فرنسا سياسة الإستيعاب Assimilation وكانت السنغال أول بلد أفريقي يطبق فيه الفرنسيون نظام الإستيعاب^(١).

علاقة جمهورية السنغال بأفريقيا الشمالية:

تقع السنغال في غرب أفريقيا بين موريتانيا شمالاً وغينيا جنوباً ومالي شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً. وتمتد على مساحة من الأرض تبلغ ٢١٠ ألف كم^٢ وكانت غامبيا تتوسطها كالوتد بمساحة ١٠ آلاف كم^٢ وهي منطقة سهلية تميل إلى الغرب قليلاً، تخترقها أخاديد يصل عمقها إلى ٢٠٠م حفرتها أنهار السنغال، سالوم، وكازامانس ويتكون الساحل في الشمال من مصب نهر السنغال حتى شبه جزيرة الرأس الأخضر من تلال رملية، وتظهر فيه الجزر المنقطعة بصورة قوية والتي جزأها البحر إلى جزر صغيرة كما هي جزيرة "غوريه" وعند الرأس الأخضر تظهر صخور إندفاعية (بازلت حديثة) حيث أن الرأس الأخضر عبارة عن تلين بركانيين أجريدين ولقد إتصل هذا التلين بالساحل بواسطة سهم رملي ونشأ في هذا المكان ميناء دكار.^(٢)

أما جنوب الرأس الأخضر فيعود الساحل إلى الأغناض ويكون رملياً وتوجد مصبات أنهار طينية وتكون عميقة يلح فيها البحر بصورة واسعة وخاصة في مصب نهر سالوم ونهر كازامانس.

وفي الشمال الشرقي من السنغال توجد منطقة شبه صحراوية يطلق عليها صحراء "فورلو" أما في الجنوب الشرقي فنوجد سفوح مرتفعات فوتاجالون التي لا يزيد إرتفاعها عن ١٢٠٠م.

وتقع بلاد السنغال بين خطي عرض ٣٠° ١٢' - ٢٠° ١٦' شمال خط الإستواء أي توجد

(٢) الإستيعاب البرتغالي Assimilation التي وضعها البرتغاليون في مستعمراتهم قبل فرنسا، أنظر: صلاح العقاد: المحميات الأفريقية في الإتحاد الفرنسي - القاهرة ١٩٦٢ ص: ٢ - ٩.

(٣) Carretete. F, and P Holle: De La Senegambie Francaise, Paris 1855 P. 113.

ضمن المنطقة المدارية لذا ينقسم العام فيها إلى فصلين: فصل جاف وفصل مطير^(١).

الفصل الجاف: يعتبر من أكتوبر إلى أواخر مارس وتهب في هذا الفصل رياح تسمى "رياح الحر مكان" وتأتي هذه الرياح من الشمال الشرقي، وسبيل وجود ضغط أعظمي على الشمال الشرقي من أفريقيا، بينما يسود في المناطق الإستوائية ضغوط حقيقية تستدعي الرياح من الضغط الأعظمي من الشمال الشرقي من أفريقيا. وهذه الرياح قارية بالمقام الأول تزيد في السعة الحرارية اليومية فتتخفض الحرارة صباحاً وترفعها بعد الظهر ويرافق ذلك تمدد شديد في درجة رطوبة الهواء، وتثير هذه الرياح الغبار كما أنها تحمل أرتال الجراد. وتختلف مدة هبوب هذه الرياح من شمال البلاد وجنوبها فتهب في الشمال من ثمانية أشهر بينما تتجاوز في الجنوب^(٢) الأغصان ثم هناك شجرة جوز الهند (النارجيل) وهي ذات أغصان خضراء كثيرة يانعة وذات الجذع الرقيق الملتوي الذي يمكن أن ينثني حتى يقبل إلى الأرض. ثم هناك شجرة النخيل الزيتية التي يستخرج منها الزيت، وتحتل هذه الشجرة المنطقة الرطبة من جنوب البلاد في إقليم كازامانس ولقد أصبحت هذه الشجرة كثيرة الزراعة وتقوم عليها الحياة الزراعية، وتتصف بطول ساقها وإستقامتها وبكثرة أوراقها وثمارها الخضراء القائمة وتمتلك السنغال^(٣) غابة مساحتها ٢.٤٩٠ ألف هكتار معظمها في القسم الجنوبي من البلاد.

أما عن الثروة الحيوانية فتتمثل في الرعي والزراعة والنعامة والجاموس الوحشي والكرديه ثم في القردة الكبيرة كالغوريلا والشمبانزي^(٤).

انتشار الإسلام في السنغال:

بدأ الإسلام ينتشر في بلاد السنغال ويصل إلى سكان تلك الجهات بإسلام بعض أفراد القبائل التي كانت تصل إنتقالاً إلى تلك المناطق وخاصة صنهاجة ويطونها حيث بدأ الإسلام ينتشر فيها منذ أيام عقبة بن نافع الفهري وازداد إقبال الناس عليه مع مرور الأيام كما إنتشر الإسلام بواسطة الدول التي إمتد نفوذها إلى بلاد السنغال أو عملت على نشره عن طريق الدعاة ومن هذه الدول:

أ. الأدارسة:

-
- (١) أحمد إسماعيل - آمال إسماعيل شاور - أفريقيا المعاصرة (البيئة والإنسان والتحدى) القاهرة ٢٠٠٥ ص ١٠٥.
(٢) Caltra. P: Histoire du Senegal Du Siecle 1970 a Paris 1910 P. P. 72 – 85.
(٣) Fernandes: Des Cription de la côte d'Afrique Bissau 1951. P. 7.
(٤) U. N. Survery of the economic & social conditions in Africa New York 1975 P. P. 157 – 161.

في عام ١٧٢ هـ وصل إلى المغرب إدريس بن عبد الله عبد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي نجا من معركة نخ^(١) وإتجه إلى المغرب فوصل إليها في أيام الرشيد، فالتف حوله البربر من صنهاجة وملتونة والملثمون^(٢) من إقليم "شنقيط" وبايعوه، فأقام دولة الأدارسة التي دانت لها بلاد المغرب كاملة وإستطاع الأدارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم إلى حركة جهاد مقدس بقصد إتمام نشر الإسلام في البلاد ومحاربة العقائد الشاذة وقد جاوز نفوذ الأدارسة منطقة المغرب الأقصى إلى الصحراء الكبرى التي تفصل المغرب عن إقليم السودان وديار الملتمين تحت ظل الأدارسة، وأصبحت جزءاً من أملاكهم لذلك زاد تحول صنهاجة إلى الإسلام. وانتشر بين الملتمين في القرن الـ ٣ الهجري بشكل واسع وكان إسلامهم ذا أثر بالغ في المغرب والسودان، فقد تمخض عن قيام تحالف قوي ضم قبائل الملتمين جميعها بزعامة لمتونة وأخذت هذه القبائل تعد العدة لتوسع جديد، ولم تكن الظروف تساعد على الإغارة على المغرب^(٣) بسبب قوة الأدارسة وحلفائهم من مصمودة والزنانيين، فلم يبق أمامهم إلا الاتجاه نحو الجنوب. ومما ساعد على هذا التوسع أنه كان يقوم على الجهاد إبتغاء مرضاة الله ونشر الإسلام بين القبائل الزنجية الضاربة في الجنوب، وكانت القبائل الملتمة حديثة العهد بالإسلام، وقد ازدادت أن تسهم في حركة الجهاد، كما ساعد هذه القبائل في التوجه جنوباً أن مملكة غانة الزنجية قد أصابها في ذلك الوقت الضعف والتفريق، فاستطاعت هذه القبائل التقدم نحو الجنوب ونشر الإسلام في غرب أفريقيا ومن ضمنها بلاد السنغال.

ب. المرابطون:

بعد ضعف دولة الأدارسة وانقسامها خضعت المغرب للأمويين في الأندلس، ثم خضع بعض أقسامها للفاطميين، وأخيراً عاد الأمويون لحكمها، وبشكل عام فقد ظلت البلاد المغربية مدة قرنين من الزمن غارقة في حروب وخلافات إنتهت بقيام دولة المرابطين^(٤).

في مستهل القرن الخامس الهجري آلت زعامة صنهاجة إلى يحيى بن إبراهيم الجدالي (نسبة إلى قبيلة جدالة) الذي هاله ما وصل إليه عون فذهب حاجاً وأثناء عودته أخذ يبحث في المراكز الدينية في شمال أفريقيا عن معلم تقي متعمق يصحبه إلى أبناء قبيلته الجهلة داعياً إلى

(١) معركة نخ حدثت عام ١٦٩ هـ في أيام الهادي، وكان قائد الثورة على الهادي الحسين بن علي بن الحسن وإستطاع أن ينمو فيها رجلاً لها تاريخ جليل وهما إدريس بن عبد الله الحسن بن علي بن أبي طالب مؤسس دولة الأدارسة هذه وأخوه يحيى الذي ذهب إلى بلاد الديلم وأسس بها دولة أيضاً وهما أخوا محمد ذي النفس الذكية، أنظر محمود شاكر - السنغال - المكتب الإسلامي - بيروت ط ٢ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ ص ٤٢.

(٢) الملتمون: فرع من قبيلة صنهاجة وقد سموا بذلك لأنهم بضعون اللثام ليلاً نهراً، ولعلمهم إتخذوه في الأصل إتياء للبرد والحر وإتياء لرمال الصحراء، أو خدعة وتكرراً في الحروب المرجع السابق ص ٣٥.

(٣) Carrete F. and P. Holle: Op. cit P. P. 100 – 113.

(٤) عز الدين فريد: ظهور الوعي الأفريقي، محاضرات الموسم الثقافي لوزارة الثقافة والإرشاد القومي - القاهرة عام ١٩٦٣ ص ١٢٥.

الإسلام، فوجد في أول الأمر أنه من العسير أن يحصل على رجل يرضى بترك إعترافه الدين ويستعين بمخاطر الصحراء، ولكن أخيراً وجده في شخص عبد الله بن ياسين الذي يليق بهذا العمل، إذ كان فيه من الإحترام ما يكفي للقيام بمثل هذه الرسالة الشاقة، وكان تقياً زاهداً في حياته متفقاً في الدين والشريعة^(١) وغيرها من العلوم. وقد وجد عبد الله بن ياسين أن كثيراً من الذين أقرؤا بالإسلام قد أهملوا شعائرهم الدينية إهمالاً شديداً وإنهم قد إستسلموا لكثير من أنواع العادات المردولة فكرس نفسه متحمساً لهدايتهم إلى الصراط المستقيم وتلقينهم في أمور الدين ولكن العنف الذي زجرهم به عن رذائلهم، وحاول بواسطته أن يصلح سلوكهم حول عواطفهم عنه، وهذا ما دفعه إلى أن يهجر هذا الشعب العنيد، ويقصر جهوده على هداية الزوج في السودان، ولما إستحث على ألا يترك عملاً كان قد زاوله من قبل وهاجر في سبيله، لجأ مع عدد من تلامذته الذين إلتقوا حوله، وجبروا على عنفه إلى جزيرة في نهر السنغال حيث بنوا له رباطاً، وإبتدأوا يمارسون فيه عبادتهم^(٢) ويتلقون تعاليم مرشدهم أما أولئك البربر الذين شعروا بندمهم على ما فرطوا في حق معلمهم حيث أخرجوه بعلمهم من بينهم فقد أظهروا التدين، وبدأوا يتوافدون على الجزيرة يطالبون العفو من إمامهم ويتلقون منه تعاليم الإسلام. وهكذا بدأت تنمو هذه الجماعة وكان أكثرهم من لمتونة . وهى فرع من قبيلة صنهاجة، حتى إذا أخذت في النماء ووصل عددها إلى ألف رجل . وبدأ تكون القاعدة الصلبة لهذه الجماعة المؤمنة . رأى عبد الله بن ياسين أن الوقت قد حان للخروج إلى محيط أوسع للعمل وميدان أرحب للدعوى، فطلب من أتباعه أن يعبروا عن شكرهم لله على هذا وبذلك أن ينقلوا العلم إلى غيرهم من الناس فقال لهم: "أخرجوا على بركة الله تعالى وأنذروا قومكم وخوفوهم عقاب الله وأبلغوهم محبته، فإن تابوا وأنبأوا ورجعوا إلى الحق وأقلعوا عما هم عليه فخلوا سبيلهم، وإن أبوا ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم، إستعنا الله عليهم وجاهدناهم حتى يحكم الله بيننا".

ومن ثم ذهب كل رجل إلى قبيلته وعشيرته يوعظهم أن يتوبوا ويصدقوا ولكنهم لم ينجحوا في هذا السبيل، ولم يجد عبد الله بن ياسين من رؤساء البربر ما يسر عندئذ قاد أتباعه عام ٤٣٤هـ

Anderson J. N. D: Islamic Law in Africa London 1970 P. 236.

(١)

Fage. J. D: A history of west Africa Cambridge 1969 P. P. 36 – 37.

(٢)

الذين سماهم بالمرابطين^(١) وهاجم القبائل المجاورة وأرغمهم على الإسلام وقد نجح في غاراته الحربية فكانت حخته أقوى من جميع تعاليمه التي قدمها من قبل وهكذا إنتشر الإسلام في حوض السنغال.

ج. الموحدون:

تفككت قبائل صنهاجة وهي لمثونة ومسوفة وجدالة ومسطاطة بعضها عن بعض مما أضعف المرابطين فسقطت دولتهم، وقامت دولة الموحدين على أنقاضها عام ٥٢٥هـ ولعب الموحدون الدور نفسه الذي لعبه المرابطون، وكانت دعوتهم الدينية ربما شابهها شيء وقد قام محمد بن عبد الله بن تومرت يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فكان أن دخل الناس في الإسلام جماعات، وكذلك كان للموحدين أثر محمود في الجهاد في سبيل الله سواء في المغرب أو في الأندلس.

د. السعديون:

ضعف أمر المغرب بعد الموحدين وحكم بنو مرين البلاد وهم من يزنانية ولكن أمرهم لم يلبث أن ضعف وخرج المسلمون من الأندلس وتبعهم الأسبان إلى المغرب يطاردونهم وقامت أسر عديدة بسعي للحكم وتطمع بالسيطرة ومنها بنو وطاس^(٢) الذين إستعانوا بالأجانب البرتغاليين والأسبان في معركة وادي المخازن عام ٩٨٤هـ ١٥٧٨م ثم إتفوا نحو غرب أفريقيا يوطدون حكمهم ويعملون على نشر الإسلام فكان أن توسع الإسلام في بلاد السنغال وأخيراً إحتل السعديون مدينة تومبوكتو عام ١٠٠٠هـ.

هذا بالنسبة إلى الدول التي قامت في المغرب وإمتد تأثير حكمها وسيطرتها ونفوذها إلى غرب أفريقيا ومنها السنغال وكان لها فضل إنتشار الإسلام في هذه المناطق.

ولكن هناك ممالك قامت في بلاد الزنوج وإمتد نفوذها إلى منطقة السنغال، وكانت الأسر الحاكمة فيها تعتنق الإسلام، وهذا ما ساعد على إنتشار العقيدة حيث أن الفطرة البشرية تجعل المحكوم يقلد الحاكم والضعيف يسير على نهج القوي والبدائي يتبع أهل الحضارة والتمدين.

ففي القرن الخامس الهجري وعلى وجه الدقة حوالي عام ٤٤٢هـ إعتنق ملك وأعيان مملكة تكرر الإسلام، وهي التي كان مركزها منطقة السنغال، وخلال القرنين السابع والثامن

(١) المرابطون: يقال أنه مأخوذ من القرآن الكريم "وأعدوا لهم ما إستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..."
والرباط هو المكان الذي ينزل فيه المسلمون بتنازلهم عددهم ويراقبونه ويبحثون منه البعث وبه يتجمعون. ويقال أنه عتق من الرباط الذي إتخذه عبد الله بن ياسين في جزيرة السنغال كخلوة وكان على تخوم دار الحرب والقصد منه مرضاة الله، والإستعداد للجهاد في سبيله، ويقال أن هذا الاسم أطلقه عبد الله بن ياسين على أتباعه عندما أبدوا كثيراً من رباطة الجأش في إحدى المواقع الحربية الأولى.

U. N. Demographic year book 1966.

(٢)

الهجري، كانت أرض السنغال جزءاً من إمبراطورية مالي الإسلامية.^(١)

وكثيراً ما ساعد على إنتشار الإسلام وجود الحياة القبلية، فإذا ما إعتقد أحد الأمراء الإسلام أو إذا ما وفق أحد الدعاة أو التجار في جذبه إليه، أو إذا ما تبينت إحدى الممالك في صراعها مع خصومها، فإن أفراد القبيلة بكاملها يدخلون في الدين الإسلامي ويدينون بدين الأمير، وكانت السنغال مسرحاً للصراع بين الممالك والإمارات ومجالاً لإنتقال القبائل وموطناً للبدواة التي ليست هي إلا حياة قبلية، وقد إعتقد شعب التوكلور الإسلام فقام يبشر بدينه بين قبائل الفولاني^(٢).

ومما ساعد على إنتشار الدين الإسلامي حضارة المسلمين، فإن ما كان يلقاه السود الوثنيون من ترحيب المسلمين بدخولهم في الإسلام، هذا الذي كان يرغبهم في الإنضمام إلى مجتمع ديني، تتطلب حضارته التي تفوق حضارتهم أن يؤثر التخلي عن كثير من عاداتهم وطباعهم البربرية، ومما يساعد في الوقت نفسه مساعدة كبيرة جداً على تفسير نجاح هذا الدين أن مجرد الدخول في الإسلام يدل ضمناً على الترقى في الحضارة وأنه خطوة متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقلياً ومادياً، وكانت القوة المحشودة جنباً إلى جنب مع العقيدة الإسلامية تبلغ من القوة والبأس إلى حد من البربرية والجهل والخرافة الدينية، تلك الأمور التي كان يجد الدين الإسلامي في القضاء عليها، لا نجد إلا فرصة يسيرة في إطالة المقاومة، كما أن المسلمين يصبحون كتلة واحدة لا تفرقهم القبائل ولا يميزها اللون، وهذه الكتلة يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في القتال الذي هو أهم عناصر الحياة الصحراوية ومن متطلباتها وأوضح ما تقدمه حضارة أفريقيا الإسلامية إلى الزنجي الذي تحول إلى الإسلام وضوحاً يبعث إلى الإعجاب العبارات التالية^(٣):

"إن أقبح الرذائل وهي أكل لحوم البشر وتقديم الإنسان قرباناً، ووأد الأطفال أحياء، تلك الرذائل التي تجد ما يبرر الاعتقاد بأنها كانت في وقت ما منتشرة في كل أفريقيا ولا تزال في بقاع كثيرة منها وحتى تلك الجهات التي لاتبعد كثيراً عن ساحل الذهب وقد إختفت فجأة وإلى الأبد، والأهالي الذين كانوا يعيشون في ذلك الوقت عراة أو أشباه عراة بدأو يرتدون الملابس، بل أخذوا يتأنقون في ملابسهم، والأهالي الذين لم يغتسلوا قط من قبل، بدأو يغتسلون، بل أنهم يكثر من الإغتسال لأن الشريعة الإسلامية تأمر بالطهارة.

إن نهر السنغال هو أول نهر دائم الجريان يقع في جنوب الصحراء، وهذه المياه التي يوفرها للمنطقة تسند في قيام حياة زراعية في ذلك الحوض الخصيب الذي تكون وتكون قريبة من الرسوبات

(١) هوبير ديشلن: الديانات في أفريقيا السوداء . ترجمة أحمد صادق حمدي: سلسلة الألف كتاب . القاهرة ١٩٥٦م ص ١١٠.

(٢) Davidson Basil, The African Post Penguin – London 1966 P. 63.

(٣) نن لسون. ج: الرب والله وجود . الأديان في أفريقيا المعاصرة ترجمة إبراهيم سعد محمد دار المعارف القاهرة ١٩٧١م ص ١١٢.

التي حملها النهر معه أثناء تدفقه من حوضه الأعلى، ويشكل على طول مجراه واحد في تلك المنطقة الجرداء وهذا يستدعي قيام حياة من الإستقرار تتطلب بدورها قيام دولة تحافظ على النظام وتحمي السكان من غارات البداء والقبائل التي تنتقل في الصحراء وعلى تخومها.

هذه العبارات التي ما تتفك تقوم بين الحضر والبدو وهذه القبائل التي لا تتقطع غزواتها تحدث على المناطق المجاورة لها، تسلب ما في وسعها أن تسلب أو تفعل؟؟ إلى قلب صحراتها، تضيع في أرجاء البيداء الواسعة وتغيب خلف الكثبان، وكانت تعرف هذه الدول تارة بإسم الشعب الذي يقطن المنطقة فيقال لها مملكة التكروردناي بإسم المنطقة فتسمى مملكة فوتا نسبة إلى جبال فوتاجالون وكان يتخطى أحياناً حوض السنغال فيصل إلى موريتانيا ويشملها وأحياناً أخرى ينحصر في حوض السنغال لا يتعداه وفي أيام هذه الممالك بدأ الإسلام يتسرب إلى بلاد السنغال وينتشر بين شعوبها تارة عن طريق الفاتحين^(١) وأخرى عن طريق الدعاة، مرة عن طريق إسلام الأمراء والقبائل وثانية بدعوة من الطرق الصوفية، ولم تكن الحكومات تهتم بهذا كله وإنما الذي يشغلها هو بقاء نفوذها وسيطرة رجالها. وكانت إدارة هذه الممالك تتوقف على بقاء القوة الحربية فيها فإذا ضعف سقطت الأسرة الحاكمة محلها قوة حربية جديدة تتمثل في أسرة جديدة، ولم تحاول حكومة من هذه الحكومات أن توحد بين الشعوب المتعددة التي تخضع لها، وإنما تركتها وشأنها تحتفظ بلغاتها وعاداتها الخاصة ولم يكن يجمع بينها إلا خضوعها لسيد واحد وأحياناً إذا ما وجد الحاكم أن أكثرية شعبه قد اعتنقت الإسلام إعتنقه أو إذا هو آمن بمبدأ الإسلام يرى لزماً على شعبه أن يتبعه وكان نتيجة إنتشار الإسلام أن أصبح ٩٥% من سكان البلاد مسلمين^(٢).

وفي عام ٧٤٧هـ - ١٣٧٩م إكتشف بعض البحارة الأوربيين نهر السنغال وزاروا الرأس الأخضر ولكنهم لم يقيموا فيه وفي عام ٨٤٨هـ احتل البرتغاليون جزيرة أرغبين الصغيرة واحتل الهولنديون جزيرة غورييه الواقعة تجاه داكار وظل هؤلاء أسياد هذه المناطق حتى أوائل القرن العاشر الهجري، إذ بدأ الفرنسيون يترددون على الشواطئ السنغالية وينشئون مراكز الإقامة في بعض أرجائها^(٣) ولقد وصل البرتغاليون إلى الرأس الأخضر ومنه تسللوا إلى باببولة بحثاً عن الذهب ولكن السكان طردوهم وفي عام ١٠٣٦هـ أسس الفرنسيون مستعمرة لهم عند مصب نهر السنغال وفي عام ١٠٧٠هـ أقام الفرنسيون حصن سانت لويس^(٤) وبعد عشرين سنة طردوا البرتغاليين من ممتلكاتهم جنوب الرأس الأخضر، وأصبحت كل شواطئ السنغال بأيديهم وظل الإنجليز ينازعونهم السيادة عليها طوال الحروب

(١) Johnsfrom H. H: A History of Colonization of Africa by A, lien Races Cambridge U. press London 1913 P. 99.

(٢) U. N. World information, Africa Guide – New York – 1962 P. 118.

(٣) Atlas of world history pangolin London 1978 vol 1. P. P. 30 – 31.

(٤) Dally Forde: Freanch Respectives An African Studies London 1973 P. P. 66 –

التي نشبت بين الدولتين^(١).

الأوضاع السياسية للسنغال قبيل عام ١٩٤٥

لا يمكن في هذه السطور التمهيدية التغلغل في جذور التاريخ القديم لمنطقة غرب أفريقيا ومن بينها السنغال ولكن يمكن القول أن إمبراطورية غانا التي ترجع للقرن الثالث عشر الميلادي نشأت على أيدي جماعات من البربر الوافدة من شمال أفريقيا وأن هذه الإمبراطورية إستمرت حتى القرن الحادي عشر الميلادي وقد إزدهرت تجارة هذه المملكة لأنها كانت تنتج الذهب الذي كان ينقل إلى مراكزه وكان يمثل عنصراً هاماً في تجارة العصور الوسطى^(٢).

وقد إمتدت مملكة غانا إلى جزء كبير من إقليم أواسط النيجر وامتدت غرباً حتى السنغال وكانت تسيطر على طرق القوافل الصحراوية عبر الصحراء الكبرى مما أدى إلى منافسة الجماعات الصحراوية وخاصة الطوارق. وتمكن المرابطون من السيطرة على عاصمة غانا في عام ١٠٧٦م فإنهارت كإمبراطورية^(٣).

أما إمبراطورية مالي أو إمبراطورية الماندينجو، فقد بدأت في الإزدهار حين إنهارت مملكة غانا أي في القرن الحادي عشر^(٤) وهي تعتبر أقوى دول غرب أفريقيا التي إزدهرت في العصر الوسيط لأنها كانت تسيطر على مناجم الذهب وقد إمتدت إمتداداً كبيراً في منطقة النيجر الأوسط في الغرب وشملت مناطق أوردان وإمتدت جنوباً حتى مرتفعات فوتاجالون في السنغال على حين إمتدت شمالاً إلى تمبكتو وقد سيطرت أيضاً على طرق القوافل الصحراوية التي تصل إلى مصر وبرقة والمغرب أو ما يقع جنوب مالي من إمارات^(٥) وقد زارها الرحالة العربي ابن بطوطة الذي أعجب بما يتوفر لها من نظام وما يسودها من أمن، وذكر أن هذه المملكة السودانية بلغت دقة تنظيمها شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر إليها ولا المقيم من سارق أو غاصب، وفيها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من الغرباء ولو كان القناطير المقنطرة وإنما تتركونه بيد ثقة حتى يأخذه من يستحقه^(٦).

وقامت في وقت معاصر لمالي إمبراطورية أخرى في غرب أفريقيا هي إمبراطورية السونغي، التي قامت في القرن الـ ١١ في الجزء المتوسط من مجرى نهر النيجر إلى الجنوب من

(٣) جيمس دبي: الإستعمار البرتغالي في أفريقيا، ترجمة الدسوقي حسنين المراكبي، الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٣م ص ١٠١.
(٤) Fage, J. D., An Introaluction to the History of west Africa, Cambridge univ, press London 1959 P.P. 18 - 21.

(٥) عبد الرحمن زكي: تاريخ الدول السودانية بأفريقيا الغربية - القاهرة ١٩٦١م ص: ٨١ - ٨٩.

(٦) Bil, Freund: The Making of Contemporary Africa 1986 P.160.

(٧) Davidson, Basil: The African OP. Cit P. P. 22 - 31.

(٨) ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، مطبعة التقدم - القاهرة ١٣٢٢هـ ج ٣ ص: ٢٠٠ - ٢٠١.

جاو التي كانت عاصمتهم ثم توسعت بعد ذلك في الشمال والغرب وكانت لها علاقات تجارية مع شمال أفريقيا إلى جانب علاقاتها ببقية الدول والإمارات في غرب أفريقيا وكانت العلاقات تتوتر أحياناً بينها وبين جاراتها وخاصة حين إنتشر الإسلام^(١) ودخل في معارك مع الوثنية التي كانت تنتشر في بعض الدويلات مثل مملكة الموسي Mossi التي تقع إلى الغرب منها في أعالي نهر الفولتا، وكان الإسلام قد وطد نفوذه في دولة الصونجي في القرن الحادي عشر حين أصبح حكامها من المسلمين. وكان الملح الصحراوي أحد مصادر الثروة في هذه الدولة مما كان سبباً في رغبة حكام مراكش في السيطرة على مناجمه، وكان لدى الجيش المراكشي أسلحة نارية لا تتوافر لدى الصونجي، فلم تستطع أن تحتفظ بمناجم الملح الصحراوية ثم فقدت سيطرتها على المدن الرئيسية.^(٢)

وقامت أيضاً إمبراطورية كانم وبرنو إلى الشرق من إمبراطور الصونجي وكانت معاصرة لفترة من الوقت لإمبراطورية مالي التي إمتدت في الجنوب حتى بحيرة تشاد وندشادي^(٣).

أوضاع جمهورية السنغال الاقتصادية والاجتماعية

إن الموارد الطبيعية التي يعتمد عليها الإنسان في حياته ليس من الغرابة أن يوليها إهتماماً كبيراً لأنها السند القويم له في الحياة وبدونها سوف تنتهي إلى طريق المجهول.

يعتقد أن الجنس البشري نشأ في أفريقيا من حوالي ٢٥ مليون إلى ١٥ مليون سنة.

وتأثرت القارة الأفريقية بعدة هجمات ثقافية بدأت في العصر القديم بالفينقيين الذين إستمروا لمدة حوالي ستمائة سنة في الشمال الغربي من القارة ثم الرومان ثم العرب بعد دخول الإسلام إلى القارة في القرن السابع الميلادي.

أما ثقافة ما يختص بتجارة العرب فقد نمت تجارة الرقيق بجوار تجارة الذهب وثمار الكولا في غرب أفريقيا حيث بلغ عدد الرقيق المأخوذ منها إلى نحو عشرة ملايين إنسان وفي العصر الحديث كان البرتغاليون هم أوائل الذين هجموا على أفريقيا في القرن الـ ١٥ ثم الهولنديون في منتصف القرن الـ ١٧ ومنذ ذلك الحين إستوطن الفرنسيون في الشمال والهولنديون في الجنوب والبريطانيون في زامبيا وأعالي أفريقيا الشرقية والبرتغاليون في أنجولا وموزمبيق والألمان في ناميبيا ومنذ ١٩٥٠ بدأت الحركات الإستقلالية في القارة وبدأت الحريات لشعوبها تأخذ

(٢) Darrlly Ford: Modern, Migration in Western Africa Oxford 1979 P. 59.

(٣) Davidson, Basil: Africa in Modern history, London Penguin Books 1978 P. 20.

(٤) Murdock, G. P. Africa its peoples and their culture history, New York 1959 P. P. 418 – 419.

مجراها. (١)

أفريقيا لديها حوالي ١٥% من الثروة الحيوانية في العالم، إلا أن إجمالي إنتاجية هذه الحيوانات يعتبر قليلاً جداً إذا قورن بإنتاجية مثيلاتها في القارات الأخرى التي لديها تعداد أقل من الحيوانات (٢) وتعتبر أمراض الحيوان الوبائية المستوطنة في بعض مناطق القارة من أهم العوامل التي تعوق التنمية الأفقية والرأسية للثروة الحيوانية في أغلب الدول الأفريقية وقد كان مرض الطاعون البقري من أهم الأمراض التي سببت خسائر فادحة لإقتصاديات الإنتاج الحيواني في أفريقيا وكانت مكافحة هذا المرض هي الشغل الشاغل للإدارات البيطرية في أغلب الدول الأفريقية على مدي عدة عقود في القرن الماضي.

تعتبر أفريقيا من أغني القارات في مصادرها المائية سواء من المياه العذبة أو البحرية وتشمل المياه العذبة مساحات شاسعة في أفريقيا تتمثل في أنهارها.

وتتملك أفريقيا كمياً هائلاً به ثروة جينية ينبغي المحافظة عليها إذ أنها مهددة بالإنقراض وقد سجل في أفريقيا ما يزيد عن ٦٤٠٠ نوعاً من أسماك الزينة والأنواع المستخدمة في الطعام ومما لاشك فيه أن هناك عدداً كبيراً من الأنواع لم يكتشف بعد.

في السنغال قفز سكان الحضر بين عامي ١٩٦٠/١٩٩٥ من ٢٥% إلى ٦٠%:

إن من أبرز ما يميز التأريخ الاجتماعي لمنطقة الغرب الأفريقي ومنطقة الحزام السوداني على وجه الخصوص، ظاهرة الإستمرارية والتباين أو ما يعرف بـ Continuity and change أو الوحدة مع الاختلاف Similarity in diversity وهي ظاهرة تساعد في تصور الماضي الاجتماعي لهذه المنطقة من خلال دراسة كثير من النشاط الاجتماعية والتقاليد التي ظلت تتوارثها الجماعات الأفريقية وتحافظ عليها بصورة أو بأخرى.

لقد ظلت العلاقات بين دول شعوب البحر الأحمر والنيل والنيجر ثم السنغال عبر بحيرة تشاد تحمل طابعاً ثقافياً يؤكد عمق هذه العلاقات التاريخية وإتصالها إتصلاً يفيد التقارب العرقي لشعوب هذه المنطقة على الرغم من المسافات الشاسعة التي تفصل بين الشرق والغرب في أفريقيا وقد أشار ابن خلدون إلى إتصال زنج المشرق بزنج المغرب بالتجاور (٣).

(١) مروان الجابري . ياسر هوارى: صور من الإستعمار . القاهرة . دار الشرق الجديدة ١٩٦٥م ص ١٢.

(٢) Bohannoin, Pawl African Outline London 1966 P. P. 115 – 117.

(٣) عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر - بيروت دار الفكر ١٣٩١هـ - ١٩٧١ ص ص: ١٩٨ - ١٩٩.

وقد دلت الأبحاث الجغرافية والجيولوجية مؤخراً على إتصال أفريقيا جغرافياً ببلاد المغرب باعتبار أن البحر الأحمر لم يكن موجوداً في العصور القديمة وأنه نشأ فيما بعد نتيجة لظروف طبيعة خاصة بعد التصدع الذي أصاب قشرة الأرض في هذا الجزء بسبب الزلازل والبراكين^(١).

وهذا ما يجعل العلاقات العربية الأفريقية علاقات أزلية تعود إلى أزمان سحيقة تستدعي تصويب النظر في المكونات الأثنائية الوفية المشتركة بين المجموعات العربية والأفريقية^(٢).

(٢) طه عثمان الفراء وآخرون: ١٤٠٧ هـ، الجغرافية الطبيعية - الرياض ١٩٨٧ م ط٢ ص ٦٥.

Labat J. B.: Nouvelle relation de l'Afrique occidentale Paris 1728 P. 247.

(٣)

الفصل الأول

تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب

بين عامي ١٩٤٥ . ١٩٨٠ م

أوضاع المغرب الاقتصادية بين عامي ١٩٤٥ . ١٩٥٦ م:

تبلغ مساحة المغرب أربعة أخماس مساحة فرنسا وهي تشرف على المحيط الأطلسي والبحر المتوسط وتكشف ربعاها الجبال الشاهقة والصخور الشاطئية التي تجعل سير المراكب والسفن فيها متعذراً بل خطراً وقد كانت هذه الصخور مكامن أمنية للمكافحين البحريين المغاربة فيرون فيها إستعداداً للإنتفاض على كل سفينة صلبة تريد اجتياز البحرين غير أن تدفع الإتاوة المفروضة، وقد ظل هؤلاء المكافحون سادة البحر زهاء ثلاثة قرون حتى بهم أوروبا^(١).

يملك والمغرب واجهة على المحيط الأطلسي تصل إلى ٧٠٠ كيلو متراً ولا يفصله سوى ١٤ كم عند أسبانيا. والمغرب هو البلد العربي الوحيد الذي يملك شبكة مائية كثيفة مع نهريين كبيرين دائمين "أم الربيع، ووادي سبو ووادي درعة" الذي ينقطع مجراه الداخلي، وإن هذه السمات والمزايا تفسر الإعجاب الذي يسحر السياح المتزايد عددهم حيث وصل السائحون سنة ١٩٧٩ نحو ١.٦ مليون سائح.

الحقيقة أنه لا يوجد بلد عربي بما في ذلك لبنان يقدم هذا التنوع في المناخ والمناظر^(٢) ويلوح أن الطبيعة قد إتخذت من نفسها مدافعاً عن المغرب، فبعد أن حمتها من ناحية البحر أوجدت فيها من الداخل قوساً من سلاسل جبال أطلس الشاهقة، يبلغ إرتفاعها ٢٥٠٠ م . ٤٥٠٠ م لتكون حاجزاً منيعاً في وجه الغزاة الذين قد يهجمون عليها من الجهة الشرقية.

وتدخر هذه الجبال^(٣) في بطونها المياه الجوفية التي تزود الجداول والقنوات والترع وتروي الزروع في الوديان طيلة العام والمغرب تحمي بلاد شمال أفريقيا بمجاري مياهها وبأمطارها كما أنها أصلاً لإستقرار الحياة الآمنة.

ولقد حاول الرومان في أوج سلطانهم أن يغزوها لكن لم يبلغوا منها أبعد من الجزء الواقع

(١) أمين شاكر - سعيد العريان - مصطفى أمين شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٤ ص ص: ١٤٣-١٣٩.

(٢) جان فرانسوا نودينو: ٢١ دولة لا دولة عربية واحدة ترجمة خليل أحمد خليل ط١ بيروت ١٩٩٣ - وأنظر أيضاً: كلوس كريزر - فارنرديم هانس جورج ماير: معجم العالم الإسلامي ترجمة ج. كنورة - بيروت ط١ ١٩٩١ م، ١٤١١ هـ.

(٣) إبراهيم شحاتة حسن: نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم الحماية الإسكندرية د. ت. ص ص: ١٨ . ٣٠.

بين طنجة والرباط، بعد حرب دامت مائة عام. كما طمع فيها من قبل الوندال والإغريق ولكن لم يكن حظها بأسعد من حظ الرومان، ولكن في القرن السابع الميلادي دخلها العرب ونشروا فيها الإسلام^(١).

ويكشف الغموض تاريخ مراكش خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الفتح الإسلامي أي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي حيث آل الحكم فيها إلى دولة المرابطين والموحدين ثم إلى المدنيين الذين بسطوا سلطانهم على شمال أفريقيا والأندلس^(٢).

ثم إستهدفت مراكش (المغرب) بعد ذلك للفوضى نحو قرنين فطمع فيها البرتغاليون، ونزلوا على سواحلها، فهبت لنجدتها الأسرة السعيدية الذين جاء بعدهم العلويون، ومن هذا التاريخ إتخذت مراكش طابعها الاجتماعي والسياسي الذي احتفظت به حتى اليوم^(٣).

وعلى الرغم من تيارات الفوضى التي كانت تهب عليها في فترات متباعدة خلال حكم هاتين الأسرتين، فإن مراكش إحتفظت بقوتها وسيادتها وحكمها الذاتي في حين لم تستطع دول عربية غيرها أن تحتفظ بإستقلالها في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام. وما بين مراكش متقف إلا هو يعلم هذا التاريخ المجيد الذي يبعث في نفسه الشعور القوي بالقومية المغربية.

ولكن قفزت مراكش على حين غفلة مستيقظة، والدول الأوربية يطرق بابها الذي ظل موصداً في وجه المطامع الصليبية حيث سقطت الجزائر في أيدي الفرنسيين ١٨٣٠... ويؤكد التاريخ أن سقوط الجزائر في يد الفرنسيين لم يكن سهلاً لأن القبائل الجزائرية تصدت تحت لواء عبد القادر الجزائري والذي إنضمت إليه الكثير من القبائل المراكشية لمساعدة الجزائر وكان على رأس القوى المغربية المساعدة "سيدي محمد بن عبد الرحمن"^(٤) الذي صار فيما بعد ملكاً على مراكش (في الفترة من ١٢٧٦هـ / ١٢٩٠ . ١٨٥٩ / ١٨٧٣م)^(٥).

ولكن عدم تكافؤ القوى العسكرية بين الجانب الفرنسي من ناحية والجانب الجزائري المراكشي من ناحية ثانية أدى إلى هزيمة عبد القادر ومحمد بن عبد الرحمن في موقعة "اسلي" وكان قائد الجيوش الفرنسية الغازية للجزائر يصب قنابله على مينائي لنجه والعوير مما إضطر الحكومة المراكشية إلى عقد الهدنة بينها وبين فرنسا.

(١) شوقي الجمل: المغرب العربي الكبير من الفتح الإسلامي إلى الوقت الحاضر (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) الأخص (مراكش) - المكتب المصري لتوزيع المطبوعات - القاهرة ط ١٩٩٧ ص: ١٦٥ - ١٧٠.

(٢) Combon, Henri, Historire Du Maroc Paris 1952 P.P. 22 - 25.

Ibid, P. 37.

(٤) ثابت كريم خليل: عبد الكريم الخطابي والحرب الريفية . القاهرة ١٩٢٥ ص: ٨٧ . ٩٠.

(٥) أنظر في الملاحق ملوك أسرة الدولة العلوية.

وفي سنة ١٨٥٩م تفاقمت أسباب الخلاف بين محمد بن عبد الرحمن وأسبانيا حيث نشبت بينهما حرب دامت لمدة ستة أشهر سقطت على أثرها تطوان وأبرمت معاهد "وادي واس" بين الحكومتين المراكشية والأسبانية وليس بخافياً المساعدات التي قدمتها فرنسا لأسبانيا في هذه الحرب، إذ أمدتها بالعتاد الحربي وبإسطول بحري رابط عند مدخل نهر تطوان وراح يضرب القلاع المترامية على جوانبه^(١).

وفي عهد السلطان عبد العزيز إتجهت أنظار المستعمرين مرة أخرى إلى مراكش وكانت طنجة وقتئذ محوراً لنشاط عملاء بريطانيا الذين كانوا يراقبون نشاط الأزمات الداخلية في مراكش ولعملاء ألمانيا الذين تطوعوا ليكونوا مستشارين للحكومة المغربية، ويخفون وراء هذا التطوع أغراضاً إستعمارية تحرص ألمانيا على بلوغها في ملك البلاد.

وكانت فرنسا في موقف اليقظة والترص على حدود الجزائر، تطمع في إحتلال مراكش وتخشى في الوقت نفسه غضب ألمانيا وإعتراض بريطانيا، فلما أحست بشدة تزام الدول الأوربية على مراكش رأت التخلص منها بعد دولة، فبدأت مع إنجلترا مباحثات أسفرت عن توقيع معاهدة في ١٩٠٤م سميت معاهدة الإتفاق الودي^(٢) ذلك الإتفاق الذي أكد أن مصالح الدول الكبرى هي الأهم في مجال العلاقات الدولية وأنه لا مبادئ في السياسة وأن كل ما حقق المكاسب هو الهدف الأسمى.

كان الإتفاق الودي الذي وقعته بريطانيا وفرنسا في ١٨ أبريل ١٩٠٤ هو بداية السيطرة الفرنسية الفعلية على المغرب حيث تم في هذا الإتفاق أن حكومة من الجمهورية الفرنسية من جانبها لن تعوق عمل بريطانيا في مصر فلا تطالبها بتجديد فترة معينة لإنهاء الإحتلال البريطاني لأراضيها، كما لا تطالبها بأي إجراء آخر في هذا الشأن كما أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية من جانبها تعترف بحق فرنسا بصفتها دولة تمتد ممتلكاتها إلى مسافة طويلة ملاصقة لحدود المغرب في المحافظة على النظام بهذا البلد وتقديم المعونة اللازمة فيما يحتاج إليه من إصلاحات إدارية وإقتصادية ومالية وعسكرية^(٣).

وقد إتفقت الحكومتان الفرنسية والإنجليزية على أن منطقة معينة من أراضي المغرب المجاورة لـ "مليلة وسبتة" وغيرهما من المدن الأسبانية يجب أن تدخل ضمن دائرة النفوذ الأسباني على أن يوكل إلى أسبانيا حكم المنطقة الساحلية من مليلة إلى المرتفعات الواقعة على الشاطئ

(١) أيمن شاكر وآخرون - المرجع السابق (شمال أفريقيا) ص ١٤٢.

(٢) حسن صبحي: التنافس الدولي الإستعماري الأوربي في المغرب . القاهرة ١٩٦٥م ص ص ٦٣ . ٧٠ .

(٣) روم لاندو: أزمة المغرب الأقصى، ترجمة إسماعيل وحسن الحوت (القاهرة ١٩٦١) ج ٢ ص: ٢١٢ - ٢١٤.

الأيمن لنهر سبو دون أن تدخل فيها هذه المرتفعات.

أي أن الإتفاق الودي أعطى أيضاً لأسبانيا دوراً في إدارة شئون المغرب وقد تم بين فرنسا وأسبانيا إتفاق وقع في ٣ أكتوبر ١٩٠٤م يعلن تمسكها الكامل بمبدأ إسلامية الأمبراطورية المغربية تحت سيادة السلطان وقد تضمن هذا الإتفاق بعض البنود السرية، جاءت على النحو التالي:

تنقسم منطقة النفوذ الأسباني إلى قسمين أحدهما شمالي يمتد من منفذ بليون على البحر المتوسط إلى خط يمتد بين حوض نهري "أتاون وسبو وبين كرت درغة" - ثم يتجه نحو الشمال إلى لوكرس عن طريق جبل مولاي بوشة ومن هناك يتجه إلى ساحل المحيط الأطلسي قرب السرجة، أما القسم الجنوبي، بالإضافة إلى الممتلكات الأسبانية في ريودي أورو التي تم تحديدها في إتفاق ٧ يونيو ١٩٠٠م فالمنطقة الأسبانية يحدها خط يسير محازياً إلى درعة وسوسة حتى يصل البحر عند مصب ماسة وتعهدت أسبانيا ألا تتقل أو تتخلى عن حق الإشراف عن هذه المناطق لأفريقيا ولا لأي دولة أخرى^(١).

وفي المنطقة الشمالية تعهدت أسبانيا ألا تقوم بعمل مفرد دون إستشارة فرنسا أولاً، وهذا الشرط يظل نافذاً لمدة أقصاها خمس عشرة سنة ولا يتفق هذا التعهد إلا في الظروف الآتية:

١. إذا إنهار النظام السياسي للمغرب وإنهارت معه السلطة الشريفة.
٢. إذا أصبحت المحافظة على الحالة الراهنة أمراً مستحيلاً بسبب عجز الحكومة الشريفة عن صيانة الأمن والنظام.
٣. إذا ثبتت إستحالة المحافظة على الحالة الراهنة لأي سبب آخر من طبيعته أن يكون موضوعاً للإتفاق بين فرنسا وأسبانيا.^(٢)

أما النظام الدولي فيظل قائماً، وقد أجازت البنود السرية للإتفاق، تعاون كل من فرنسا وأسبانيا في بعض المشروعات التجارية وحرية تداول النقد الأسباني والفرنسي^(٣).

وفي ٧ أبريل ١٩٠٦م وقع إتفاق الجزيرة بين فرنسا والمغرب يتضمن ١٣٢ بنداً تختص

(١) محمد خير فارس: المسألة المغربية - القاهرة ١٩٦١ ص: ٤٠١ - ٤٠٥.

(٢) M. C. E. Wan, M. J. P. ed.: Twentieth century Africa London Oxford U. press 1968 P. P. 121 - 131.

(٣) نشرت تلك البنود السرية صحيفة Le Matin في عددها الصادر بتاريخ ٨ نوفمبر ١٩١١ بعد أن حصلت عليه من مصدر لم نذكره.

بتنظيم حالة الأمن وقوات البوليس داخل مراكش ومدى سلطات المفتشون من البوليس (الأسبان والفرنسيون) وإنشاء بنك يسمى بنك المغرب له حق إصدار أوراق النقد وقيمة الرسوم الجمركية ولكن يمكن القول أن هذه الإتفاقيات كانت تكبل حرية المغرب السياسية والاقتصادية في وقت واحد وفي ٣٠ مارس ١٩١٢م تم التوقيع على معاهدة الحماية بين فرنسا والمغرب وجاءت المادة الأولى على النحو الآتي:

"وافقت حكومة الجمهورية الفرنسية وصاحب الجلالة (سلطان مراكش) على وضع جديد لحكم المغرب يشمل الإصلاحات الإدارية والقضائية والتعليمية والاقتصادية والمالية والعسكرية التي تراها الحكومة الفرنسية ملائمة للعمل بها في أراضي المغرب على أن يتضمن النظام الجديد المحافظة على الأوضاع الدينية وإحترام ما للسلطان من مقام سام تقليدي وممارسة الشعائر الإسلامية والمحافظة على جميع النظم الإسلامية ونصوصاً لنظام الحبوس (الأوقاف) كما يتضمن تنظيم المخزن الشريف على أسس من الإصلاح.

سيتم التفاهم بين حكومة الجمهورية الفرنسية والحكومة الأسبانية بشأن المصالح التي تستمدّها الحكومة الأسبانية من وضعها الجغرافي ومن ملكيتها لأراضي على الساحل المغربي وبنفس الطريقة تحتفظ طنجة بوصفها الدولي الخاص المعترف به والذي يحدد نظام الحكم المحلي القائم.

ونقرر في المادة السادسة من هذا الإتفاق.. يقوم ممثلو فرنسا الدبلوماسيون والقنصلون بتمثيل المصالح المغربية والرعايا المغاربة في الخارج وحماية مصالحهم ويتعهد صاحب الجلالة الشريفة ألا يعقد إتفاقاً ذا طبيعة دولية دون الحصول مقدماً على موافقة الحكومة الفرنسية.

وباختصار يمكن القول أن معاهدة الحماية بين فرنسا والسلطان عبد الحفيظ والتي وقعت في فاس في ٣٠ مارس ١٩١٢ (١١ ربيع سنة ١٣٣٠هـ) وضعت نظاماً خاصاً لإدارة المغرب وتمثيلها في الخارج وفرضت الحماية نظاماً للإدارة المالية والإدارة الأمنية وكل ما يختص بالشئون العامة المتعلقة بمراكش^(١).

(١) في مارس سنة ١٩١١م هاجمت القبائل مدينة فاس فاستنجد السلطان بالجنود الفرنسية فأرسلت فرنسا قوة لحماية مدينة فاس، وفي الوقت نفسه احتلت الجنود الأسبانية العرايش، فعدت ألمانيا هذا العمل مناقضاً لقرارات مؤتمر الجزيرة السابق عقده بين الدول الأوروبية ١٩٠٦ ومن ثم أرسلت ألمانيا بعض جنودها البرية إلى أغادير والذي عقد على إثره مؤتمر الجزيرة وإنتهى المؤتمر بإعتراف ألمانيا بالآتي:

١. حماية فرنسا على مراكش لقاء تنازلاً لألمانيا عن بعض أراضيها في الكونغو الفرنسية.
٢. أن تحتل فرنسا أي مقاطعة في مراكش تراها مناسبة لحفظ الأمن دون إعتراض من جانب الدول الأوروبية.
٣. أن تمثل فرنسا السلطان في الشئون الخارجية.
٤. أن تكفل حرية التجارة في البلاد. - أنظر:

Isnar, H., Le Magreb (Paris 1966) P.

وقد ثار أهالي المغرب في فاس على الأوربيين وقتلوا منهم نحو ٦٨ فبعثت فرنسا الجنرال لبوتي لإخماد الثورة وحدثت بين المغرب وفرنسا^(١) عدة معارك كانت القوة غير متكافئة والتسليح لدى الجانب الفرنسي يتفوق بكثير على السلاح البري في مراكش وإنتهى الأمر بتنازل السلطان عبد الحفيظ عبد الحسن والذي كان قد تولى الحكم في ١٣١١هـ / ١٨٩٣م... تنازل في سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م أي بعد ١٤ عاماً من ولايته وتولى مكانه يوسف بن الحسن وهو أبو السلطان محمد بن يوسف الذي أبعده فرنسا عن عرش مراكش في ١٩٥٢ وهو الذي أبعده مرة أخرى رغم أنف فرنسا ولما توفي في ١٣٨١ / ١٩٦١ تولى مكانه ولده الملك الحسن الثاني.

ومن الجدير بالذكر أن مراكش حتى نشوب الحرب العالمية الثانية كانت موزعة بين فرنسا وأسبانيا وبريطانيا وتفتت الوحدة المراكشية إلى ثلاث مناطق تخضع لثلاث نظم مختلفة لا يربط بينها إلا الإستغلال الإستعماري وإستنزاف قوى البلاد إلى أقصى حد ممكن.

وهذه المناطق الثلاث هي:

١. منطقة النفوذ الفرنسي وهي الأكثر مساحة.
٢. منطقة النفوذ الأسباني وتتركز في الريف المراكشي في الشمال.
٣. منطقة طنجة الدولية والتي تسيطر عليها بريطانيا.

ولقد كان كفاح الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي إمتداداً لطائفة من الحركات القومية العنيفة التي كانت بها قبائل الريف للظفر بإستقلالها والتخلص من الإستعمار الأسباني حيث ظل يقاتلها زهاء خمس سنوات، وكان النصر حليفه في أكثر المعارك التي دارت بينه وبين الأسبان، وبدأت أسبانيا في التراجع عن إستمرارها في السيطرة على إقليم الريف المراكشي^(٢).

لكن فرنسا خشيت على وضعها في المغرب^(٣) لو إكتمل النصر للمجاهدين المراكشيين بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي فتناست كل ما كان بينها وبين أسبانيا من أسباب الخصام وأمدتها بكل ألوان المساعدة حتى سقط بطل الريف والذي لم يلبث أن وقع أسيراً في يد فرنسا التي ساقته إلى منفاه في جزيرة ومنيون بالمحيط الهندي حيث مكثت بها نحو عشرين عاماً ثم لجأ إلى مصر.. وظلت أسبانيا تبسط سلطانها على الريف... ولكنها لم تحاول فصله عن التراب

(٢) حسن إعراري: ابن عبد الكريم وحرب الريف ١٩٢١. ١٩٢٦م. فاس ١٩٨٩م ص ص ١٧. ٣٠.

(١) - Combon, Henri, OP. cit P. P. 122 -

(١)
125.

(٢) عياش جرمان: دراسات في تاريخ المغرب. الدار البيضاء ١٩٨١م ص ٨٥.

المراكشي^(١) فصلاً صريحاً، حيث إعترفت بممثل للسلطان في تطوان كرمز لسيادة العرش المراكشي على البلاد.

أما مدينة طنجة على الساحل المراكشي الشمالي فإن مساحتها لا تزيد على ٢٢٥ ميلاً مربعاً فقد كان معظم سكانها من المسلمين وقلة من اليهود لا تزيد عن ١٢/١ من تعداد السكان ونحو السدس من الأسبان. وكان أهميتها ناشئة من قربها من جبل طارق ذلك الحصن المنيع الذي يقابل قناة السويس، البوابة الثانية للبحر المتوسط^(٢).

وقد بدأت هذه المدينة تكتسب صفتها الدولية بعد عقد المعاهدة البريطانية المراكشية ١٨٥٦م والمعاهدة الأسبانية ١٨٦١م حيث إعترف السلطان محمد بن عبد الرحمن في هاتين المعاهدتين بالإمتيازات الأجنبية ومنح إتفاق مدريد في عهد السلطان الوالي الحسن بن محمد (١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م) ١٨٨٠م هذه الإمتيازات لبقية الدول صاحبة المصالح في مراكش.

وقد حاولت الدول أن تقرر قطاعاً ثابتاً لطنجة خارج الحمايتين الفرنسية والأسبانية لولا نشوب الحرب العالمية الأولى وفي سنة ١٩٢٣م إستقر الرأي على وضع نظام دولي محايد خضعت له طنجة إلى سنة ١٩٤٠ حين تشجع فرانكو إثر إنكسار ألمانيا في الحرب العالمية الثانية فأعلن إنقضاء النظام الدولي لمدينة طنجة وضم طنجة إلى منطقة النفوذ الأسباني.

ولما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، طلبت بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة من أسبانيا سحب قواتها من طنجة ففعلت في عام ١٩٤٥م لا يتحكم في مصيره وأن السلطان القابع على العرش كان يمثل رمزاً فقط ولا يملك أي سلطة فعلية على البلاد... وإن كان التناقض في المصالح بين الدول الإستعمارية قد يعطيه في بعض المواقع بعض السلطة الفعلية إلا أن ذلك كان لا يستمر طويلاً حيث عادة ما يعود الوئام بين الدول الكبرى تلاقياً لمصالحها وبعداً عن التصادم كانت كل منها تحاول التلاقي حتى تتيح الفرصة للسلطة الوطنية أن تنمو على حساب هذا التناقض مما كان يمثل خطر عليها جميعاً^(٣) ولاشك أن التطور الاقتصادي بعد الحرب العالمية الثانية كان مرهوناً بالسياسة التي تتبعها الدول صاحبة النفوذ.

(٣) عثمان الكعاك: محاضرات في مراكز الثقافة في المغرب. القاهرة ١٩٥٨ ص ٤٣ . ٥٠ .

(٤) مدينة طنجة ظلت تحتفظ بطابعها الشرقي على الرغم من إحتكاكها بأهم شتى وقربها من أوروبا ومن الجدير بالذكر أن البرتغاليين إستولوا عليها ١٦٥٦م ثم أهديت إلى كاترين أوف بزجائر عند زواجها من شارل الثاني ملك إنجلترا ١٦٢٢م إلا أن مولاي إسماعيل الكبير أفرج عنها الإنجليز عنوة سنة ١٦٨٤م (تولى إسماعيل في الفترة من ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م حتى ١١٣٩ / ١٧٢٦م) أنظر علال الفاس: الحركات الإستقلالية في المغرب العربي - القاهرة ١٩٤٨ ص: ٣٥ - ٤٧.

(١) جون جانتز: داخل أفريقيا - إشراف ومراجعة حسن جلال العوصي المحامي - الجزء الأول مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٣م ص ٢٢ - ٣٠.

وقبل أن ندخل في التطور الاقتصادي^(١) الذي حدث في المغرب بين عامي ١٩٤٥، ١٩٨٠ علينا أن نقسم هذه المرحلة إلى قسمين... قسم ما قبل الإستقلال حيث كان التوجه الاقتصادي لصالح القوى المسيطرة والمحتلة... وقسم ما بعد الإستقلال حيث بدأت المغرب تدخل مرحلة التنمية والبحث عن مخرج لأزماتها الاقتصادية.

وسوف نعالج هذا الوضع في ثلاث نقاط:

الأولى: الكلام عن إقتصاديات المغرب.

الثانية: صورة الخطى الاقتصادية في ظل السلطة الإستعمارية.

الثالثة: التطور الاقتصادي وحركة التنمية بعد الحصول على الإستقلال.

أولاً: إقتصاديات المغرب:

إن إقتصاد أي بلاد يتشكل من خمس بنود أساسية... هي:

الموارد الطبيعية، الموارد البشرية، والتنظيم الاقتصادي الذي تسير عليه الدولة في إستغلالها هذين المرفقين، ثم العلاقات الخارجية... سواء فيما يقدم من تسهيلات أو ما يوجد من عقبات، وأخيراً الدخل القومي ومدى ما يقدمه من تطور لرفع مستوى المعيشة.^(٢)

وفيما يلي الموارد الطبيعية للإقتصاد المغربي بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٨٠:

الثروة الزراعية:

يتمتع المغرب بثروة ضخمة من الغابات والتي عمادها أشجار الكافور والسنت والارز بمختلف أنواعه والسنديان والبلوط والصنوبر والسرو والعرعر والقرمز والتي تعد أساساً للوقود^(٣). وتكسو الغابات في المغرب مساحة تقدر بأربعة ملايين هكتاراً وأربعمئة ألف كيلو متر مربع ويبلغ عدد الأشجار فيها حوالي ثلاثة ملايين شجرة.^(٤)

أما الزراعة فإنها تخضع لنظام الأمطار التي تخزن في أجواف الجبال حيث يقوم الري

(٢) رأفت غنيمي الشيش: أفريقيا في التاريخ المعاصر - دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٩١ ص ٥٨ - ٦٢.

(٣) Best A., & Blit H.: Op. Cit P. 122.

(١) مما هو جدير بالذكر أن هذه الثروة الغابية كانت عماد فرنسا وحلفائها في الحرب العالمية الثانية حينما عجزت البواخر عن جلب الفحم من جراء هجوم الغواصات الألمانية عليها، أنظر جلال يحيى: المغرب الكبير ج ٢ - القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٥.

(٢) Buckle C., Landforms in Africa Longman group London 1978 P. 110.

على الأمطار والمياه الجوفية وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية نحو ٤ مليون هكتار وكان الأوربيون وحدهم قد أصدروا قراراً باحتكارهم إنتاج الكروم وقد سيطروا من خلال قوانينهم على ثلاثة أرباع الموالج وتلثي الحبوب ولهم ١٠% من أشجار الزيتون البالغ عددها ٩.٤٠٠.٠٠٠ شجرة وعلى ثلث الخضر الجافة.

وتنتج مناطق الشادية ومكناس وعبدية وتادلا والمنطقة الشرقية اثنين وعشرين مليون قنطاراً من الحبوب وتنتج المنطقة الجنوبية الكمون والكراوية، كما توجد أشجار للحناء في دكالة.

وينبت في المغرب نبات القنب والطباق والكتان ونبات الحلفا الذي يستغل في صناعة الحصير والحبال والمنسوجات الخشنة، كما تصنع أجود أنواع الورق التي تنهافت عليها المطابع الكبرى في أوربا.

وفيما يلي بيان بأهم المحصولات ومساحة الأراضي الزراعية المزروعة حتى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين^(١):

نوع الزراعة	المساحة بالهكتار	الإنتاج بالقنطار
قمح يابس	٨٣٨.٠٠٠	٣.٦٥٧.٠٠٠
قمح طري	٣٧٦.٠٠٠	٢.٦٥٢.٠٠٠
شعير	١.٦٨٩.٠٠٠	١٠.٨٥٧.٠٠٠
الخردل لعلف البهائم	٤٨.٠٠٠	٤٧٥.٠٠٠
الذرة	٦٠٨.٠٠٠	٢.٦١٣.٠٠٠
الخضر الجافة	١٥٥.٠٠٠	٥٥٥.٠٠٠

وللرعي مكان ملحوظ في الإقتصاد المغربي وفيما يلي إحصاء بعدد رؤوس الماشية حتى ١٩٥٥^(٢):

النوع	عدد الرؤوس	النوع	عدد الرؤوس
الأغنام	٧.٤٢٣.٠٠٠	الماعز	٥.٣٤٢.٠٠٠
البقر	١.٣٢٦.٠٠٠	البغال	١٤٠.٠٠٠
الخيول	١٥٢.٠٠٠	الحمير	٥٣٢.٠٠٠
الجمال	١٥٧.٠٠٠		

وأغلب هذه الرؤوس يقوم بتربيتها المراكشيون، وكانت المغرب تصدر من لحوم الخراف

(٣) أمين شاكر وآخرون: شمال أفريقيا، مرجع سابق ص: ١٥٨ - ١٥٩.

The Cambridge Encyclopedia of Africa, Cambridge Un. Press 1981 P. 144.

(١)

والأبقار والبعير كميات كبيرة إلى الأقطار الباردة.

أما عن إستغلال السواحل المراكشية فقد كانت حرفة صيد الأسماك تكاد تكون مهنة أهل مراكش الأولى وفي ١٩٥٥م كان عدد الصيادين حوالي سبعة آلاف صياد، ويقرب مجموع ما يصطادونه سنوياً من سبعة وخمسين ألف طن أي بمعدل ثمانية ألف في السنة لكل صياد وكان نوع السمك الغالب هو السردين.

أما عن الثروة المعدنية:

فقد إمتلك المغرب تنوعاً فريداً في ثروتها المعدنية... وإذا كانت الثروة الزراعية فيها تخضع لطبيعة المناخ والتقلبات التي قد تحف به، فإن الثروة المعدنية كانت ولا زالت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأسواق العالمية، ومراكش تصدر جميع منتجاتها المعدنية تقريباً إلى البلاد الأجنبية وفيما يلي أهم المعادن في المغرب:

الفوسفات:

وهو يوجد على شكل طبقات يتراوح سمكها بين ثلاثين سنتيمتراً وخمسة إمتار وتعد مناجم المغرب من أغنى مناجم بلاد أفريقيا في معدن الفوسفات إذ يبلغ مجموع ما تنتجه ضعف إنتاج تونس والجزائر، ويقدر ما تنتجه من حصة العالم نحو ٢١% ويلعب الفوسفات دوراً كبيراً في إقتصاديات البلاد منذ ١٩٣١م وذلك للأرباح الطائلة التي تعود من تصديره، إذ تدر مناجم "توريجا" ثلاثة ملايين طن في العام ومنجم لويس ضئيل ٧٥.٠٠٠ طن ونظرة واحدة إلى.

الجدول التالي يمكن توضيح أهمية هذا المعدن والدور الذي لعبه في حياة المغرب الاقتصادية^(١):

أهم البلاد المنتجة للفوسفات	الإنتاج بالطن	القارة
تونس	١.٧٤٦.٠٠٠	القارة الأوربية
الجزائر	٦٠٩.٠٠٠	
مراكش	٢.٨٦٠.٠٠٠	
مصر	٢٩٧.٠٠٠	
الولايات المتحدة	٥.٥٠٠.٠٠٠	أمريكا
كوراساو	٧٥.٠٠٠	
أنجور	٢٥٦.٠٠٠	آسيا
جاوا (أندونيسيا)	٣٣.٠٠٠	

Bost, A & Bliy Haully.: African Survey London John Wiley & Sons 1977 P.

(١)
45.

الهند الصينية	١.٦٠٠.٠٠٠
الإتحاد السوفيتي سابقاً	١.٦٠٠.٠٠٠
بقية دول أوروبا	
وذلك حتى ١٩٥٥	
الحديد وبعض المعادن الأخرى:	أوروبا

يوجد الحديد بكميات لا بأس بها في المغرب وقد أوقف استثمار مناجمه خلال الحرب العالمية الثانية ولم يستأنف العمل في إستخراجه إلا في ١٩٤٧م وبلغ إنتاجه نحو ١٥٣.٦٠٠ طن وأهم مناجم إستخراجه منجم "ابن عمار" الذي يبعد خمسة وعشرين كيلو متراً عن الدار البيضاء وهناك منجم "جنيفرة" ويقدر ما فيها من الحديد بخمسين مليوناً من الأطنان وهي غنية بسلطات الباريوم، ونسبة الحديد فيها ٤٣% هذا عدا المناجم الأخرى في السوس، وبفلة، والسهل الغربي والمناطق الشرقية أما المعادن الأخرى فمنها في جبال الأطلس حيث توجد مناجم الزنك والرصاص ويوجدان مختلطتين عادة، و لما كانت مناجمها مبعثرة، فضلاً عن وعورة المسالك المؤدية إليها، فقد كان إستغلالها متقطعاً وغير مستمر وبلغ المستخرج من الزنك ١٠ آلاف طن سنوياً ومن الحديد ٤ آلاف طن والجدول الآتي يبين إنتاج الرصاص والزنك، في تسع سنوات^(١):

المعدن	الإنتاج ١٩٣٨	الإنتاج ١٩٤٧
رصاص	٢٦.٠٠٠ طن	٢٩.٢٠٠ طن
زنك	٥.٥٣٠ طن	٣.٣٦٠ طن

وكانت جميع كميات الزنك تصدر إلى فرنسا أما الرصاص فقد كان يصدر إلى بلجيكا بجانب فرنسا.

ويستغل المنجنيز في جنوب مراكش الشرقية بمقاطعة "أبو عرفة" وبلغ إنتاجه في سنة ١٩٤٧ نحو ١٠٩.٥٠٠ طن، وعثر أيضاً على مناجم لهذا المعدن في "السوس"، وشرق "سردة" ولكن أولاهما بالاهتمام منجم "إيمني" الواقع في جنوب الأطلسي الكبير إذ يقدر ما يحتويه بعشرات الملايين من الأطنان.^(٢)

(٢) Strahler, A. : Physical Geography Wiley Eastern private Limited New Delhi 1971 P. 202.

(١) أحمد علي إسماعيل: محاضرات في جغرافية أفريقيا . القاهرة معهد الدراسات الإسلامية ١٩٧٠م ص ٨٨.

ومراكش إحدى البلاد القليلة التي تنتج الكوبلت في العالم، إذ لا يوجد هذا المعدن بعد مراكش إلا في كندا والكونغو البلجيكي (زائير) وهو يشغل من أرض مراكش خمسين كيلو متراً مربعاً تحتوي على سدس ما يستخرج منه في العالم وأهم مناجمه في "بوعزار" ومدينة "مراكش"، كما تنفرد مراكش والولايات المتحدة والنرويج، دون سائر بلاد العالم بمناجم الموليبيدوم، وهو معدن في بياض الفضة، يدخل في صناعة أحرف الكتابة فيكسبها صلابة ضد الإحتكاك، ويوجد هذا المعدن في جبال الأطلس الكبير الغربي.

ويوجد البترول في مراكش كذلك بجوار سلسلة الريف وهو لا يبعد كثيراً عن سطح الأرض في بعض الجهات، وتمتد عيون البترول في جوف الأرض، فيما بين مدينتي "العرائس" و"تانة" شاغلة مساحة تقدر بحوالي ثلاثة آلاف كيلو متر ولكن إنتاجه ظل ضعيفاً خلال الفترة من ١٩٤٥ حتى ١٩٨٠م.

والفحم النباتي وافر الكمية في مراكش لكثرة الغابات بها، أما الحجري فيوجد بمنطقة "جرادة" والنوع الذي يستخرج منه من أجود الأنواع، لأنه يحترق ببطء وليس للهبة رائحة ولا دخان... وفي ١٩٢٧م أكتشف منجم آخر للفحم الحجري في جنوب "وجدة" وأستغل ١٩٣١م وظل يزداد إنتاجه خلال فترة الحرب، فتنهافت المصانع على شراء هذا الفحم، لما يتمتع به من شهرة، ويقدر الفنيون ما يضمن منجم "جرادة" الهائل بخمسين مليوناً من الأطنان.

وفي مراكش تتولد الكهرباء من مساقط المياه، لكثرة ما فيها من سدود وخزانات وتبلغ الطاقة الكهربائية فيها مليارين من الكيلووات في السنة، وتصل اليوم في مراكش السنترالات الكهربائية بعضها ببعض بخطوط سلكية تبلغ ثلاثة آلاف كيلو متراً، وكلها ذات ضغط عالي (بين ٦٠.٠٠٠، ١٥٠.٠٠٠ فولت) ويؤكد الخبراء الفنيون أنه بعد نهاية الثمانينات وبعد زوال الظروف القهرية التي فرضها الإستعمار والنفوذ الأجنبي سيصبح في إمكان مراكش أن تمون جاراتها بالكهرباء.^(١)

الصناعة:

كانت مراكش حتى فجر الحرب العالمية الثانية، بلداً زراعياً، ومصدراً للمنتجات المعدنية أما التصنيع منها فكان لا يتعدى ما يمس الإنتاج الزراعي، إذا إستثنينا صناعة المباني والورش التي تقوم بإصلاح الآلات المستوردة، ومرد ذلك إلى نقص موارد الوقود، واليد العاملة الفنية والمستعمر الفرنسي، فقد ظل كبار أصحاب المصانع الفرنسية يحاربون تصنيع مراكش لأنهم

Grove, A. T.: Africa Oxford U. press 1979 P. P. 20 – 22.

(١)

يرون فيها سوقاً منافسة لهم، حتى لقد حالوا بين بعض الأثرياء من المراكشيين وبين إنشاء مصنع للأسمنت.^(١)

ولكن الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ / ١٩٤٥) أذاقت فرنسا الأمرين من ويلات الحصار البري الرهيب، فعرفت قصر نظرها وخطأ سياستها، فما كان منها إلا أن عمدت إلى إقامة صناعة الأغذية كالخضر المحفوظة والمربات، ومصانع السكر في الدار البيضاء والتي كانت تنتج ١٢٥.٠٠٠ طن سكر في السنة وهو قدر كان يكفي لتموين نصف سكان مراكش فقط.^(٢)

كما أنشأت مصانع اللحوم المحفوظة والسمك وأهم هذه المصانع بالدار البيضاء وفضالة، ويبلغ مجموع إنتاجها السنوي ٦٠.٠٠٠ طن من السردين. كما أنشأت صناعة السجائر وأستغلت جلود الماشية في صناعة الأحذية والحقائب وغيرها من الأدوات الجلدية.

كما ظهرت صناعة الفلين وكان معظمه يصدر إلى الخارج، كما أقامت معاصر الزيوت الآلية بجانب المعاصر اليدوية وظهرت صناعة الأخشاب التي كانت ترتبط بصناعة المباني، كما تتصل بالحياة الزراعية فتصنع منها الأقفاص والصناديق لتعبئة التمر والتين والصابون والفاكهة.

كما ظهرت بعض المصانع الكيماوية وأشهرها قائم بحي "الروش نوار" أو الصخور السوداء بالدار البيضاء وهي تنتج فوسفات الجير وسلفات النحاس وحمض الكبريتيك، وكبريتات الحديد والسماد المركب، وكذلك مصانع الأوكسجين والشمع والغراء والجيلاتين والملح والصابون وتقطير الروائح والكحول وكانت أغلب الشركات الصناعية الجديدة يملكها الفرنسيون والأجانب ويشغل بها نحو ثلاثمائة ألف عامل، نصفهم من المراكشيين، وترمي فرنسا من وراء ذلك إلى الإستثمار بالإقتصاد المراكشي وتوجيهه الوجهة التي تلائم أهدافها الإستثمارية.^(٣)

ويمكن القول أن الصناعة في المغرب:

. تأخرت كعنصر إقتصادي لحين حصول المغرب على إستقلالها.

- إن المستعمر لما أجبرته الظروف على إنشاء بعض الصناعات أضغط لنفسه بالمصانع وإدارتها. وأحتكر عملية التسويق الخاصة بها.

Pritchard, J. M. A.: Africa Longman Group Limited London 1979, P. 125.

(٢)

U. N. Economic survey of Africa since 1950 New York 1959 P. 210.

(٣)

The statesman's year book, London 1985 P. 86 XX.

(١)

- إن أهالي المغرب لم يسمح لهم بالقيام بأي نشاط صناعي إلى ما بعد حصولهم على حريتهم.

أما عن التجارة:

فقد عرفت مراكش التبادل التجاري منذ قديم الزمن عن طريق السماسرة الأوربيين وبخاصة اليهود الذين كانت لهم حالات بيوتات أوربا التجارية، ولما وقعت بين برائن الإستعمارين الأسباني والفرنسي، سيطرت كل دولة من الدولتين على الحركة التجارية بفرض قوانين النقد الإستثنائية، إبان الحرب العالمية الثانية، متحكمتين بذلك في التصدير والإستيراد.

ولم تكتف فرنسا بإستغلال خيرات مراكش لمصلحتها الشخصية، بل كانت تذهب في محاربة المراكشيين في أرزاقهم كل مذهب إذ يمنع عنهم العملات الأجنبية حتى لا يستطيعون إستخدامها في إستيراد الآلات الحديثة فينشط الاقتصادي الفرنسي ولكن السياسة الإستعمارية الفرنسية كان لا يهمها سوى إستغلال كل أوضاع مراكش لمصلحتها فقط.

ولو رجعنا إلى النظام المالي في مراكش قبل الإحتلال لوجدناه على الرغم من بساطته ملائماً لحالة البلاد، أما بعد دخول الفرنسيين، فقد ربطوا النقد المراكشي بالنقد الفرنسي، فلما تدهور الفرنك الفرنسي تدهور معه الفرنك المراكشي وشهدت مراكش تضخماً مالياً لم تشهده من قبل، وزاد الطين بلة أن فرنسا كانت تستغل كبر الدخل المراكشي لتسد العجز في ميزانيتها.

ولم تكتف الإدارة الفرنسية بكل هذا، بل خلقت لرجال جالياتها وأسرهم سبعة عشر نوعاً من العلاوات الثابتة التي يتناولونها شهرياً، كتعويضات السكن، ولوازم العائلة وإعانة الغلاء إلى غير ذلك من العلاوات حتى أن نفقات سفرهم وأسرهم إلى أوطانهم وعودتهم منها تتحملها خزانة الدولة المراكشية.^(١)

ثانياً: الأوضاع الاجتماعية في المغرب بين عامي

١٩٤٥ - ١٩٨٠

الأوضاع الاجتماعية في بلد ما تشمل الحياة الاجتماعية والمنظومة التعليمية المطبقة فيها وتقدم الفنون بمشتملاتها الأربعة من أدب ومسرح وموسيقى والعلاقات الاجتماعية التي تربط طبقات المجتمع المختلفة وبمعنى آخر كل النشاط السكاني في مجال الحياة، بعد إستبعاد النشاط

(١) Oliver, Roland and Atmore,: A History Africa since 1800, Cambridge U. press 1967 P. 15.

الاقتصادي السابق معالجته في السطور السابقة.

والمغرب يصل معدل النمو السكاني فيها أقل من ٢.٥% وهي في هذا تتفق مع مصر وتونس والجزائر ويرجع انخفاض معدلات النمو السكاني إلى انخفاض معدلات المواليد نتيجة لإتباعها لسياسات سكانية وبرامج قوية لتنظيم الأسرة من الستينيات حتى نهاية القرن العشرين وقد وصل عدد سكان المغرب من عام ١٩٨٠م نحو ٢٣ مليون نسمة ثم ارتفع إلى ٢٧ مليون نسمة ١٩٩٥م^(١).

وبالرغم من أهمية تعليم المرأة والذي يعتبر من أقوى المؤشرات على التقدم فإن عدد البنات اللواتي لم يتعلمن بالمدارس الابتدائية بلغت نسبتهن ٥٥% في المغرب^(٢) مما يجعل معدلات الأمية مرتفعة.

وبعد الإستقلال شجعت الحكومة في المغرب السكان للهجرة بهدف تخفيف الضغط الاقتصادي عليها من ناحية وبهدف جلب العملة الصعبة من ناحية أخرى وقد كان إتجاه المهاجرين من المغاربة نحو أوروبا نتيجة لزيادة الطلب الجماعي على الأيدي العاملة المغربية^(٣) التي كانت إقتصاديات أوروبا في أمس الحاجة إليها وخاصة العمالة غير المؤهلة، ولكن منذ بداية السبعينيات أصبحت الدول الأوروبية تغلق حدودها تبعاً في وجه العمالة المهاجرة إليها من المغرب، وذلك نتيجة لإرتفاع نسبة البطالة بين الأوروبيين بالإضافة إلى المشاكل الكبيرة للإندماج مع المجتمع والتي بدأت تتطور.^(٤)

والمغرب لا تعارض هجرة أبنائها إلى الخارج فالدولة تفتح مجال السفر إلى الخارج أمام رعاياها كما أنها تسمح بدخول الأجانب إلى أراضيها ولكنها في الواقع تصدر أيدي عاملة أكثر مما تستقبلها.

ورغم أن هجرة المغاربة أقرب عهداً وأقل حجماً مثلاً من هجرة الجزائريين حيث بدأت هجرة المغاربة من السبعينيات من القرن الماضي إلا أن المغاربة المقيمين في الخارج وصلوا حالياً إلى أكثر من ١.٥ مليون مغربي يعيش نصفهم في فرنسا وحوالي ١٢ ألفاً في كل من هولندا وبلجيكا، كما يعيش حوالي ربع مليون نسمة منهم في إيطاليا وأسبانيا وألمانيا، بينما تتوزع البقية

(٢) ماجدة إبراهيم عامر: النمو السكاني في أفريقيا، مقال ضمن الإحتفالية باليوبيل الذهبي لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية - المجلد الأول (الجغرافيا) مايو ١٩٩٧ ص ١٨٧.

(٣) باتريشالون: مسيرة الأمم، اليونسيف ١٩٩٦ ص ٣٠.

(١) محمد الأمين فارس: واقع وآفاق الهجرة الأفريقية والعربية، الندوة الأفريقية عن الهجرة، منظمة العمل العربية بالإشتراك مع منظمة الوحدة الأفريقية (القاهرة ٥ - ٩ ديسمبر ١٩٩٥) ص: ٢ - ١٠.

(٢)، (٥) عبد الله برادة: البحيرات الدولية في المغرب العربي (المؤتمر العربي للسكان ١٨٠٤ أبريل ١٩٩٣ عمان حرة).

على بعض الدول الأخرى مثل سويسرا والسويد والنرويج والدانمرك وفنلندا وعلى خلاف الإتجاه نحو التناقص الذي سجلته مثلاً الجالية الجزائرية في أوروبا واصل عدد المغاربة إرتفاعه^(١) فضلاً عن ذلك نجد عدداً كبيراً من مواطني المغرب يعيشون في الوقت الحالي في بعض الدول العربية مثل الجزائر التي يعيش فيها نحو مائة ألف مغربي وليبيا التي يعيش فيها نحو ٩٠ ألف مغربي أما في البلدان العربية الأخرى مثل تونس ومصر والسعودية والكويت والإمارات العربية المتحدة فلا يتجاوز عددهم بضعة آلاف^(٢).

لقد بدأت الهجرة من المغرب أساساً طبقة عاملة تنتمي أصلاً إلى الريف من سوس وريف تقتفر إلى التأهيل، وهاجرت في إتجاه أوروبا والشرق الأوسط ثم شهدت الهجرة المغربية إلى الخارج تغييرات كبيرة حتى إمتدت إلى كل أنحاء المغرب وزاد إجتذابها لأبناء المدن أي الكوادر المؤهلة ومعهم أيضاً بعض المشتغلين بالحرب الصغيرة التي يفتقر إليها الإقتصاد المغربي.

وحتى عام ١٩٥٢م كان هناك ١٦٣ ألف مغربي فقط من أصل ٩ ملايين نسمة يذهبون إلى المدارس الرسمية.

ويجب أن نذكر هنا أنه إستناداً إلى معاهدة الحماية الفرنسية على المغرب مارس الفرنسيون إستغلالاً متنوعاً في البلاد وعملوا على التفرقة بين العرب والبربر وكونوا لهم صنائع من كبار الإقطاعيين الباشوات الذين مارسوا سلطات قضائية في مقاطعاتهم مما أثر على التقارب الطبقي بين المغاربة وزاد في بث الفرقة بينهم^(٣) فالوجود الفرنسي لم يستغل فقط الأوضاع الاقتصادية في المغرب، بل حاول التغلغل الاجتماعي ليضمن عدم توحيد القوى المغربية في مواجهته فخلق طبقة ترتبط مصلحتها بوجوده وهى الظاهرة الإستعمارية التي خلقتها أوروبا الإستعمارية لكل بلاد العالم^(٤).

وكما هو معروف من خلال الدراسات التاريخية الجادة فإن الإستعمار الأوربي تقدم إلى الوطن العربي بغطرسة وإستعلاء عنصري لم يشهدهما التاريخ من قبل وعبروا عن هذه الغطرسة والإستعلاء بإدعاء التفوق الحضاري وإنفراد الجنس الأبيض بالريادة الحضارية وإنكسار قيمة آية حضارة أخرى وعدم الإعتراف بقابلية بقية الشعوب على العمل الحضاري والتقليل من قيمة الحضارات القديمة ومن هذه النظرية إستقوا نظرة خاصة نحو العرب، فأنكروا قيمة حضارات

(٣) محمد الأمين فارس المرجع السابق ص ١٠ أنظر:

Laffe. G. The changing Geography of North Africa, Development Migration and the Demographic time bomb in G. P. & Baker. K. M. the changing Geography of Africa and the Middle east, London & New York 1992 P. P. 145 – 147.

(١) رأفت غنيمي الشيش: في تاريخ العرب الحديث ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٥ ص ٣٩٩.

(٢) عبد المنعم محمد بدر: أمتنا العربية (الحاضر والماضي والمستقبل)، دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٧٠ ص: ١٠٩ : ١١١.

وادي الرافدين والنيل وعدوها مرحلة ما قبل العقل وحددوا بداية النشاط الفعلي بفلسفة اليونانيين التي لم تبدأ إلا في القرن السابع ق.م بعد مسيرة ٤٥٠٠ سنة من الحضارة في الوطن العربي، واتخذوا موقفاً سلبياً من حضارة العرب في الإسلام والدور الذي أدته الأندلس في تمدن أوروبا... وعدوا العرب جنساً منحطاً وكمية مهملة^(١)، لذلك عند الحديث عن العرب كانوا يطلقون عليهم كلمة "بلدي" و"أهلي" وما يقابلها من كلمات في اللغات الأوروبية الأخرى.

وواضح أن هذه المسميات تهمل الصورة الثقافية للعرب فتتطرق إليهم وكأنهم حيوانات وحشية تعيش في الأقطار التي إتصلوا بها، ومن هنا شعر الأوربيون بالإستعلاء وبأنهم لم يرتكبوا إثماً بأسلوب معاملتهم للسكان العرب وحرصوا على إستئصال شأفتهم.

ولقد مارس الإستعمار الفرنسي في المغرب صيغاً متعددة في فرض التفوق الحضاري فلم يكن الغرض المباشر هو أنجح الأساليب دائماً وإنما في بعض الأحيان كانت تأخذ طابع قتل الحافز الذاتي على تحقيق التقدم ومن ثم الوصول بالشعب المغربي إلى إحدى نتيجتين، إما أن تبقى متخلفة أو أن تختار التقدم بالإنتماء الأيديولوجي إلى النموذج الرأسمالي... وفي كلتا الحالتين لن يصل التقدم. فالأختبار الأول (البقاء مع التخلف) هو في حقيقة الأمر ليس خياراً ولكنه فرض مقدم في صورة خيار طالما أن القوة الغالبة هي التي تمارس طرح الخيارات وتنفيذها والإختيار الثاني (التقدم على نمط القوة الغالبة) وهو تقدم زائف لن يرقى إلى كل الأشرار العتيقة للتقدم وإنما إلى القدر الذي يبقى التبعية السياسية والثقافية والاقتصادية قائمة لأن القوة المتغلبة المنطلقة من مبدأ الغطرسة لإحتلالها... إذ أن الإرتفاع بالقدرات الذاتية للشعوب المغلوبة ينزل الضربة القاضية بالمصالح الإستعمارية^(٢).

وقد تسبب الإستعمار الفرنسي في خلق ما يسمى ظاهرة التغريب الاجتماعي في المغرب حيث إتبع أسلوبين:

إنصب الأول على تشجيع هجرة الجالية الفرنسية إلى المغرب وإتجه الثاني إلى ساحة التجمعات القومية والطوائف الدينية في المجتمع المغربي وأحاطها بسياس من العزلة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وإحاقها بنفوذ القوة المحتلة وقد كان لكل من الأسلوبين دوره في تحقيق الغربة الاجتماعية في المجتمع المغربي مما أضعف بنائه الاجتماعي والنفسي والثقافي.

(٣) شارل أندري جوليان: أفريقيا الشمالية تسير، الدار التونسية للنشر ١٩٧٦ - ترجمة مجموعة من الأساتذة ص ٧١.
(١) روبرت إيرس: من الإستعمار إلى الإستقلال - ترجمة نيقولا الدر - الدار الشرقية للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٤ ص ٩٥.

حيث دفعت ضرورات تعزيز النفوذ الإستعماري الفرنسي وتأمين مستقبل المصالح الفرنسية في المغرب إلى تشجيع أعداد كبيرة من الفرنسيين وملكتهم الكثير من أجود الأراضي ومكنتهم من السيطرة على كافة المرافق الاقتصادية ولم تمنح الفرصة للتعليم إلا لمن يتبع خطاها.^(١)

وقام الفرنسيون بإعطاء أهمية كبرى للمعمرين الفرنسيين في أقطار المغرب العربي وبالذات الجزائر والمغرب، ومن ثم سهل لها السيطرة على مقدرات أي تطلعات للسكان المحليين، هذا بالإضافة إلى أن سلطات الإحتلال الفرنسية أوجدت أوضاعاً إجتماعية وإقتصادية وثقافية لجالياتها جعلتها تتخذ مواقف معادية للسكان إضافة إلى نزعة الإستعلاء التقليدية التي كانت تحملها.

لذا لم تتوان هذه الجاليات عن أداء دور جماعي مضاد للحركة القومية في هذه اللحظات وأن هذه الحركة على وشك تحقيق إنتصار يهدد سلطة الإحتلال وإمтиاراتها ووجودها هي^(٢).

لقد إنطلقت الجالية الفرنسية في المغرب في موقفها من تناقضها الحضاري مع السكان الأصليين، إلا أنها نجحت أن تعطي هذا التناقض إمتداداته الحياتية وفي معظم الأحيان نتجت مواقفها بسبب مصالحها الاقتصادية التي خلقتها لتكون مبرراً إضافياً يدفعها للتمسك بالأراضي المحتلة.^(٣)

فالمعمرون الفرنسيون مارسوا دوراً كبيراً في مساندة الإستعمار الفرنسي وإذا كان الإستعمار قد إستخدم موضوع الأقليات القومية والطوائف الدينية في الوطن العربي إستخداماً واسعاً لأغراضه فقد ساعدته في ذلك ظروف متعددة في مقدمتها أن الوطن العربي كان موطن الحضارة وميدانها ووطن الأفكار والعقائد الدينية، ومهبط الأديان السماوية التي ختمها الإسلام الذي إحتوى جميع المبادئ والقيم التي نادى بها الأنبياء والمصلحون والرسل. فهو في ذلك يمثل أعلى مرحلة في مسار الأديان جميعاً وهو إلى جانب ذلك صورة رائعة في الربط بين إرادة الله وإرادة الإنسان^(٤) وقد أدى التسامح الديني عند العرب المسلمين إلى أن يحتفظ الكثير من العرب من كانوا يعتقدون الأديان السابقة بدياناتهم، يضاف إلى هذا إنسانية الأمة العربية وإتاحتها الفرصة للمضطهدين في العالم أن يعيشوا في كنفها دونما ضغط أو إضطهاد، وكان لجوء

(٢) D. Bouche, : Histoire de l'ens, dans L'A. O. F. Uni de Paris 1974 P. P. 203 –

205.

(١) نزار عبد اللطيف الحديثي: الأمة العربية والتحديث، دار الحرية للطباعة ببغداد ١٩٨٥ ص ٦٦.

(٢) روم لاند: تاريخ المغرب في القرن العشرين ترجمة نيقولا زيادة. دار الكتاب المغربي ١٩٣٠م ص ص ٩٨ . ١٠٥.

(٣) روم لاند: أزمة المغرب الأقصى ترجمة حسن الحوت . القاهرة ١٩٦١م ص ص ٥٠ . ٥٤.

الإستعمار إلى هذا الإستخدام نابعاً من هدفه الخاص لتعطيل البنية العامة لسكان الوطن العربي، فالمعروف عن وطننا العربي أن واحدة من أبرز سجاياه ومزاياه الإستراتيجية إطلاقاً درجة النقاء القومي والفكري الذي يمتاز به سكانه، ومثل هذه المزية لا تتوفر للعديد من الأمم الأخرى في العالم ومن هنا إكتسبت الوحدة العربية واحداً من أبعاد خطورتها على الأبعاد الإستعمارية.^(١)

إزاء هذا الوضع مارس الإستعمار الفرنسي في المغرب سياسة تحريضية إعتمدت إثارة الأوضاع النفسية وتحويل الثقافات الدينية الخاصة بالطوائف إلى ثقافة قومية وبلورة لحياة ثقافية للأقليات داخل المغرب وتوجيهها صوب إضعاف البناء العام للمجتمع المغربي.^(٢)

ففي المغرب لجأت السلطات الفرنسية حيث كان المقيم الفرنسي يدعو إلى فصل البربر عن العرب وإدماجهم في البيئة الفرنسية وطالب بإحياء اللغة البربرية بحروف لاتينية. وقام المستشرق "جودفرد دي توبنين" مستشار التعليم في مراكش بوضع مشروع مفصل بهذا الخصوص وركز المبشرون نشاطهم في مناطق البربر فكان لهم ١٣٨ مركزاً تبشيراً وتعليمياً حتى ١٩٧١م وفي عام ١٩١٤م أصدرت فرنسا ما عرف بإسم الظهير البربري، تم بموجبه إخراج البربر من دائرة القضاء الشرعي في الأمور المدنية، وجعل مجلس الجماعة أو القبيلة مختص بنظر تلك الشؤون.^(٣)

وفي ١٩٣٠ أصدرت فرنسا الظهير البربري الثاني تضمن المواد التالية:

مادة ١: جميع القضايا التي تحدث في القبائل البربرية والتي هي من إختصاص القواد في التشريع الإسلامي يرجع الفصل فيها بعد الآن إلى رؤساء القبائل.

مادة ٢: تخضع المعاملات المدنية والتجارية والعقارية وما يتعلق بالأموال المنقولة للتشريع الخاص المسمى بالعادات القبلية.

مادة ٣: إنشاء محاكم عرفية إستثنائية للبربر.^(٤)

وواضح أن الهدف من هذا الظهير كان هو عزل البربر عن المجتمع المغربي عامة وتحويلهم إلى كيانات قبلية تتمتع بإستقلال ذاتي فيما بينها وإستقلال عام عن المجتمع وجعل أرتباطها مع السلطة الإستعمارية الفرنسية وإيجاد الحساسيات بينها وبين السكان.

(٤) جمال حمدان: إستراتيجية الإستعمار والتحرر . بيروت ١٩٦٠م ص ص ٧٨ . ٩٠ .

(٥) صلاح العقاد: المغرب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦١ ص ٣٠٦ .

(١) شارل أندري جوليان: مرجع سابق ص ١٦٩ .

(٢) إحسان حقي: المغرب العربي، دار البقعة العربية - بيروت ١٩٦٨ ص ٥٥ .

وقد كانت فرنسا تهدف أن تكون المدارس البربرية خلايا للسياسة الفرنسية، وأدوات دعاية لها بدلاً من أن تكون مراكز تربوية^(١) ودعا "ماسينيون" الفرنسي في مراكش إلى إستخدام العامية في المغرب وإحياء البربرية مقابل اللغة العربية لإضعافها^(٢).

وقد سيطر الإستعمار الفرنسي في المغرب على مقدرات التعليم وحاول فرنسته وخططت فرنسا في إستخدامه ليكون أداة نافعة في تغيير العقائد وتفكيك الروابط الاجتماعية جنباً إلى جنب بأن يبقى المواطن المغربي في التأثير الإستعماري بما في ذلك أولئك الذين سيصبحون يوماً قادة في أوطانهم وقد مر التخطيط الإستعماري الفرنسي للثقافة والتعليم في المغرب بمرحلتين:

الأولى: مرحلة التغلغل التي شهدت نشاط الإرساليات الأجنبية وهجرة الفرنسيين إلى المدن المغربية وتشكلهم جاليات كبيرة وفي هذه المرحلة كان هدف السياسة الإستعمارية الفرنسية إيجاد مدارس أجنبية دون التعرض للتعليم المحلي.

الثانية: مرحلة السيطرة التي إنتقلت بموجبها السياسة الإستعمارية من مجرد إدارة مدارس المبشرين أو الجاليات الأجنبية إما إحتواء التعليم كله^(٣).

وقد لجأت فرنسا إلى إلغاء التعليم الوطني في المغرب دعماً لنفوذها الإستعماري وأخضعوا التعليم الوطني هناك للإدارة السياسية وفرضوا عليه رقابة وحدوده في حدود إعداد موظفين للإدارة فقط^(٤) كما إقتصرت المنظومة التعليمية على حدود معينة من التعليم الابتدائي والمتوسط وعدم نشر التعليم العالي إن وجد بالعلوم الإنسانية والنظرية.

ومثل هذه السياسة نجحت في إبقاء التعلم بعيداً عن تأمين مستلزمات التنمية والتقدم وحتى في حالة توافره، فإن إتجاهاته لا تخدم الطموح المطلوب لتجاوز التخلف. هذا بالإضافة إلى تحديد فرصه وإشباعه بالموضوعات العلمية والثقافية الأجنبية التي تشيع سياسة التغريب القومي وتهيئ نشوء ولاء للثقافة الأجنبية كما قامت فرنسا بمحاربة اللغة العربية في المغرب وتشجيع تدريس اللغات الأجنبية.

ولم تذهب الآمال التي عقدها الإستعماريون على التعليم والمدارس الأجنبية للبعثات التبشيرية سدى فقد نجحت في إيجاد فئات من المتعلمين تفاوتت في مواقعها غير أن القاسم المشترك لها جميعاً أنها كانت في مواقعها تنطلق عن النفسية والذهنية التي أكسبها أيها التعليم

(٣) روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نقولا زياد، دار الكتاب المغربي ١٩٦٣ ص ١٧٧.

(٤) عمر فروخ - مصطفى أكالوي: التبشير و الإستعمار في الدول العربية، المكتبة المصرية - بيروت ١٩٧٣ ص ٢٤٤.

(١) جلال الفاسي: الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، مطبعة الرسالة - القاهرة ط ١ ١٩٤٨ ص ٦٩.

(٢) عبد الحميد جلون: هذه مراكش، مطبعة الرسالة - القاهرة ١٩٤٩ ص ١٤١.

حتى تلك التي مارست العمل السياسي الثقافي واحتلت مواقع في الحركة السياسية أو الثقافية كانت في الواقع تنطلق من الموقع الذي حدد لها من قبل^(١).

والواقع أن تدريس اللغة الفرنسية وإحتواء المناهج التعليمية الإنسانية وتقديمها باللغات الأجنبية أيضاً أوجد فئة مثقفة على ما أتيح لها من منشور المدينة الأوربية... وحجج أنها لم تتخل عن الإسلام مثلاً كما كانت ترغب بذلك فرنسا لكنها أصبحت تعتنق إسلاماً مادي النزعة، وتنتظر إلى الإصلاح نظرة تنطلق من وجهة نظر أوربية، فالثقافة الأوربية والتعليم الأجنبي أبعد الإنسان عن أصوله الحضارية وقطعا إتصاله بخلفيته التاريخية، لقد خرجت أجيالاً ممن يتقنون لغة العرب ويحفظون تاريخه ويعتقدون حضارته، ويهلكون إنتمائهم الوطني والقومي والتاريخي.

كما نجحت الثقافة الفرنسية في المغرب أيضاً في أن تفصل إرتباط المواطن بجوهر تكونه الحضاري وفهمه لتاريخه فأبعدته عن إدراك صيغة التكون الجديد التي يجب أن تمارسها أمة ناهضة، وجعله مهزوماً أمام الحضارة الأوربية منبهرّاً بها وتدرجياً إنزلق هذا النوع من المواطنين في أحضان التربية الأجنبية إلى الحد الذي تطوع للدعوة بالتعليم في المناهج المدرسية باللغة الأجنبية أو إنبرى للإساءة إلى الدور الحضاري للعرب^(٢).

وفي ضوء ما سبق يمكن أن نحدد الطريق الذي سلكه المغرب بعد حصولها على الإستقلال بأنه لم يكن سهلاً، بل كان مليئاً بالأشواك والصعوبات حيث كان على الدولة أن تبدأ من الصفر ... لا صناعة... لا تجارة... لا إنتاج للتصدير ... لا تعليم.

وكانت الشركات الفرنسية لا تزال تسيطر على مقدرات الإقتصاد الوطني المغربي بينما كانت أجود الأراضي في يد الجالية الفرنسية هذا كله بالإضافة إلى ضعف الإلتناء الوطني لدولة المغرب، حيث أتت السياسة الإستعمارية أكلها وأثمرت ثمرها في وجود ثغرة بين سكان البلد الواحد من عرب وبربر.

وكان لابد من:

رسم سياسة إقتصادية تقبل عثرة المجتمع وتستثمر كل الموارد الطبيعية لصالح أهالي المغرب مع وجود نوع من التوازن بين الإنتاج الزراعي والصناعي، والنشاط التجاري.

كما كان لابد من إخضاع جميع السكان لقانون واحد، يسري على العرب والبربر مما

(٣) نزار عبد اللطيف الحديثي: المرجع السابق ص ٧٧.
(١) إميل فهمي: التعليم الحديث، دراسة وثائقية، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٧٧ ص: ١٠ - ١١.

أدى إلى إلغاء المؤسسات العرفية التي تمتع بها البربر خلال فترة الإحتلال الفرنسي وأحسوا بضعف الإلتزام للوطنية.

كما كان لابد من إعادة التخطيط لمنظومة تعليمية متوازنة تهتم بفلسفة المجتمع حيث تشجع التفوق والإبداع وتسعى للتعليم العالي ويكون ذلك التعليم باللغة العربية.

وساعدت الظروف السياسية والدولية المغرب على تحقيق الكثير مما كانت تطمح إليه للقضاء على سمة التخلف التي أرادها لها الإستعمار الفرنسي.

فقد خرجت فرنسا من الحرب العالمية الثانية في حالة أقرب إلى الهزيمة منها إلى النصر... حيث لا تنسى ما أوقعه بها الإحتلال النازي، ثم لحقت بها الهزائم في الهند الصينية وبدأت أمبراطوريتها في التقلص وأجبرت على عودة السلطان محمد الخامس المعروف بإسم عبد الله محمد بن يوسف والذي كان قد تولى الحكم في سلسلة الدولة العلوية في ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م) ثم ما لبثت فرنسا أن أطاحت به وأنتت بسلطان العوبة في يدها يسمى بن عرفة مما أدى إلى ثورة المغاربة، وثورة الرأي العام... وأجبرت فرنسا على عودة عبد الله محمد بن يوسف في ١٩٥٥ وهو نفس التاريخ الذي أعتبرت فيه فرنسا المغرب دولة مستقلة... وتولى محمد الخامس مدة ست سنوات (١٩٥٥-١٩٦١م) بعد عودته ثم ما لبث أن توفي ١٩٦١ وأمسك بزمام الأمور من بعده ولده الملك الحسن الثاني.

وورث الحسن الثاني دولة مستقلة^(١)... ولكنها كانت مثقلة بمشاكلها وبميراثها الإستعماري وكان عليه أن يواجه كل الضغوط التي تحيط بها وأهمها:

- إعادة بناء الإقتصاد المغربي.
- توحيد الصف المغربي لإحياء الإلتزام للوطن والأمة.
- وضع سياسة تعليمية جديدة.

ومن الملاحظ أن التطور في هذه المجالات الثلاثة كان ضعيفاً بسبب المشكلات الداخلية وبقياء السياسة الإستعمارية... ولكن بولاية الحسن الثاني تكون الأوضاع قد إستقرت ويتيح التاريخ لدولة المغرب أن تعيد إكتشاف نفسها وأن تستثمر قدراتها الاقتصادية وأن تدخل معركتها مع التصنيع وأن تضع لها أسس على الخريطة.

(١) دوجلاس اي. روم لاند: محمد الخامس منذ إعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته. بيروت ١٩٧٩م ص ٣٣ . ٥٠.

وبالطبع لن يهتما نتبع الأوضاع السياسية في عهد الملك الحسن الثاني وإنما أيضاً لا يجب أن نغفل تأثيراتها على دفع عجلة التنمية الاقتصادية^(١) والاجتماعية من أجل المواطن المغربي.

ولقد عانى المجتمع المغربي من التضخم وزيادة الأسعار حيث يظهر من الجدول التالي أن نفقات المعيشة إرتفعت اثنين وعشرين ضعفاً بينما إرتفعت الأجور ١١ ضعفاً فقط (الأساس هو ١٠٠ لسنة ١٩٣٨م)^(٢).

السنة	نفقات المعيشة	الأجور	القوة الشرائية (النسبة المئوية)
١٩٤٥	٣٩٨	٣٧٠	٩٣
١٩٥٠	١.٨٢٥	٨٧٠	٤٥
١٩٥٢	٢.٧٨٦	١.٤٧٨	٥٢

وكان العامل في الفلاحة يحصل على مورد ثلث ما ينتجه العامل المنخفض الأجر في الصناعة والتجارة.^(٣)

السنة	الأجر
١٩٤٥	٢٠ . ٢٠ فرنكاً
١٩٤٩	٣٥ . ١٠٠ فرنكاً
١٩٥١ / ١٩٥٠	٣٥ . ١٥٠ فرنكاً

وبسبب الأجور القليلة فإن مخصصات الأسرة يصبح لها أهمية كبيرة للعامل المغربي، يقول الناطق المغربي: "ثمة تفريق بين ما يدفع للعمال الأوروبيين وما يدفع للعمال المغاربة من حيث مخصصات الأسرة".^(٤)

وكان هناك بسبب السياسة الإستعمارية الفرنسية سوء توزيع للملكية الزراعية مما كان يؤدي إلى الفقر، حيث أن من خمسة الملايين من الهكتارات المستقلة، ما يزيد على مليون منها، وهى أخصب الأراضي إنتقلت إلى أيدي الأوروبيين عن طريق نزع الملكية ولذلك فإن الفلاحين المغاربة البالغ عددهم نحو مليون لم يكن لهم سوى مساحة هى الأربعة ملايين من الهكتارات لإستغلالها قد ترتب على ذلك أن معدل مساحة قطعة الأرض التي يملكها المغاربة هى ٣

(٢) سعيد بن سعيد العلوي: الوطنية والتحديثية في المغرب . بيروت ١٩٩٧م ص ص ٢٢ . ٣٠.

(٣) روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين - بيروت ١٩٦٣، ترجمة نقولا زيادة ص ٢٩٠.

(١) U. N.: statistical year book New York 1983 – 1984 P. 465.

(٢) Statestman: Year book 1985 – 1986 London P. XVIII.

هكتارات.

وفيما يلي إنتاج الهكتار الواحد لسنة ١٩٤٩ . ١٩٥٠ بالقنطار في المزارع الأوربية مقابل المزارع المغربية^(١):

المزارع المغربية	المزارع الأوربية	
٥	١٠.٤	القمح الصلب
٤.٢	١١.٣	القمح الطري
٢.٧	٧.٣	الجويدار
٢.٦	٤.١	الذرة
٥.٣	١٠.٣	الطباقي

ولا يمكن القول بأن الإنتاج الأكبر سببه العمل الأكثر جدية في المزارع الأوربية، فإن العمل في هذه المزارع قد تم بأيد مغربية.^(٢)

ويشير المغاربة في تحليلهم للوضع الاقتصادي إلى أن الفرنسيين إتبعوا في المغرب سياسة إستعمارية مألوفة بإهمالهم إدخال الصناعات الثقيلة في البلاد وكان نتيجة ذلك أن جرد المغرب من ثرواته الطبيعية بينما تعود كل المنافع إلى المستعمرين الفرنسيين وإلى حياة فرنسا الاقتصادية.^(٣)

إن التطور الذي أصاب التعدين ووسائل المواصلات والتجارة لم يفد المغاربة الذين يعتمدون على الأرض في الحصول على معيشتهم، كما أن الـ ١٠٠٠.٠٠٠ عامل صناعي من الأصليين لم يفيدوا من هذه التطورات لأنهم يتقاضون أجوراً منخفضة جداً.

ولقد كانت الأوضاع الصحية في حالة يرثى لها وعانت المغرب في الخمس سنوات الأولى من حصولها على الإستقلال من نقص في الأطباء وفي المستشفيات.

ثالثاً: التطور الاقتصادي والاجتماعي في المغرب من عهد الإستقلال حتى ١٩٨٠:

فور عودة السلطان محمد الخامس من مدغشقر، بدأ المغرب مع فرنسا مفاوضات أسفرت

(٣) الهيئة العامة للإحصاء المغربية - الرباط ١٩٥٠ ص ٦.

(١) The world Bank: World development report 1984 New York 1981 - P. 105.

(٢) F. A. O. Production year book Rome 1986 vol 39 P. P. 225 - 230.

عن معاهدة الثاني من مارس ١٩٥٦ وقد إعترف فيها نهائياً بإستقلال البلاد وقد كانت الكلمات قاطعة في المعاهدة أن حكومة الجمهورية الفرنسية، بناءً على ذلك، تؤكد بوقار إعترافها بإستقلال المغرب.

وعلى الرغم من أن الغاية من عام الحرب التي شنتها المغرب على فرنسا إنما كانت الإستقلال القومي وعودة السلطان من منفاه، كان كل شيء على ما يبدو يسير في مصلحة فرنسا ولذلك كان النصر المفاجئ شبه مباغتة للمغربين، ولقد أدرك المتفرقون أن الإستقلال ليس إلا خطوة أولى وأن المصاعب ما برحت تواجه البلاد، حيث كان المغرب يعاني نقصاً شديداً في رجال الإدارة والفنيين وسائر الخبراء المدربين اللازمين لتسيير الدولة. ففي عهد الحماية لم تكن الإدارة وحدة مسيرة بحيث تخدم المصالح الفرنسية وإنما كان الإقتصاد والتعليم في البلاد أيضاً يسير في هذا الإتجاه وفجأة صار من الواجب أن يعكس هذا النظام^(١).

وعلى الرغم من أن الحكومة الوطنية وجدت نفسها مضطرة إلى الإحتفاظ بالآلاف من رجال الإدارة والفنيين الفرنسيين، فقد تدهورت الكفاءة العامة، ومع ذلك فإن الإنهيار العام لم يقع، ومضت البلاد في طريقها، رغم الهواجس المعلقة التي أبداها الكثيرون من الأجانب. ولقد ظهرت الإصلاحات في حقول التعليم والخدمة الاجتماعية حتى في العام الأول من الإستقلال، وهي إصلاحات طالما بدت فوق مقدور عهد الحماية^(٢).

حقاً إن الموقف المالي قد ساء، لأن فرنسا كانت قد وعدت بالإستمرار في تقديم القروض للمغرب من أجل مشاريع التنمية، ما لبثت أن سحبت هذه القروض فور توقيع إتفاقية الإستقلال والولايات المتحدة لم تعرض مساعدتها المالية والفنية إلا عام ١٩٥٧، ولكنها لم تكن من الضخامة في بادئ الأمر بحيث تكفي للتعويض عن فقدان القروض الفرنسية، ولقد أقفل عدد من دور الأعمال الفرنسية الخاصة في المغرب أو خفض إنتاجها، فسبب ذلك مزيداً من الفاقة والبطالة ولم يتعرض الفرنسيون لأي حادث تأري بإستثناء ثورة أو ثورتين ضدهم، وقد بذلت الحكومة المغربية كل ما في وسعها من أجل الحيلولة دون رحيل رجال الإدارة، والمستوطنين والمعلمين الفرنسيين. وبينما كانت الحكومة حريصة على صيغ الحياة القومية بصيغة مغربية بأسرع ما يمكن، فقد قاومت نوازع العاطفة، وإكتفت طول أعوام بألا تعزل من الموظفين الفرنسيين سوى أولئك الذين كان في الإمكان أن يحل محلهم المغربيون.

(١) روم لاندو: المرجع السابق ص ٣٩٢.

(٢) The Truth about Moroc co., New York, Moroccan Office of Information and Documentation 1153 P. P.: 202 – 204.

لقد سلم الناس كلهم بأن المهندس الحقيقي للنصر الذي أدى إلى الإستقلال إنما هو محمد بن يوسف الذي تخلى عن لقبه السابق "السلطان" بعد عودته ببضعة أشهر، متخذاً لنفسه لقب الملك محمد الخامس.^(١)

وعملًا بتوجيه من الملك محمد قرر المغريون نسيان جميع المظالم التي كانوا قد عانوها على أيدي الفرنسيين فعاملوا الجالية الفرنسية في الأراضي المغربية معاملة تتصف بأعظم الإحترام، وكان الانفجار الدموي الوحيد ضد الفرنسيين الذي وقع في مكناس عام ١٩٥٦ نتيجة للإستفزاز الذي سببه الفرنسيون حين خطفوا الزعيم الجزائري بن بيل ورفاقه الأربعة الذين كانوا مسافرين بالطائرة من الرباط إلى تونس وهم ضيوف مكرمون عند الملك محمد. وكان كل فرد في المغرب مستاء من وجود القوات الفرنسية الدائم، ولكن السبب الوحيد للإحتكاك حينما سحبت فرنسا القوات الفرنسية^(٢) الدائم.

وفي سنة ١٩٥٧ نجح الملك محمد الخامس في إستعادة طنجة للناج المغربي ولم يلبث أن أقنع أسبانيا بالتنازل عن مقاطعة طرفاية في التجويف الشمالي من ربود ورد ما فيها من بشائر كبيرة بوجود مستودعات للنفط فصارت طرفاية المقاطعة السادسة عشر في المغرب.

وفيما يلي التشكيل الإداري للمغرب^(٣) في عام ١٩٦١ :

المقاطعات المغربية	السكان بالتقريب ١٩٦١
١. مراكش	٢ مليون نسمة
٢. الدار البيضاء	١.٥
٣. الرباط	١.٣
٤. أغادير	٠.٩
٥. فاس	٠.٩
٦. تطوان	٠.٧
٧. مكناس	٠.٦
٨. وجدة	٠.٦
٩. بن ملال	٠.٥
١٠. تازة	٠.٥
١١. ورزازت	٠.٥
١٢. قصر السرن	٠.٤
١٣. الناظور	٠.٤

(٣) عبد الرحيم الوديعي: الخفايا السرية في المغرب المستقل ١٩٥٦ . ١٩٦١م الدار البيضاء ١٩٨٢م ص ص ٦٣ . ٦٩ .

(١) عبد الكريم غلاب: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب . الرباط ١٩٨٧م ص ٩٣ .

(٢) علال الفاسي: الحركات الإستقلالية في المغرب العربي . مطبعة الرسالة ١٩٥٤م ص ٨٠ .

٠.٢	١٤. الجسيمة
٠.٢	١٥. طنجة
٠.٢	١٦. طرفان

ولقد كان للمعونة الأمريكية الأثر الكبير في تعويض الإقتصاد المغربي عن الخسارة الكبيرة الناجمة عن تخفيض الإستثمارات الفرنسية.^(١)

وقد وقعت حكومة المغرب مع الولايات المتحدة إتفاقية هدفها:

(١) منح بالنقد والسلع لدعم التنمية في الزراعة والإشغال العامة وإنشاء المنازل الشعبية والطرق.

(٢) تدريب المغاربة (في الولايات المتحدة غالباً).

(٣) معونة فنية.

(٤) منح طارئة بالنقد والمواد الزراعية للمساعدة في الأزمات الفردية كتلك التي يسببها الجفاف.

وقد بدأت المعونة الأمريكية بقرض قدره عشرون مليون دولار عام ١٩٥٧ ثم أصبح في عام ١٩٦٢ خمسون مليون دولار.^(٢)

وعلى الرغم من إمكانيات المغرب الغنية بالمصادر المعدنية والزراعية فقد كان بسبب السياسة الإستعمارية يعيشون في فقر مدقع حيث كان ٨٠% من السكان لا يزالون يحصلون سبعة دولارات كل عام وكانت مدخرات الشعب كله ستون مليون دولار^(٣) أي ستة دولارات للفرد. وكان على قمة الهرم الاقتصادي طوال أعوام الحماية الفرنسية نخبة فرنسية صغيرة فاق غناها غنى الفئة المماثلة لها في فرنسا بينما كانت الأغلبية من أهالي البلاد تعاني من سوء التغذية وكانت الصادرات والواردات المغربية في عهد الحماية محصورة في التبادل مع فرنسا وحدها تقريباً ولكن الحكومة المغربية بعد عهد الإستقلال إستطاعت إنشاء علاقات تجارية مباشرة مع عدد من الأقطار ولكن رغم ذلك ظلت فرنسا هي السوق الرئيسي للمغرب مما أكد أن الإقتصاد

(١) عبد العزيز خلوفا التسماني: دراسات في تاريخ شمال المغرب المعاصر . الدار البيضاء ١٩٩٦م ص ص ٧٣ . ٧٥.

(٢) عياش البير: المغرب والإستعمار . حصيلة السيطرة الفرنسية . الدار البيضاء ١٩٨٥م ص ص ٨٣ . ٨٥.

(٣) روم لاندو: المرجع السابق ص ١٩٩.

المغربي كان لا يزال عاجزاً عن تحرير نفسه من السيطرة الاقتصادية تحريراً كاملاً^(١).

والجدول التالي يوضح التجارة المغربية مع دول السوق الأوروبية المشتركة (بالألف درهم):

البلد	الصادر	الوارد	الصادر	الوارد
فرنسا	٦٤٧.٧٤٤	٧٢٠.٠٠٧	٧٢٠.٤٨١	١.٠٢٣.٩٢١
ألمانيا الغربية	١١٧.٥٠١	٩٥.٧٨٥	١٦٣.٧٣٣	٩٥.٤٧٤
إيطاليا	٦٩.٦٧٩	٤٣.٥٨٣	٨٨.٠٥٢	٧٠.٣٥٢
بلجيكا - لوكسمبورج	٤١.٩٢٢	٣٤.٩٨٦	٤٤.٨٦٢	٤٥.٤٩٣
هولندا	٣٧.٧٩٥	٣٤.٦١٣	٤٤.٨٦٢	٤٥.٤٩٣
نسبة التجارة مع السوق الأوروبية المشتركة إلى المجموع	%٨٩.٨	%٦٣.٤	%٦١.١	%٥٩.٨

وقد بدأت الحكومة عام ١٩٦٠م مشروعاً إقتصادياً لخمس سنوات يستهدف زيادة الإنتاج بمعدل ٥% كل عام، مع رفع مجموع الإستثمارات إلى ٣٤٠ مليون دولار كل عام، أي ١.٧ مليون في مدة خمسة أعوام وقد شدد المشروع على وجوب تنمية الصناعات الخفيفة التي تستطيع الإنتفاع بأقصى حد من الخامات المحلية مع زيادة الإنتاج الزراعي.

وخطت الحكومة أن تبلغ هذا الهدف الأخير بإنشاء إدارة مركزية للري وأخرى للرهنيات الزراعية وزيادة المراعي، وإصلاح الأراضي، وتصنيف الأراضي الخاصة بالدولة ووضع بعض الأراضي تحت النظام الجماعي وقد زادت مساحة الأرض الزراعية في عام ١٩٦٤ بنحو مليون ونصف فدان صالحة للزراعة.^(٢)

ومن الواضح أنه ليس في الإمكان قيام إقتصاد مستقل بدون وحدة نقدية وإستقلال نقدي وحيث كانت البيسيتا الأسبانية هي العملة المتداولة في المنطقة الشمالية تحت الحكم الأجنبي،

(٤) Buttin, Paul, Le drame de Maroc, Paris les edition du cerf 1955 P. 143.

(١) أنظر الملحق رقم ٧ محفظة رقم ٦٤ بتاريخ ٢٩ أكتوبر ١٩٥٩م بشأن تأليف الوزارة الجديدة والحالة الاقتصادية ومحفظة رقم ٦٣ بتاريخ ١٧/٦/١٩٥٨م حول اجتماع اللجنة العليا للتخطيط ومحفظة رقم ٦٤ بتاريخ ١١/٣/١٩٥٧م حول الحالة الاقتصادية والاجتماعية في المغرب ملحق رقم ٨.

بينما كان الفرنك الفرنسي عملة المناطق الباقية من المغرب، وفي فبراير ١٩٥٨م سحبت البيسيتا من المنطقة الشمالية وحل محلها الفرنك ولكن نظام المغرب النقدي بقي جزءاً من نظام فرنسا، فكان النقد المحلي القائم على الفرنك الفرنسي معرضاً لجميع التقلبات التضخمية والتخفيفية في فرنسا وكان مصرف الدولة بالفعل مؤسسة فرنسية وبعد مفاوضات طويلة إستبدل بهذا المصرف في يوليو ١٩٥٨ مصرف المغرب وهو مغربي صرف وحل الفرنك المغربي بعد ذلك بسنة محل الفرنك الفرنسي^(١)، وأدخل الدرهم كوحدة نقدية جديدة قيمتها مئة فرنك أي نحو عشرين سنتاً أمريكياً.

وكان تحرير الجمارك خطوة أخرى نحو تحرير الإقتصاد الوطني من القيود الأجنبية وفي عام ١٩٥٧م كان هذا الإقتصاد ضحية معاهدة الجزيرة عام ١٩٥٦م إحدى بقايا المنافسات الدولية التي كانت تفرض الرسوم الجمركية على جميع البضائع المستوردة بمعدل ١٢% من ثمنها بغض النظر عن طبيعتها أو مصدرها وهكذا لم يكن في الإمكان حماية الصناعة المحلية وتخفيض الرسوم على المواد ذات الضرورة القصوى، وفي عام ١٩٥٧م نجحت الحكومة في حمل فرنسا وبريطانيا وأسبانيا على التخلي عن حقوقها الجمركية التي كانت قد إكتسبتها قبل مائة عام، فإستعاد المغرب حريته الاقتصادية وأصدر تعريفه جمركية جديدة في ٢٤ مايو ١٩٥٧م، ولم يكن في الإمكان فرض ضريبة أكثر من ١٠% على الخامات اللازمة للزراعة والصناعة ومن ٥% إلى ٢٠% على المنتجات التي لم يتم صنعها ومن ١٥% إلى ٣٥% على المواد الإستهلاكية أما المواد التي يمكن إستيرادها مرغوباً فيه كالسجائر والطنافس (السجاد) فربما كان عليها أن تدفع حتى ٥٠%.

وكان الإصلاح في حقل التعليم^(٢) من أروع إصلاحات العهد، فلما خلف الحكم الوطني الحكم الفرنسي عام ١٩٥٦م ولم يكن في المدارس سوى ٢٢٠ ألف مغربي أي نحو ١٢.٥% من أبناء المغرب الذين هم في سن الدراسة ولكن هذا الرقم كان قد بلغ عام ١٩٦١م نحو مليون ممن هم بين السادسة والرابعة عشرة من العمر ويجب أن يضاف إلى هؤلاء أكثر من ثلاثين ألفاً في المدارس الثانوية وعشرين ألفاً في المدارس الفنية وقد خصص للتعليم ربع الميزانية المغربية أي أكثر من ستين مليون دولار.

ولكن نقطة الضعف الرئيسية في جهاز التعليم إنما كانت النقص في المعلمين ولمعالجة هذا الأمر فقد أستخدم تلامذة كمعلمين ويعلمون من الأقطار الأجنبية وخاصة من مصر

(١) عبد الحميد بن جلون: هذه مراكش . القاهرة ١٩٤٩م ص ص ٦٢ . ٦٤ .

(٢) عبد الحميد بن جلون: جولات في مغرب أمس ١٩٥١م الدار البيضاء د ت ص ٧٧ .

والعراق، كما أنشئت عدة كليات لتدريب المعلمين.^(١)

وفضلاً عن ذلك فقد وقعت مع فرنسا معاهدة ثقافية سمحت لهذه أن يكون لها في المغرب بعثة ثقافية وجامعية للقيام بتعليم الناشئة الفرنسية وقد قامت هذه البعثة عام ١٩٥٧ بتعليم أكثر من تسعة آلاف تلميذ منهم أكثر من ألفين من المغاربة المسلمين واليهود ونحو ٣٨ ألف تلميذ إبتدائي منهم أكثر من خمسة آلاف مسلم مغربي وأكثر من ألف يهودي مغربي.

ولقد ظهر أن مهمة تعريب التعليم الوطني أصعب مما كان في الحسبان بسبب النقص في الكتب الدراسية والمعلمين^(٢) في آن واحد وبعد مقدار كبير من التجربة والخطأ أتخذ قرار بالسير في عملية التعريب ببطء.

وتقرر أن يكون التعليم في المغرب إبتداء من ١٩٦٠ مجاناً وقد خصصت الحكومة عشرين ألف منحة دراسية كاملة في المدارس الإبتدائية والثانوية والفنية وفي الجامعة أيضاً. وقد منحت الحكومة كذلك ٨٠٠ منحة دراسية لمغاربة يتلقون العلم في جامعات أجنبية موزعة على النحو التالي:

٥٠٠ في فرنسا، ١٠٠ في أسبانيا، ٦٦ في مصر، ٦٥ في سوريا، ٢٤ في العراق والباقي موزع على بعض الدول الأوربية.

وزادت العلاقات المغربية الأمريكية في مجال التعليم وفي عام ١٩٥٧ وجدت ثلاثة معاهد فصارت جامعة جديدة في الرباط. وهذه المعاهد هي معهد العلوم العالية المغربية (الآداب) ومركز الدراسات في الشرعية ومركز الدراسات العلمية العليا.^(٣)

وكانت توجد جامعة القرويين في فاس ومحورها الرئيسي تدريس العلوم الدينية والشرعية واللغة العربية.

وإذا كان المغرب قد إستطاع أن يضع اللبنة الأولى لبناء إقتصادي وإجتماعي جديد بعد خروج المستعمر وإعلان الإستقلال فإن الملك الخامس رحل في عام ١٩٦١ وتولى بعده ابنه الملك الحسن الثاني.

(٣) محمد بن عزوز حكيم: وثائق تشهد . الرباط ١٩٨٠ ص ٢٣ . ٣٢.

(١) محمد المالكي الناصري: الحركات الوطنية والإستعمار في المغرب العربي . بيروت ١٩٩٣ ص ١٢ . ١٧.

(٢) محمد زنيبر: صفحات من الوطنية المغربية منذ الثورة الريفية إلى الحركة الوطنية . الدار البيضاء ١٩٩٠م ص ٤٣.

وقد ولد الملك الحسن الثاني^(١) في الرباط في ٩ يوليو ١٩٢٩م وتلقى دروسه الابتدائية والثانوية بالمعهد الملكي بالرباط وبعد ذلك واصل دراسته الجامعية في بوردو بفرنسا حيث حصل في ١٩٥١ على دبلوم الدراسات العليا في القانون. وقد حرص والده على أن يتلقى ابنه البكر إلى جانب الثقافة الفرنسية دراسة عربية وإسلامية عصرية. كما حرص والده على تدريبه وهو صغير على شئون الإدارة والحكم ومن ثم إكتسب وهو صغير خبرات عدة.

مؤتمر الدار البيضاء ١٩٤٣م ذلك المؤتمر الذي ضم كلاً من تشرشل^(٢) وروزفلت وديجول ومحمد الخامس. وفي ١٩٤٤م شارك الشاب الحسن الثاني مع ممثلي الحركة الوطنية المغربية في تحرير وثيقة الإستقلال. وفي ١٩٤٧م شارك الأمير الحسن في الرحلة التاريخية التي قام بها محمد الخامس إلى طنجة الدولية آنذاك حيث ألقى محمد الخامس خطاباً تاريخياً طالب فيه بإستقلال بلاده وتوحيدها وإنضمامها إلى الجامعة العربية وفي ١٩٥٣م قامت السلطات الفرنسية بنفي الملك محمد الخامس ومعه الأمير الحسن الثاني وتم ذلك إلى كورسيكا ثم في ١٩٥٤م في يناير نقلا إلى مدغشقر وبعد العودة من المنفى شارك بجانب والده في فبراير ١٩٥٦م في مفاوضات الحصول على إستقلال المغرب وفي أبريل ١٩٥٦م وبعد الإستقلال عينه والده رئيساً للقيادة العليا للقوات المسلحة الملكية وقد تولى الحكم في ٢٦ فبراير ١٩٦١م إثر وفاة والده.^(٣)

وفي عهده تقدمت المغرب في جميع المجالات وقطعت شوطاً في التطور الحضاري ونمت إقتصادياً وإزدهرت أوضاعها الاقتصادية من خلال علاقاتها وبالذات مع الولايات المتحدة.

كما حدث تقدم في نظامها التعليمي وقفز فيها قطاع السياحة وسنت قوانين جديدة لحماية المرأة وإزداد المجتمع المدني بها قوة وإنطلقت بعد تمتعها بعضوية الأمم المتحدة والجامعة العربية إلى أن تحتل موقعها في السياسة الدولية والعربية.^(٤)

(٣) محمد داوود: الحركة الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية . الرباط . ١٩٩٠م ص ص ١١ . ٢٢ .

(١) محمد بن عبود: مركز الأجانب في مراكش تطوان ١٩٨٠م ص ص ٥٣ . ٦٠ .

(٢) محمد بن عزوز حكيم: أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة . الرباط ١٩٨٧م ص ص ٧٣ . ٨٠ .

(٣) عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب . دار الكتاب العربي ١٩٦٨م ص ص ١١ . ٢٢ .

الفصل الثاني

تطور أوضاع السنغال الاقتصادية والاجتماعية

بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٨٠ م

لجمهورية السنغال ثقل سياسي واقتصادي وثقافي بين دول غرب أفريقيا الناطقة بالفرنسية. وهى من الدول الأفريقية القليلة التي لم تحدث فيها إنقلابات والتي ظلت محتفظة بنظام سياسي واحد منذ الإستقلال ١٩٦٠م حتى الآن ويلاحظ أن هناك إتفاقيات للتعاون الاقتصادي والثقافي والعسكري بين كل من جمهورية السنغال وفرنسا وقد يكون شعب السنغال مثله مثل غالبية شعوب أفريقيا السوداء من عدة سلالات وقبائل وممالك، عاشت متجاورة على أجزاء متفرقة من أرضه ولم يكن حسن الجوار هو الذي يحكم دائماً علاقات تلك الممالك والقبائل فكثيراً ما كانت تتنازع على المصالح المختلفة حتى يصل هذا النزاع في بعض الأحيان إلى حروب ينتج عنها سقوط بعض هذه الممالك وإنضمامها إلى جيرانها المنتصرين.

وحين جاء الإستعمار الفرنسي إلى غرب أفريقيا وأقام منها مستعمرات له، خطط حدودها بشكل لم يراع فيه الجانب الجغرافي لتلك المناطق ولا الجانب العرقي لشعوبها، التي وجدت نفسها داخل إطار سياسي مصطنع، ضم مجتمعات جديداً مؤلفاً من قبائل غربية وربما متنافرة، أو من شتات من قبائل أخرى ونفذت أجزاء منها إستوعبتها حدود سياسية أخرى.^(١)

ورغم عيوب هذه الظاهرة، إلّتمز الزعماء الأفارقة في غرب أفريقيا الناطقة بالفرنسية، والذين تولوا شؤون دولهم بعد الإستقلال، بحدود المستعمرات القديمة. وقد يكون التجانس والنشأة الصناعية التي تأسست عليها الدول الأفريقية الحديثة سبباً للشك في وحدة شعوبها وحقيقة إرتباطها بالأرض التي تعيش عليها والتي أصبحت وطناً واحداً للجميع.

وجمهورية السنغال دولة في غرب أفريقيا تقع جنوب نهر السنغال على ساحل المحيط الأطلسي تجاور موريتانيا ومالي وغينيا وغينيا بيساو وجامبيا^(٢).

وقد حصلت السنغال على إستقلالها من فرنسا في ٥ سبتمبر ١٩٦٠م. والسنغال دولة ديمقراطية متعددة الأحزاب، ينتخب رئيس الجمهورية لمدة خمس سنوات وهو يختار رئيس الوزراء. والبرلمان السنغالي يسمى المجلس الوطني وفيه ١٢٠ عضواً منتخبون في إنتخابات لمدة

Albert Sarraut: Grondeur et Servitude Coloniales Paris 1959 P. P. 23 – 25.

(١)

(٢) خريطة السنغال في الملاحق (ملحق رقم ٥).

خمس سنوات^(١)، ٨٢% من السكان يدينون بالدين الإسلامي، ١٣% يدينون بديانات أفريقيا السوداء أما الـ ٥% الباقيون فهم من المسيحيين.

وللسنغال حدود مع خمس دول أفريقية، فتحدها شمالاً جمهورية موريتانيا شرقاً جمهورية مالي، وجنوباً جمهوريتي غينيا وغينيا بيساو وتشق أراضيها من الغرب إلى الشرق جمهورية غامبيا^(٢).

وتقسم جمهورية السنغال إلى ثماني أقاليم إدارية هي كاب فير وكازامنيس، وديوربيل ومليف وسنجال أورينتال وسين سالوم وبتيزولوجا، ويقم بأقليم سين سالوم أكبر عدد من السكان يليه إقليم كاب نير.

وكانت للسنغال مكانة خاصة بين المستعمرات الفرنسية في أفريقيا السوداء فهي أول مستعمرة شاركت في المؤسسات السياسية الفرنسية. وكانت دكار الملتقى الثقافي والسياسي لمختلف الشعوب الأفريقية الناطقة بالفرنسية، كما كانت ميناء تجارياً هاماً تقيم فيه مختلف الجنسيات من الأفارقة واللبنانيين والسوريين والأوروبيين^(٣).

وقد ساد الجنس الزنجي قادة أفريقيا جنوب الصحراء، وقد تعرض هذا الجنس للاختلاط بسلالات من الجنس القوقازي أو البشمن أو الهوتوت أو الأقزام حتى أصبح العثور على الزنجي الأصلي^(٤) مطلباً عسيراً، ويمكن القول أن السلالات الزنجية القديمة هي التي احتفظت بالنصيب الأوفر من تقاليدها^(٥). والتي لم تتعرض لغارات أو هجرات من قبل سلالات الأجناس الأخرى، بسبب إلتجائها إلى أقاليم تحميها بعض الظواهر الطبيعية ولذلك رأى بعض العلماء أن السلالات الزنجية الصريحة توجد بوجه خاص في أفريقيا الغربية فيما بين نهر السنغال والحدود

(١) تبلغ مساحة السنغال ١٩٠ و ١٩٦ سم^٢ وعاصمتها دكار وهي أكبر مدن الدولة واللغة الرسمية هي الفرنسية والعربية وعدد السكان طبقاً لتقديرات يونيو ٢٠٠٨ م ١٢.٨٥٣.٢٥٩ والعملة هي الفرنك الأفريقي والناتج القومي للفرد نحو ١٧٠٠ دولار أنظر: وزارة الإعلام المصرية - الهيئة العامة للإستعلامات: أفريقيا (القارة والإتحاد والبلدان) - قمة الإتحاد الأفريقي شرم الشيخ يونيو ٢٠٠٨ م ص ٥١.

(٢) Annuaire statistique de l'Afrique 1990 3^e partie A Afrique de l'ouest, Nations Unies, Addis Ababa Uneca, 1990, (P. 17/1)

(٣) H. F. C. Smith: Aneglected theme of west African history the Islamic revolution of the 19th century journal of African society vol 2 1961 P. 184.

John. Hareaves. D: France and Africa London 1969 P P. 10 – 15.

(٤)

(٥) الأجناس البشرية في قارة أفريقيا هي:

أ - الجنس الزنجي وأكثره في المناطق الواقعة جنوب الصحراء وفيه شعبة صغيرة في غرب المحيط الهادي.
ب - الجنس القوقازي وهذا الاسم إصطلاح بحث فإنه ليس جنساً خاصاً ببلاد القوقاز، وهو ينتشر في غرب آسيا ومعظم أوروبا والنصف الشمالي والشمالي الشرقي من أفريقيا.
ج - هناك سلالتان في أقصى الجنوب الغربي تختلفان عن الجنس الزنجي ولا يمكن أن نعهدهما فرعاً منه وهي سلالة البشمن والهوتوتوت.

د - هناك سلالة ثالثة أطلق عليها العلماء اسم الأقزام ويعيش معظمها مبعثراً في غابات الكونغو وغابة إيتوري.
أنظر محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية - الدار المصرية للتأليف والنشر القاهرة ١٩٦٥ ص من: ١٥ - ٢٧.

الشرقية لنيجيريا وقد يكون منها جزء في الكونغو. وهى تمتد على طول خليج غينيا. تشمل الأقاليم الساحلية التي تتمثل في جمهورية السنغال ومالي وجامبيا وغينيا بيساو^(١).

ورغم إنتماء الغالبية العظمى لسكان السنغال إلى الجنس الزنجي الأصيل فإنهم يبقسمون إلى عدة سلالات تجمعت في شعوب أو قبائل، إختلفت في اللغات والديانات والتقاليد ويمكن تقسيم هذه السلالات إلى مجموعتين رئيسيتين وذلك حسب الصفات العامة تقرب أو تباعد بينهما على المستوى الاجتماعي والسياسي^(٢).

المجموعة الأولى: سكان الساحل السودان الغربي وتمثل هذه المجموعة الغالبية العظمى من سكان السنغال، حوالي ثلثي المجموع الكلي للسكان^(٣) وأهم السلالات المكونة لتلك المجموعة هي: الولوف والسرور والتوكولور والبيبل والليبو والماندنغو والساراكول.

ويشكل الولوف أكبر وأهم سلالة في السنغال، حوالي ٣٣% من مجموع السكان الكلي^(٤) وقد نشأت هذه السلالة في منطقة الكايور، ثم إنتشرت في الشرق والجنوب، وتتركز في الوقت الحاضر في السنغال الأسفل وسان لويس وفي شمال منطقة الكاب فبروتيز وديوريل ولغتهم هي الولوف ودين الأكثرية منهم هو الإسلام وقوام حياتهم الزراعة أما إقتناء الماشية فيكاد يكون مقصوراً على الطبقة الميسورة. وأهم زراعاتهم الفول السوداني، وهى الغلة الرئيسية التي تأتيهم بما يحتاجون من نقد ثم الذرة الرفيعة أما الحرف فأهمها صناعة المنسوجات يعاون منها الرجال بزراعة القطن والنساء بغزله ثم يقوم الرجال بنسجه، وهناك فئات أخرى من الصناع لحرفة دباغة الجلود والحدادة ونحوها^(٥).

ومن أهم نواحي مجتمع الولوف تعدد طبقاته وبعضها أرقى من بعض ولا يجوز لرجل أن يتزوج إلا من طبقته وأعلى الطبقات الأحرار المنحدرون من أحرار تليهم طبق أتباعهم الذين أصبحو أحراراً، ويأتي بعد ذلك في المرتبة الثالثة أصحاب الحرف مثل الحدادين ودباغي الجلود ثم طبقة المنشدين والمغنين ثم العبيد أو نسلهم^(٦).

ويعتبر شعب السرر السلالة الثالثة للولوف من حيث العدد والنقل الاجتماعي، والسياسي، ويتركز السرر في منطقة السين والسالوم، وفي جزء من الباول وفي جنوب الكايور،

(١) المرجع السابق: ص. من: ٤٦ - ٤٧.

(٢) Diop, Abdoulaye Barg, Foruiation d'une nouvelle nation au sienegal, Revue de l'Institut de sociologie, No 2/3, 1967, L'Institut de sociologie pruxelles, P.P: 217 - 230.

Ibid P. 219.

The Atlas of Africa, Jeune A fnique prese Africaine Associée Paris, 1973 P. 114.

Jeune Afrique 1973 P. 120.

(٦) محمد عوض محمد - المرجع السابق ص٥٣.

وقليل منهم يتواجدون على بعد حوالي مائة كيلو من دكاك ويعتمدون أساساً على الزراعة والصيد ويتميز السرر بلهجة خاصة، إلا أن كثيراً منهم يعرف الولوف.

وتلي السرر سلالة البيل وهم رعاة منتشرون في كل مكان تقريباً في السنغال ويتكلمون أيضاً لغة البولار، وبعضهم يعمل بالزراعة ويتركز بصفة خاصة في بلاد الفوتاتور وفي المرتفعات الجنوبية من شرق السنغال.

ويكون التوكولور الغالبية العظمى من سكان الفوتا في وسط السنغال ولغتهم هي البولار، وكان التوكولور والسرر والولوف كلهم ضمن مملكة الولوف وقت إزدهارها ولهذا السبب يظهر في لغات هذه الشعوب الثلاثة الكثير من التشابه والإقتباس^(١).

أما الساراكول والماندنجو فيعيش غالبيتهم في شرق السنغال، والماندنجو زراع مهرة يدين معظمهم بالإسلام ولهم نشاط في بعض الصناعات ويسود الماندنجو النظام القبلي في جهات الريف^(٢).

وأخيراً فإن سلالة الليبو وهم أول من سكن منطقة الكاب غيرهم يعتمدون في معيشتهم على الصيد ويقتربون عرقياً من الولوف ويتكلمون نفس لغتهم.

وهكذا نرى أن المجتمع السنغالي القديم كان في الواقع منقسماً إلى سلالات مختلفة في اللغات واللهجات والأديان، يتجمع بعضها في قبائل وشعوب وممالك متعددة ذات نظم سياسية واقتصادية واجتماعية فتكون أحياناً متباينة، لذا نستطيع القول أن تلك الحقبة من تاريخ السنغال إفتقرت إلى الموضوعية التي كان من الممكن أن نقرب بين سكانه^(٣).

Lavroff, op. cit, P. P: 63 - 65.

(١)

Haregraves, H. French west Africa, New York 1973 P. 223.

(٢)

Vigne D'octon: Ala Gloire du Sabe, Paris 1900 P. P. 120 – 122.

(٣)

المبحث الأول: الأوضاع الاجتماعية للسنغال

بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٨٠ م

عناصر وحدة الشعب السنغالي تجسدت هذه العناصر في الآتي:

الإسلام:

ظل إنتشار الإسلام في تلك المناطق محدوداً لفترة طويلة بسبب المعارضة القوية للملوك والحكام وفي القرن التاسع عشر الميلادي بدأ ينتشر حتى أصبح ظاهرة لها ثقلها الاجتماعي والسياسي. ومن أهم أسباب التقدم الكبير في إنتشار الإسلام في ذلك الوقت بداية استقرار الفرنسيين كمستعمرين، في غرب أفريقيا، وتقسيمهم لتلك المنطقة إلى مستعمرات ذات حدود جديدة مصطنعة، وقد أدت إدارة الفرنسيين لمستعمراتهم إلى تحطيم الممالك القديمة وإضعاف النظام القبلي، مما أدى إلى هزات عنيفة في النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التقليدية. ويبدو أن الأفراد قد وجدوا في الإسلام بديلاً قوياً يجمعهم من جديد ويوحد بينهم، خاصة وقد إستطاع النفاذ إلى كل الطبقات^(١) فالنبلاء المبعدون عن السلطة أسلموا ليتخذوا من الدين الجديد قوة يحاربون بها أعدائهم والفلاحون أسلموا ليحموا علماء الإسلام من هجمات الأعداء وللصوص، والعبيد أسلموا لأن الدين الجديد يدافع عنهم وينصفهم من ظلم السادة^(٢).

ومن ناحية أخرى فإن إعتناق الجميع لدين واحد يؤثر بالضرورة على عاداته وتقاليدته وثقافته العامة ويصبغه بصبغة متميزة تتشابه في كثير من أجزائها فتخلق الألفة بين أفرادهم وتساعد على التوحيد بينهم.

وأخذ علماء الإسلام يحلون بالتدريج محل الزعماء السياسيين الذين صفاهم الإستعمار، وأصبحت لهم سلطة كبيرة على الأفراد الذين رأوا في إعتناقهم للإسلام وسيلة سلمية للجهاد ضد الوجود الفرنسي، وقد أدرك المستعمر خطورة الإسلام وأهمية الدور السياسي الذي يلعبه زعماء الطرق الصوفية فأخذوا في محاربته بشتى الطرق.

فقد عمدت الإدارة الفرنسية إلى التفرقة بين الطوائف الإسلامية المختلفة وتعميق الفروق الضئيلة بينهم وذلك لتشثيتهم وإضعافهم. كما عملت على محاربة المدارس الدينية التي تعلم

(١) Behrman, Lucy C.: Muslim Brotherhoods and Politics in Sengal Harvard uni. press, 1970 P.P: 22 – 35.

(٢) Diop, Majhemout, Histoire des classes sociales dans l'Afrique de l'Ouest II le senegal, Maspero, Paris 1972 P. 61.

القرآن (على نسق الكتاتيب في مصر) وإحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية الإسلامية.

وأخيراً لجأت السلطات الفرنسية إلى محاربة المصدر الرئيسي لثروة الزعماء الدينيين وهو الجبايات، إلا أن المواطنين لم يستجيبوا لهذه السياسة إعتقاداً منهم بأنهم يؤدون واجباً دينياً مفروضاً عليهم^(١).

وقد أدى تتكيد الفرنسيين بزعماء الطرق الصوفية والمقاومة التي قادها هؤلاء الزعماء ضد الإستعمار إلى صبغ الإسلام بصبغة سياسية إلى جانب الصبغة الاجتماعية وبروزه كعامل قوي من عوامل وحدة الشعب السنغالي.

وقد بدأت مرحلة أخرى من مراحل الوحدة الوطنية في السنغال مع الحربين العالميتين الأولى والثانية، فقد أدى ظهور مبدأ حق تقرير المصير في نهاية الحرب العالمية الأولى، ثم إنتشار شعارات الحرب من أجل الديمقراطية والحرية التي أطلقها الحلفاء بعد الحرب العالمية الثانية إلى إنعاش الأمل لدى الوطنيين الأفريقيين في الإستقلال. وقد ساعد على إنتشار هذه الأفكار إنتقال الحرب إلى أفريقيا وآسيا وتجنيد أهالي المستعمرات في الحرب إلى جانب الحلفاء^(٢).

هذا إلى جانب الخلاف بين الدول الإستعمارية والدول الإشتراكية وعلى رأسها الإتحاد السوفيتي الذي إنفتح بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية. فبدأت الدول في جملتها ضد الإمبريالية والإستغلال الذي تمارسه الدول الغربية في العالم الثالث^(٣).

وتجاوبت الشعوب المستعمرة مع شعارات الحرية والمساواة التي تطلقها تلك العقيدة الجديدة. وبدأت تظهر في أفريقيا الأحزاب التقدمية الوطنية التي شاركت مشاركة فعلية في الحركات الوطنية ضد الإستعمار.

ومن ناحية أخرى ساعدت هزيمة الحلفاء في بعض المواقع أمام دول الجوار على إهتزاز هيبة الأمبراطورية الأوروبية، فشعرت المستعمرات أنها أمام عدو يمكن هزيمته^(٤).

وقد تمثلت هذه الصحوة بالنسبة لشعب السنغال في نشوء الأحزاب الوطنية وفي تكوين النقابات المهنية والعمالية التي كان لها أكبر الأثر في النضال السياسي من أجل الإستقلال

(١) Biehrman, op. cit P 279,p74.

(٢) كوامي نكروما: الإستعمار الجديد آخر مراحل الإمبريالية: تعريب خيرى حماد - دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٦ ص ٦٨.

(٣) Lencrouski, George, The Middle East in world Affairs, corvell U. P. New Yourk 1962, P. 384.

(٤) محمد حافظ غانم - العلاقات الدولية العربية - مطبعة نهضة مصر - القاهرة ط ١٩٦٥ ص ١٠٣.

والوحدة الوطنية.

فقد أدت ظروف الحرب العالمية الثانية إلى ضرورة البحث عن موارد ذاتية للمستعمرة من إنقطاع الإستيراد والتصدير مما أدى إلى حدوث توسع في زراعة الفول السوداني ونشأت في المدن بعض الصناعات الإستهلاكية وقد تبع ذلك بالطبع إلى نشوء طبقات إجتماعية جديدة على وعي بما يدور كالعامل والموظفين مما دعا إلى تكوين النقابات.

ومن ناحية أخرى جاء تعميم الجنسية الفرنسية سنة ١٩٤٦ والسماح بها لكل السنغاليين ليزيد من إحساس المواطنين جمعياً بالإنتماء إلى بلد واحد^(١) فقدم الإستعمار بذلك . من حيث لا يدري ولا يرغب . إلى الشعب السنغالي ببعض الظروف المناسبة لتزكية الشعور بالإنتماء إلى وطن واحد وبالرغم من النضال المشترك في سبيل أهداف مشتركة.

وهكذا ساعد عاملا الدين وصحوة الشعور الوطني على إثثر الحريين العالميتين على خلق وحدة متمثلة في الدين الإسلامي وأهداف مشتركة متمثلة في المطالبة بالإستقلال وقيادة سياسية واحدة تبلورت في الشخصيات السياسية التي تزعمت الأحزاب الوطنية والنقابات العمالية.

ورغم كثرة اللغات المستعملة بين السلالات المختلفة في المجتمع السنغالي، هناك لغة معينة هي الولوف^(٢) التي أصبحت الآن مدونة. وحوالي ثلث سكان السنغال من سلالة الولوف بالإضافة إلى الليبود وغالبية السرر والمهاجرين من الذين يعيشون في مناطق الولوف ويتكلمون نفس اللغة وقد تفوقت لغة الولوف حتى على اللغة الفرنسية من حيث الإنتشار، فليست الفرنسية في واقع الأمر، هي وسيلة التفاهم بين الأجناس المختلفة كما هو الإعتقاد السائد، حيث أن حوالي ٣٠% فقط من السنغاليين يتكلمون بها ويرجع ذلك إلى إنتشار الأمية وإنخفاض مستوى التعليم.

وهكذا تكون تدريجياً المجتمع السنغالي ورغم بطء تطور الظاهرة إلا أنها أصبحت الآن حقيقة ملموسة، ويغلب عند السنغاليين الشعور بالإنتماء إلى وطن واحد وأمة واحدة تعاني من نفس المشاكل وتتطلع إلى نفس الآمال. ولم يبق من النزاعات القبلية والعرقية سوى ميراث ضئيل لا يمثل خطورة على الكيان القومي.

التركيب الطبقي للمجتمع السنغالي:

Diop Abdoulaye Bara, Op. Cit, P. P: 227 – 228.

(١)

(٢) هدى محمود نايل: مملكة الجولوف . مرجع سابق ص ص ٢٥ . ٣٠.

المجتمع بوجه عام ينقسم إلى طبقات، تنشأ في أغلب الأحيان بسبب إختلاف أنماط الإنتاج، الذي يسبب إختلافاً في مستوى الدخل^(١) وكل طبقة من هذه الطبقات الاجتماعية لها مصالحها الاقتصادية التي تدافع عنها وتختار من أجلها الخط السياسي الذي يحقق هذه المصالح ويحميها.

وقد إختلفت الآراء حول وجود التناقضات والصراع الطبقي في المجتمعات الأفريقية ويمكن حصر هذه الآراء في إتجاهين أساسيين^(٢):

الأول: ينفي وجود الطبقات.

والثاني: يؤكد وجودها.

فيذهب الرأي الأول إلى أن المجتمع الأفريقي لا يضم طبقات واضحة ومتناقضة، بل مجاميع متباينة ناتجة عن نظام تقسيم العمل الذي كان سائداً في المجتمعات القديمة.^(٣)

والصراع الحقيقي كان موجوداً بين الشعوب الأفريقية الفقيرة من جهة ومن المستعمرين الأوربيين المستغلين لها ولثرواتها من جهة أخرى، ويعتمد هذا الفريق في رأيه على بعض الحجج نورد أهمها فيما يلي:

١. يعتمد الوجود الطبقي على حضور عامل مهم، ألا وهو إحساس مجموعة من الأفراد بخضوعهم لظروف إجتماعية ونفسية واحدة وبالتالي تجمعهم طبقة واحدة واعية بحقوقها وتفاعلها وغياب هذا العامل في المجتمعات الأفريقية ينفي وجود الطبقات^(٤).

٢. رغم أن السنغال يعتبر من أوائل دول عرب أفريقيا التي أخذت الصناعة، إلا أن طبقة البروليتاريا (العمال الكادحين) تكاد تكون غير موجودة إلا في دكا، وما زالت طبقة الفلاحين تشكل الغالبية العظمى من السكان، وهذه الطبقة رغم عدم تجانسها وإنقسامها إلى فلاحين أغنياء وآخرين معدمين فإنها لا تشعر بالحق الطبقي وأسباب ذلك أن عدد الإقطاعيات قليل بحيث لا يؤدي إلى تناقضات محسوسة على المستوى الجماهيري إلى جانب أن غالبية أصحاب هذه الإقطاعيات من الزعماء الدينيين، الذين يفتتح بوجودهم

(١) تنقيد الباحثة بالطبقة، الشريحة الاجتماعية التي تضم الأفراد ذوي النمط الإنتاجي الواحد أو المتشابه والذي يؤدي إلى دخول متقاربة وأسلوب في المعيشة متشابه.

(٢) كارل سيجر: نظرات عن الإستعمار. بيروت ١٩٠٧م ص ص ٢٦ . ٢٨.

Mamadou – Diouf: Histoire du Senegal Paris 2001 P. P. 71 – 80.

Lavroff, op. cit. P. 87.

وبأوضاعهم الاقتصادية الغالبية العظمى من الفقراء المتدينين.

٣. كانت المجتمعات الأفريقية، في غالبيتها العظمى مجتمعات فقيرة، تعاني من الجهل والمرض، ولا توجد فيها طبقات برجوازية ولا رأسمالية، وبالتالي لا توجد بروليتاريا، والسائد فيها هو التقسيمات الاجتماعية القائمة على أساس العمل، التي ربما اختلفت في مصالحها ولكنها لم تصل إلى حد التناقضات والصراع والطبقة الرأسمالية التي كانت موجودة في هذه المجتمعات، كانت طبقة المستعمرين.

أما الرأي الثاني، فيعتقد بوجود الطبقات في المجتمع الأفريقي ويدعم وجهة نظره بالحجج التالية:

١. إن العامل الأساسي لتكوين الطبقات هو نظام الملكية وإختلاف الدخل وإحساس الأفراد بإنتمائهم إلى طبقة معينة، عامل ثانوي، قد تفتقده المجتمعات الأفريقية بسبب الجهل وضعف الوعي السياسي. ولكن هذا لا يمنع الواقع الفعلي السائد في المجتمعات الأفريقية ألا وهو الإختلاف الكبير بين دخول الأفراد لا سيما إذا قارنا مستوى معيشة الفلاحين بمستوى معيشة طبقة الموظفين ساكني المدن^(١).

٢. إن كانت طبقة الفلاحين ما تزال غير واعية بإنقساماتها الداخلية وبالتناقضات التي تفصل بينها، وذلك بسبب إنعدام الوعي وانتشار التعاليم الدينية الخاطئة فإنها بدأت فعلاً تعي التناقضات الواضحة بينها ككل وبين طبقة الموظفين. فهي تشعر أن ساكني المدن يستغلونها بقدر كبير بينما هي تشكل الطبقة المنتجة الرئيسية.

٣. المجتمعات الأفريقية كانت دائماً مجتمعات طبقية، سواء قبل قدوم الإستعمار متمثلة في نظام الحكم الإمبراطوري والملكي القديم، مثل إمبراطورية مالي وغانا أو بعد رحيله متمثلة في نمو الطبقة البرجوازية الوطنية التي حلت محل الأوربيين بعد الإستقلال. ووجود المستعمر على الأرض الأفريقية، طمس لفترة ولم يقض تماماً على التناقضات بين هذه الطبقات. فقد أصبحت القضية الأولى في تلك الفترة هي تحرير الأرض والتف المواطنون رغم إختلاف إتجاهاتهم السياسية والدينية ومصلحتهم حول تحقيق هذا الهدف الأسمى.

وتميل الباحثة إلى الأخذ بالرأي الثاني. فهو أكثر واقعية وشمولاً من الرأي الأول فحين يبرز الرأي الأول في **حجته الأولى**. العوامل النفسية والمعنوية التي لا تنتمى إلا بإرتفاع الوعي

Barre, R., Les classes sociales en A frique Noire, Economie et Politique 1964. P. 52.

(١)

والثقافة، ويقدمها على العوامل الاقتصادية، يكون قد إبتعد عن واقع الدول المتخلفة التي تشكل إحتياجاتها المادية قضيتها الأولى.

وفي **حجته الثانية**، يعتمد هذا الرأي في إثبات عدم وجود التناقضات داخل طبقة الفلاحين على عامل غير ثابت وقابل للتغيير ألا وهو جهل الفلاحين وإنعدام الوعي السياسي بينهم. ورغم صحة هذا القول في زمن الإستعمار، فقد أصبح لا ينطبق بالكامل على الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية.

فتجنيد الأفريقيين في الحرب وكثير منهم من الفلاحين، قد أدى إلى صحة إجتماعية وسياسية وثقافية أدت بالضرورة إلى تقدم نسبي في وعي هذه الطبقة هذا بالإضافة إلى المجهودات التي تقوم بها الحكومات الوطنية بعد إستقلال بلادهم في نشر التعليم في الأقاليم. ولهذا السبب يمكن القول أن طبقة الفلاحين قد بدأت، مع تخلصها التدريجي من الجهل تعي مصالحها المشتركة والتناقضات التي تفصل بينها وبين الطبقات الأخرى.

أما **الحجة الثالثة**:

فهى تتجسد في إعتراف "سنجور" بإختلاف المصالح بين المجموعات الوظيفية والحرفية، ونفى وجود الطبقات والتناقض بينها.

ولاشك أنه مع تقدم المجتمع وإنتشار الصناعة وغياب التطبيق الجاد لقوانين التوزيع العادل للثروة ستتسع مع طبقة البرجوازية وتتضح الفروق بينها وبين البروليتاريا والفلاحين فتتحول الإنقسامات الاجتماعية تدريجياً إلى طبقات واضحة المعالم.

وفي ضوء ذلك يمكن القول أن المجتمع السنغالي المعاصر ينقسم إلى أربع طبقات رئيسية هى:

البرجوازية الكبيرة، البرجوازية الصغيرة، الفلاحون، البروليتاريا وفيما يلي تحليل لهذه الطبقات:

البرجوازية الكبيرة^(١):

(١) تقصد الباحثة بالبرجوازية الكبيرة طبقة الأفراد الذين يملكون أدوات الإنتاج، ويعتمدون في إتمام أعمالهم على تشغيل العمال والموظفين. أما البرجوازية الصغيرة فهى طبقة الأفراد الذين يملكون أدوات الإنتاج ويعتمدون في إتمام أشغالهم على عملهم الشخصي وعمل أبنائهم، ويضاف هذا الفرق بين الطبقتين إلى فرق مستوى الدخل بين كل منهما.

تتألف طبقة البرجوازية الكبيرة من شريحتين:

تضم الأولى غالبية الرأسماليين الأوروبيين، وعدداً من رجال الأعمال والتجار اللبنانيين والأفارقة وتضم الشريحة الثانية كبار البيروقراطيين والخبراء الأجانب.

وتتكون شريحة الرأسماليين من:

أولاً: كبار الرأسماليين الأوروبيين وعددهم ١٥٠٠ فرد من حوالي ٣٠ ألف أوروبي مهاجر ويملك هؤلاء الرأسماليون أهم خمسين شركة مالية، ٣٥٠ شركة صناعية.

ثانياً: كبار الرأسماليين اللبنانيين وعددهم لا يتعدى العشرات من حوالي خمسمائة رجل أعمال مقيم في السنغال.^(١)

ثالثاً: كبار الرأسماليين السنغاليين وعددهم لا يتعدى عشرة أو إثنتي عشر فرداً وهم من كبار مساهمي المؤسسات المشتركة بين فرنسا والسنغال وكان من بينهم بعض الزعماء الدينيين^(٢).

أما شريحة البيروقراطيين فقد ظهرت في المجتمع السنغالي في الفترة التي تلت الإستقلال. وهي تتكون أساساً من سنغاليين مدنيين وعسكريين وهذه الطبقة . إستثناء للقاعدة . لا تملك أية وسيلة من وسائل الإنتاج، ولكنها تكتسب صفة البرجوازية بسبب المركز الوظيفي والأصل الاجتماعي ومستوى الدخل.

ولعلنا هنا نشير إلى الارتباط الاقتصادي والسياسي بين الشريحتين الرأسمالية والبيروقراطية، فكثيراً ما يلعب كبار الموظفين دور الوسطاء ويساعدون الرأسماليين في استثمار أموالهم، سواء بشكل مباشر عن طريق الشركات أو بشكل غير مباشر عن طريق إستغلال مراكزهم المؤثرة في الجهاز الحكومي.

ويعتمد البيروقراطيون في ممارسة سلطاتهم على البقية الباقية من الأرستقراطية السنغالية، فهذه الطبقة بتأثيرها الكبير على القاعدة الواسعة من الشعب وبالذات الفلاحين، تصبح لا غنى عنها للحكام، ففي بداية الإستقلال كان ٢٥% من أعضاء الجمعية الوطنية السنغالية، و ٩٥% من حكام الأقاليم والقرى من سلالة النبلاء.

Melville, Herskouli T. J. : The human factor in changing Afrika. New York 1967 P. P. 107 – (٢)

110.

Diop Majhamout, op. cit, P. 230.

(٣)

ولاشك أن هناك تناقضاً في المصالح بين الشرائح المختلفة للطبقة البرجوازية إلا أن الإتفاق في المصالح الحيوية يجعل من الممكن مناقشة التناقضات الثانوية والوصول بها إلى حلول وسطى ترضي جميع الأطراف وتجعل من الممكن إستمرارهم داخل إطار طبقة واحدة.

ولعلنا نذكر في هذا المجال مثلاً يوضح تلك العلامة المزدوجة من شرائح الطبقة الواحدة...

كان الرأسماليون الأجانب يرفضون أفرقة المشاريع الاقتصادية والخضوع للخطط الخمسية التي كان يريد البيروقراطيون تطبيقها. فما كان من هؤلاء البيروقراطيين إلا أن قاموا بتعديل قانون الإستثمارات لعام ١٩٦٥. بحيث يصبح أكثر مرونة وبالذات فيما يتعلق بالضرائب وبحرية نقل عائد الأموال المستثمرة إلى الخارج، وحينئذ فقط قبل الرأسماليون الأجانب أفرقة جزئية لمشاريعهم، كما قبلوا إدخال جزء من إستثماراتهم في إطار الخطط الخمسية.^(١)

البرجوازية الصغيرة:

البرجوازية الصغيرة طبقة تتكون أساساً من السنغاليين، وتتسم بتنوع واسع في طبيعة عمل أفرادها فهي تضم أصحاب المهن الحرة والطلبة وصغار الموظفين وبعض الحرفيين والصيادين.

بالنسبة لأصحاب المهن الحرة فغالبيتهم العظمى (أكثر قليلاً من ٢٠٠ فرداً) تدخل في إطار البرجوازية الصغيرة. أما الطلبة فيمثلون الجناح الراديكالي المتجانس لهذه الطبقة. ورغم إنتماء أغلبهم إلى البرجوازية فهم يعتبرون عناصر ثورية كافحت ضد الإستعمار، ورفضت إلى جانب التطور التقدمي الديموقراطي والإصلاحات الاجتماعية.

وترجع أسباب ثورية الطلبة إلى عدة عوامل أهمها إندفاع الشباب ومثالياتهم من جهة، وكذلك قلة أو إنعدام مسؤولياتهم الاجتماعية من جهة أخرى. أضف إلى ذلك أنهم بحكم تعليمهم يلمسون مشاكل مجتمعهم ويفكرون في حلها بأسلوب واع ومدرّب.

أما فئة صغار الموظفين فعددهم حوالي ٢٥ ألف وقد اختلفت الآراء حول الشكل الطبقي لهذه الفئة، فهناك رأي يميل إلى إدراجها ضمن طبقة البوليتاريا، وذلك لأنهم يشاركون في الإنتاج بعملهم ولا يملكون وسائل الإنتاج والرأي الآخر يفضل ضمهم إلى الشرائح المتواضعة للبرجوازية. ويرجع ذلك أنه في الدول النامية يمثل هذه الشريحة من المجتمع إلى تقليد الطبقة

Marcel Chailley, : Histoire de l'Afrique acidentale Francaise Paris 1968 P. P. 41 – 48.

(١)

البورجوازية في تطلعاتها ومستوى معيشتها وعاداتها وذوقها العام.^(١)

وتميل الباحثة إلى الأخذ بالرأي الثاني لأنه بالإضافة إلى السبب السابق ذكره تنتمي فئة صغار الموظفين في أصولهم الطبقية إلى البورجوازية فقد دلت الإحصاءات على أن ٢٥% من الموظفين ولدوا وشبوا في داكار، أن ٢٣% ولدوا في سان لويس (ثاني أكبر مدن السنغال)، وأن ٣٧% في باقي مدن السنغال. ويعني هذا أن حوالي ٨٥% من الموظفين أصلهم من الحضر، كما أن ٧٥% من صغار الموظفين وأصحاب المهن الحرة، هم أبناء الرجال الذين مارسوا نفس هذه الوظائف والأعمال.^(٢)

أما الحرفيون فينقسمون إلى قسمين: الحرفيون من سكان المدن وعددهم يقارب الواحد والثلاثين ألفاً، وانتمائهم للبورجوازية الصغيرة واضح، والحرفيون الريفيون وبعضهم له إلى جانب حرفته نشاط زراعي مما يقرب بين هؤلاء وبين طبقة الفلاحين أضف إلى ذلك عوامل أخرى مشتركة بينهم مثل مستوى المعيشة المنخفضة وإملاك أدوات إنتاج بدائية.

ومع ذلك لا يستطيع الخلط بين هؤلاء الحرفيين وجمهرة الفلاحين وذلك لسببين:

أولاً: إن مجالات الإنتاج مختلفة.

ثانياً: إنه في مجتمع قام في الماضي على نظام الطبقات ومازال متأثراً ببعض أحكامه، لا يتساوى الحرفي الذي ينتمي إلى طبقة متواضعة مع الفلاح. وبالتالي نستطيع إدراج الحرفيين ضمن طبقة البورجوازية الصغيرة.

أما الصيادون فهم ينقسمون إلى ثلاثة شرائح:

١. الذين يملكون أدوات الصيد ولا يمارسون الصيد وهؤلاء يمكن إدراجهم ضمن الشريحة السفلى من البورجوازية الكبيرة.

٢. العمال الذين يمارسون الصيد دون أن يملكو أي أدوات إنتاج وهؤلاء ينتمون إلى طبقة البوليتماريا.

٣. الفئة الثالثة التي تعيننا هنا هم الصيادون الذين يملكون أدوات قليلة وبسيطة بحيث لا يحتاجون إلى تشغيل أحد من العمال ويقومون هم أنفسهم بالصيد. هذه الشريحة هي

Michael. Crowder: West African resistance New York 1979. P. P. 15 – 33.

(١)

Op. cit, P. 240.

(٢)

التي يمكن ضمها إلى طبقة البورجوازية الصغيرة.^(١)

ويدخل ضمن البورجوازية الصغيرة الزراع ميسورى الحال فهم يملكون أرضاً ويربون عدداً لا بأس به من الماشية، كما أن إرتفاع دخولهم يسمح لهم بإستعمال الأدوات الزراعية الحديثة.^(٢)
الفلاحون:

يمثل الفلاحون القاعدة العريضة لشعب السنغال (حوالي ٧٨% من مجموع الشعب)^(٣).

والزراعة هى العمود الفقري للإقتصاد السنغالي، لاسيما زراعة الفول السوداني الذي يمثل المحصول الأول في التصدير.

ونستطيع تقسيم طبقة الفلاحين إلى شريحتين، بعد أن نستثنى منهم كبار الملاك الزراعيين الذين يعتبرون من البورجوازية وتضم الشريحة الأولى القاعدة الفقيرة من الفلاحين، بما فيهم عمال التراحيل، ويقدرّون بحوالي ٤٦% من هذه الطبقة.

هذه الفئة من الفلاحين لا تملك أرضاً، وإن إقتنت عدداً ضئيلاً من الماشية، ويدخل ضمن هذه الشريحة جزء من طلبة أو مريدي علماء الإسلام، ويعيش بعض هؤلاء المريدين على الكفاف، لا يملكون أرضاً ويعملون في حقول علماء وشيوخ الإسلام دون أجر، معتقدين أنهم يؤدون واجباً دينياً. وفي مقابل ذلك يكون من واجب الشيخ صاحب الأرض أن يطعمهم ويكسيهم ويصلي من أجلهم^(٤).

وتضم الشريحة الثانية الزراع متوسطي الدخل ويقدرّون بحوالي ٥٤% من هذه الطبقة. وهم إما يملكون أرضاً محدودة أو لهم حق إستغلالها. ويستعملون في الزراعة أدوات بسيطة تقليدية ويربون عدداً قليلاً من الماشية^(٥).

البروليتاريا:

البروليتاريا هى الطبقة التي تشكل الأجور مصدر الدخل الوحيد لأفرادها. والأعمال التي تقوم بها تكون يدوية في الغالب وإن كان لا يمنع أن تكون هناك بعض الأفراد يميلون إلى القيام بالأعمال الميكانيكية وتعيش هذه الطبقة في مستوى منخفض بالنسبة لطبقتي البورجوازية الكبيرة

Madivili. J: Le Senegal son et la present et son avenil Paris 1863 P. P. 12 – 30. (١)

Mackenzin. W. J. M.: Five elections in Africa Oxford 1980 P. 288. (٢)

Op. cit, P. 107. (٣)

Lavroff, op. cit, P. 88. (٤)

Ibid, P. 89. (٥)

والصغيرة.

والبروليتاريا في معناها الواسع تضم العمال الزراعيين والصناعيين وقد أشرنا إلى العمال الزراعيين في الفقرة الخاصة بطبقة الفلاحين. لذلك سنقتصر هنا على دراسة العمال الصناعيين وعمال المدن ووجود البروليتاريا بهذا المعنى في السنغال قديماً نسبياً، فقد نشأت مع بداية الوجود الإستعماري تقريباً، إلا أن مواقفها النضالية المؤثرة لم تهدأ إلا عام ١٩٣٧.

وتعتبر البروليتاريا السنغالية أهم طبقة عمالية في غرب أفريقيا ويقدر عددها بحوالي مائة ألف فرد إذا إستثنينا العمال المهاجرين، ويمثل الأوروبيون وأغلبهم فرنسيون ٩% فقط من هذا العدد، وتكاد تتركز هذه النسبة من العمال الأوروبيين في شريحة العمال ذوي الكفاءات العالية.

وكلما إنخفض مستوى الكفاءة كلما قل عدد الأوروبيين أو إنعدم، وزاد عدد الأفريقيين . وأغلبهم بالطبع سنغاليون . فمثلاً يوجد ألف عامل ميكانيكي أوروبي مقابل ٣٧ ألف ميكانيكي أفريقي^(١) أما العمال اليدويون فلا يوجد بينهم أوروبيون في حين يصل عدد الأفارقة منهم إلى مائة ألف فرد^(٢).

وكان عمال السكك الحديدية يأتون في مقدمة العمال ويليهم عمال معاصر الزيوت، ثم عمال النسيج، ثم عمال الطاقة والمياه وصناعة الملابس وصناعة الأحذية، ونستنتج من ذلك أن الغالبية العظمى من العمال السنغاليين يتركزون في الصناعات الخفيفة، فقلة وجود الصناعات الثقيلة والمناجم الضخمة، وأحياناً غيبتها بالكامل تؤدي إلى إضعاف البروليتاريا الوطنية وتأخير صحوة الوعي السياسي لديهم وبالتالي قدرتهم على الحركة الإيجابية^(٣).

إلا أن هناك ظاهرة أخرى تستحق الذكر ألا وهي وجود غالبية العمال في القطاع الخاص الذي يسيطر عليه الأجانب، فيوجد ستة عمال في القطاع الخاص مقابل عامل واحد في القطاع العام، ورغم أن هذا الوضع يؤدي إلى سهولة إستغلال عدد أكبر من العمال إلا أن فيه جانباً إيجابياً.

فإستغلال القطاع الخاص الأجنبي لهذا العدد الكبير من العمال يؤدي إلى إزدياد التناقص بينهم الأمر الذي يؤدي بمعدل أسرع إلى صحوة العمال وإشراكهم لحقوقهم وينتج عن

Kanya. Forstner A. S.: The conquest of the western Sudan Cambradge 1996 P. P. 42 – 50. (٢)

Diop Majhemout, La classe ouvrière sénégalaise - La Nouvelle Revue Internationale, N⁰ I Jouvier (٣) 1967 (Societe d' Edition et d'information, Paris, P. P: 80 – 84.

وتنسحب هذه الظاهرة على شريحة الموظفين من البورجوازيين ففي حين يصل عدد الأوروبيين بين الكوادر ٤٠٠٠ يصل عدد الأفريقيين منهم ٢٠٠٠، أما صغار الموظفين فيقل عدد الأوروبيين منهم عن الأفارقة وكانت النسبة بينها ١ إلى ٥ على الترتيب.

Ibid, P. 81.

(١)

هذا الوضع الأسراع بإرساء شيء من العدل الاجتماعي والاقتصادي بين الطبقتين الرأسمالية والعمالية.

ومستوى معيشة العمال وإن كان أفضل نسبياً من المستوى المعيشي للفلاحين إلا أنه مازال دون المتوسط بكثير، فالأجور منخفضة والبطالة منتشرة وظروف السكن سيئة.^(١)

فكثيراً ما نرى خمسة إلى عشرة عمال يقطنون في حجرة واحدة. كما أن الكهرباء والمياه والمجاري لا تتوافر بالقدر المعقول في الأحياء العمالية. أما من حيث التعليم فنصيب طبقة البروليتاريا فيه لا يزيد إلا قليلاً عن نصيب الفلاحين. فالغالبية العظمى من العمال اليدويين أميون، أما العمال الميكانيكون فكثير منهم حاصل على الشهادة الابتدائية.

وفي ختام هذه الدراسة عن التركيب الطبقي لجمهورية السنغال والذي هو عماد التطور الاجتماعي... تحاول الباحثة أن تقيم الطبقات المكونة لهذا التجمع والعلاقات التي تربط بينها:

فالنسبة لطبقة البورجوازية الفقيرة^(٢) نجدها رغم إتساعها فإن بعض قطاعاتها كانت تعاني من مواطن ضعف تقلل من ثقلها الذي كان من الطبيعي أن تتمتع به ومن أهم أسباب هذا الضعف:

أولاً: التنوع الكبير لوظائفها الذي يقلل من تجانسها.

ثانياً: إنتقاء المصالح بين البيروقراطية السنغالية والرأسماليين الأجانب وهكذا لم يبق أمامها حتى لا يتم عزلها بالكامل . أي البورجوازية الفقيرة . سوى الإتفاق مع الطبقات الشعبية أو مع البورجوازية الكبيرة.

أما بالنسبة لطبقة الفلاحين ذات الأغلبية العددية الساحقة والتي تمثل الدعامية الرئيسية للإقتصاد القومي فإن دورها يتوقف بالدرجة الأولى على مدى صلاحية البيئة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تتحرك فيها، فمن حيث الرعاية الصحية فالفلاحون يعانون من إهمال وتقصير خطيرين.

ففي سنة ١٩٦٥م لم يكن في السنغال سوى ٢.٨٥٤ سرير في المستشفيات منها ٢.٢١٨ في دكاك وحدها وينتج عن ذلك أن نصيب ١٠٠٠ شخص في الرعاية الصحية في

(٢) K. M. Barbour, : Industialization in West Africa Journal of Modern Africa vol. 10 No 72 P. 360.

(٣) Monteil P. C.: Journal de route Paris 1979 P. 30.

المستشفيات الإقليمية هو أقل من سرير واحد.. أضف إلى ذلك أن نسبة الأطباء إلى سكان الأرياف هي واحد إلى ٥٠ ألف^(١).

وقد إرتفعت هذه الأرقام في إحصائيات الأمم المتحدة ١٩٧٤م حيث أصبحت ٥.٥٧٤ سرير، ٢٧٧ طبيب لكل السنغال بواقع طبيب لكل ١٩ ألف فرد وسرير واحد لكل ٧٧٥ فرد. وإذا أخذنا في الاعتبار التركيز الكبير للخدمات في دكا نجد أن الرعاية الصحية في الأقاليم مازالت في مستوى هابط جداً^(٢).

أما التعليم فهو محدود للغاية حيث أن الأمية تبلغ ٩٥% ويساعد على ذلك ضعف وسائل الإعلام وصعوبة المواصلات.

وتتبع الثقافة العامة حالة التعليم، فنجدها هي الأخرى تكاد تكون معدومة لا سيما وأن العناصر الرجعية في الأرياف وغالبيتها العظمى من سلالة النبلاء والزعماء الدينيين^(٣) لا تزال لها نفوذ كبير على الفلاحين.

ومن مصلحة هؤلاء أن تظل هذه الطبقة معزولة عن التيارات الثقافية لاسيما الأقطار التقدمية التي تجد سهولة أكبر في النفاذ إلى سكان المدن من مثقفين وطلبة وعمال^(٤).

أما من الناحية الاقتصادية، فهناك تناقضات واضحة بين طبقة الفلاحين والطبقات البورجوازية، لاسيما الموظفين والحكام، فهي تشعر أنهم يستغلونها ويجنون مكاسب كبيرة على حسابها، ويتمتعون بمستويات معيشية مرتفعة، بينما يعيش أغلب الفلاحين دون حد الكفاف وذلك رغم أن هذه الطبقة هي القوة الإنتاجية الرئيسية في المجتمع.

ففي حين كان متوسط الدخل السنوي للفرد سنة ١٩٦٦ هو ٣٩.٤٠٠ فرنك كان دخل الموظف المتوسط ٧٠.٠٠٠ فرنك في الشهر^(٥).

وإذا كانت هذه هي الظروف البيئية لطبقة الفلاحين، وكل ما فيها من عناصر معوقة لإنتشار الوعي السياسي، فيستبعد أن تمارس على الأقل مرحلياً تأثيراً سياسياً نابحاً من ذاتها

(١) Diop Majhemout, Histoire des classes sociales dans l'Afrique de l'ouest, II Le Sénégal Paris 1978 P. 192.

(٢) Annuaire statistique pour l'Afrique 1975 P. P: 17 – 18.

(٣) Reter Clark. B.: West Africa and islam London 1982 P. P. 92 – 95.

(٤) Traoré Bakary Lô, et A libert Jeun Louis, Forces politiques en Afrique Noire, Presses Universitaires de France pour 1966 P. 84.

(٥) Lavroffe, op. cit P. P: 88 – 89.

وحدودها لمصالحها الحقيقية^(١)، فإن كانت هذه الطبقة تؤثر من الناحية الواقعية في الأحداث السياسية فهو في رأي الباحثة تأثير مسلوب الإرادة ويعتمد على القوة العددية التي تستغلها العناصر التقليدية والرجعية في مواقف معينة كالإنتخابات مثلاً.

ونأتي إلى طبقة البوليتاريا، فنحاول أن نبرز مواطن القوة والضعف فيها، حيث يعتبر قدم الطبقة العمالية في السنغال من الصفات التي تتميز بها عن مثيلاتها في باقي دول غرب أفريقيا الفرنسية. وهذا التقدم يعطيها قدراً لا بأس به من الخبرة العملية تفيدها في النضال لنيل حقوقها.

ومن ناحية أخرى تتركز نسبة ٨٠% من العمال في منطقة الكاب نيراز في مدينة تيزز المجاورة لها وأغلب سكان هذه المناطق من جنس الولوف.

ويعتبر هذا التركيز في هذه المناطق بالذات الطبقة العمالية. فتجمع هذه النسبة الضخمة في مكان واحد يساعد على التجانس وحسن التنظيم بين الأفراد بالإضافة إلى أن وحدة اللغة . الولوف . تساعد كثيراً على التفاهم وتدعيم الترابط بين أفرادها.

وبالإضافة إلى الميزات السابقة، نشير هنا إلى إنتاج هذه الطبقة، فهو يأتي في المرتبة الثالثة بالنسبة للإنتاج القومي بعد الزراعة والتجارة مما يعطيها ثقلاً لا بأس به في المجتمع^(٢).

أما مواطن الضعف في طبقة البوليتاريا فنوجز أهمها في الآتي:

رغم قدم الطبقة العمالية بالنسبة لدول غرب أفريقيا فإنها تعتبر حديثة السن بالنسبة للبروليتاريا الدولية، لذلك تنقصها الحنكة والقدرة العالية على المناورة. ومن ناحية أخرى تخرج المدارس الصناعية الحالية عمالاً ذوي كفاءات متوسطة ذوي الإهتمام الواجب بتحسين الكفاءات والنهوض بها، وذلك لضعف قدرات الطبقة العاملة، ويجعلها دائماً في حاجة إلى الإستعانة بالخبرات الأجنبية.

ومن ناحية أخرى تخلق البطالة للعمال جوا من عدم الإستقرار يهددهم ويؤثر على إنتاجهم^(٣) هذا بالإضافة إلى أنها تزيد من عرض العمالة مما يساعد على تخفيض مستوى الأجور، كما أن عدم وجود صناعات ثقيلة في السنغال يضعف كثيراً من قوة الطبقة العاملة.

(٢) بدأت موجة الرفض تعرف طريقها إلى طبقة الفلاحين في منتصف السبعينات وذلك نتيجة للجفاف الذي أصاب الساحل الغربي في أوائل السبعينات وسوء تطبيق القوانين الزراعية التعاونية. وقد كون بعض الفلاحين خلال سنة ١٩٧٧ جمعية لمناقشة صلاحية تطبيق هذه القوانين مما يشير إلى بداية صحوة الوعي السياسي والاجتماعي عند الفلاح السنغالي - أنظر:

Oumar Leyti Ndiaye: Le digolof et ses Borba Bifan 1966 P. P. 71 – 80.

Diop Majhamout, La classe ouvriere sénégalaise op. cit P. P: 86 – 87.

(٣)

Pathe Dayne: Pouvoir Politique traditionnelle en Afrique occiaentale Paris 1967 P. P. 25 – 32.

(١)

وإذا أردنا تلخيص الأوضاع الاجتماعية في السنغال من خلال علاقة الطبقات الأربعة للمجتمع السنغالي نستطيع القول بأن الطبقة الحاكمة (البورجوازية الكبيرة) تمثل حوالي ٠.٤% من مجموع الشعب وأن البورجوازيات الصغيرة تمثل ٥% والعمال ١٧% والفلاحين والرعاة ٧٧.٦% هذا من ناحية الكم.^(١)

أما من ناحية الثقل الاقتصادي والسياسي^(٢) والاجتماعي، فتعتبر طبقة البورجوازية الكبيرة أكثرها تأثيراً، وتليها طبقة البورجوازية الصغيرة التي لا تقل أهمية عن طبقة العمال وإن كانت تعتبر من الناحية العددية ثلثها تقريباً وذلك للإعتبارات السابق ذكرها من تأثيرها على المجتمع وقدرتها الحقيقية على الرفض والتغيير.

ومن الطبيعي أن نعتبر طبقة الفلاحين وهي أكثر من ثلاثة أرباع الشعب السنغالي الحليف الطبيعي لطبقة العمال، وذلك بسبب سوء الحالة الاقتصادية ذلك القاسم المشترك بينهما. إلا أن هذا الحليف مازال حتى يومنا هذا ضعيفاً بسبب العلل السابق ذكرها وبالتالي يبقى تأثيره على التغيير ضعيفاً وبطيئاً.^(٣)

Martin, Y. S.: La france et le Senegal Dakar 1967 P. P. 15 – 20.

(٢)

Martin Yves: Les repporsds situation politique 1874 – 1891 – Dakar 1966 P. P. 19 – 22.

(٣)

Mortines, E.: France and the Africans London 1969 P. 120.

(٤)

المبحث الثاني: التطور الاقتصادي في السنغال

بين عامي ١٩٤٥ - ١٩٨٠ م

عندما نشر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي تقريره الأول عن التنمية البشرية في العالم أدخل معايير جديدة في محاولته للتعرف على نوعية الحياة Quality of life التي يحياها الإنسان، أكثر من معرفة الأداء الاقتصادي للدول كما كان الحال من قبل فقد كان يعتمد على استخدام الناتج المحلي الإجمالي فقط لكل دولة، لأنه أراد أن يتعرف على كيف أكثر من تعرفه على الكم الذي تنتجه الدولة، فإلى جانب الناتج المحلي الإجمالي كان هناك توزيع الدخل وحرية الإنسان وغيرها، وكان أساس المقياس الجديد هو عناصر ثلاثة أساسية وهي أمد الحياة "Longevity" والمعرفة، ومستوى المعيشة وتعبّر عنها أرقام توقع الحياة والتعليم، والدخل أي القوة الشرائية، وعن طريق مرج هذه العناصر الثلاثة خرج بتقسيم دول العالم إلى فئات ثلاثة هي العليا، الدنيا وبينهما الوسطى من حيث متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي.

(من دخله أكثر من ١٢ ألف دولار أمريكي في السنة يعتبر من الفئة العليا، ومن أقل من ١٢ ألف دولار هم من الفئة المتوسطة، ومن أقل من ألف دولار هم من الفئة الدنيا)^(١).

وقد لوحظ أنه بالنسبة لأفريقيا ما يلي:

١. هناك ١١ دولة أفريقية تنتمي إلى الفئة الوسطى أي أقل من ١٢ ألف دولار من الدخل سنوياً.

٢. هناك ٤٢ دولة أفريقية تنتمي إلى الفئة الدنيا أي متوسط دخل الفرد فيها أقل من ألف دولار سنوياً

٣. هناك ١٨ دولة أفريقية من العشرين دولة في العالم الذين يستقرون في قاع هذا المقياس.

ومن الثمانية عشر دولة أفريقية التي استقرت في قاع المقياس، كلها عدا إثنان متوسط العمر فيها أقل من ٥٠ عاماً ومن الإحدى عشر دولة في الفئة الوسطى نجد أن نسبة التعليم بين البالغين من الذكور لا تتعدى ٣٠% ودخولهم منخفضة.

(١) أنظر برنامج الأمم المتحدة الإنمائي - التقرير الأول عن التنمية البشرية في العالم... تقرير عام ١٩٩٤ - نيويورك ١٩٩٥.

٤. لا تصل دولة أفريقية واحدة إلى الفئة العليا^(١).

ومن المعروف أن الفقر والجهل والمرض تمثل ثالوثاً لا ينفصل أي ركن من أركانه عن الركنين الآخرين، ولكن الفقر هو الركن الأساسي الذي يستند إليه الركنان الآخران بحيث يمكن أن يختفيا بسهولة في حالة إختفائه.

وينطبق هذا على الأفراد والشعوب سواء بسواء، ولهذا فإن المستوى الاقتصادي لأي شعب من الشعوب له علاقة مباشرة بأحواله الصحية إذ أن نقص الإمكانيات المالية يعتبر العقبة الرئيسية في سبيل تنفيذ البرامج الخاصة بمقاومة الأمراض وعلاج المرض، وتطوير الخدمات الصحية المختلفة، كما يعتبر العقبة الرئيسية في طريق رفع المستوى المعيشي للشعب، وكذلك مستواه الحضاري بما يؤدي إلى بقاء قطاع منه فريسة للجهل والذي يعتبر بدوره حليفاً قوياً للمرض وهكذا يعتبر الأفارقة فقراء عام بأي معيار من المعايير، فمجموع الناتج المحلي لثلاث وخمسين دولة لا يمثل سوى ٧% من الناتج المحلي الإجمالي للولايات المتحدة الأمريكية ومتوسط نصيب الفرد من هذا الناتج المحلي في أفريقيا هو ١ : ٣٥ من متوسط نصيب نظيره الأمريكي ولاشك أن الفجوة كبيرة وأحياناً تزداد إتساعاً.

ثم أن الفقر وإنخفاض الدخل معناه إنعدام الإدخار أو قلته على أكثر تقدير، وبالتالي عدم توفر رأس المال لإقامة مشروعات التنمية، لأن الفرد ينفق دخله بالكامل في الإستهلاك، بل وأحياناً يقترض عليه، مما يؤدي في النهاية إلى تعثر مشروعات التنمية أو الإستدانة من الخارج لتمويلها.^(٢)

إن هناك ٢٦ دولة أفريقية تعتبر من أقل الدول تقدماً من مجموع ٣٦ دولة في العالم، فتجمع بين متوسط الدخل المنخفض (المعيار الرئيسي) إلى جانب أن نسبة الأمية فيها تزيد على ٨٠% ومن ثم كان لابد من التنمية الشاملة دخل يؤدي إلى صحة جيدة، وتعليم صحيح ومثمر... وذلك حتى يشعر الأفريقي بأهميته وإنسانيته.

فالتنمية تعتبر في حد ذاتها وسيلة للإرتقاء بمستوى الإنسان، وهناك إعتقاد خاطئ أنه يمكن الوفاء بإحتياجات الإنسان من الموارد الطبيعية بدون حدود وقد أدى هذا المفهوم للتنمية التقليدية إلى إستنزاف الموارد الطبيعية الأمر الذي أدى إلى ظهور الكثير من المشكلات البيئية

(١) أنظر: ندوة قضايا التنمية والبيئة في أفريقيا ١٨ - ١٩ نوفمبر ٢٠٠٠م القاهرة - جامعة القاهرة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - قسم الجغرافيا ص ٢.

Jean Suset: Afrique Noire Paris 1961 P. P. 123 - 124.

(٢)

ومن هنا أدرك الاقتصاديون قبل غيرهم أهمية التنمية المستدامة^(١).

التطور الاقتصادي في السنغال:

بعد أن تم للإستعمار الفرنسي الإستيلاء على الممالك التي كانت تعيش على أرض السنغال^(٢)، وإنتهى من تكوين المستعمرة، بدأت مشكلة إدارة المستعمرة واختيار الأسلوب المناسب لحكم السنغال.

وقد عين فيدارب Fedarbe الفرنسي أول حاكم للسنغال عام ١٨٥٩م وبدأ يطبق نفس مبادئ الحكم التي وضعها الحكم التي وضعها الحاكم بيجو Bijy لإدارة الجزائر. ولكن الفرق بين إدارتها أن فيدارب حكم السنغال^(٣) عن طريق الحكم غير المباشر من خلال الزعماء التقليديين وقد أعطى لهؤلاء الزعماء بعض السلطات التنفيذية واقتصر دوره ودور الإدارة الإستعمارية على رسم سياسة الإقليم ومراقبة تنفيذها ولتدعيم هذه السياسة أنشأ فيدارب مدرسة لأولاد الزعماء الأفارقة هدفها إعداد حكام ومديري المستقبل وكانت الإستفادة الإستعمارية من سياسة فيدارب في النقاط التالية:

أولاً: المحافظة على الأشكال التقليدية للحكم، وإتهام الحكام المحليين بأنهم مازالوا يمارسون سلطاتهم المتوارثة، وإيهام الشعب بأنه مازال يتمتع بكيانه القومي، مما يخفف على الأقل مرحلياً من هذه الكراهية والرغبة في الإستقلال.

ثانياً: تعليم أولاد الحكام في المدارس الفرنسية يطبعهم بالثقافة الفرنسية ويشكل شخصياتهم بحيث يجعلهم حريصين على الإبقاء على الصلات الفرنسية الأفريقية فيصبح الخضوع للإدارة

(١) التنمية المستدامة هي استخدام الموارد الطبيعية بما يحقق الاستخدام المتوازي الأمن لها للتلبية لإحتياجات بناء الجيل الحالي مع الوضع في الاعتبار أهمية تواصل وإستمرارية هذه الموارد لتلبية إحتياجات الأجيال القادمة وفي نفس الوقت المحافظة على البيئة لضمان إستمراريتها بصورة سليمة ونظيفة للأجيال التالية.

فالتنمية المستدامة في جوهرها تعني أن يكون الإستغلال الأمثل للموارد وإتجاه الإستثمارات ووجهة التطور التكنولوجي والتغيير المؤسساتي أيضاً في حالة إنسجام وتناغم وتعمل على تعزيز إمكانية الحاضر والمستقبل لتلبية الحاجات والمصالح الإنسانية وتتم معدلات التنمية المستدامة بمعدلات أقل من تلك الخاصة بالتنمية التقليدية لأنها تعتمد على تقليل كثافة إستغلال الموارد الطبيعية طبقاً لقدرتها على التحديد، من هنا ظهر إتجاه الإقتصاد البيئي لكي يتلاءم مع متطلبات التنمية الإقتصادية المستدامة ومن أهم مفاهيمها التكلفة والعائد والتوازن والإقتصاد البيئي.

فالتكلفة في التنمية المستدامة تتضمن التكلفة الإجتماعية وليس تكلفة الإنتاج فقط والتي تشمل إستنزاف الموارد بالإضافة إلى تكلفة الإنتاج لتحقيق التوازن بين الإقتصاد والبيئة. فالتنمية المستدامة تسعى إلى نسبة إحتياجات وطموحات الحاضر دون الإخلال بالقدرة على تلبية إحتياجات المستقبل، وعلى ذلك فإن التنمية المستدامة تتطلب تغييرات بعيدة المدى لإنشاء تدفقات في التجارة ورأس المال والتكنولوجيا تكون أكثر إنصافاً وأفضل توقيتاً مع أساسيات البيئة.

أنظر:

مؤتمر مستقبل الأمن الغذائي الأفريقي ٢٤ - ٢٥ يونيو ٢٠٠٣م

جامعة القاهرة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - قسم الموارد الطبيعية - القاهرة ٢٠٠٥ ص: ٣٩ - ٤٠.

(٢) Mission, Valiete: Renseignements, sur la situation politique du cayour Dakar 1879 P. P. 40 - 43.

(٣) Samir, Amin: Modern, Migartions in western Africa Oxford 1974 P. P. 382 - 383.

الإستعمارية سهلاً ميسوراً.^(١)

ثالثاً: الحكم غير المباشر يسهل على الإدارة الفرنسية حكم شعوب مختلفة عنها كل الإختلاف في العادات والتقاليد الاجتماعية والسياسة والاقتصادية.

ولكن خلفاء فيدارب لم يتبنوا كلهم هذه السياسة. فمنهم من كان يميل إلى سياسية الإستيعاب والحكم المباشر بحجة أن هذا هو الإسلوب المناسب لتحقيق هدف فرنسا وواجبها بين الشعوب الأفريقية إلى التقدم الاجتماعي والاقتصادي والديموقراطي.^(٢)

وسياسة الإستيعاب والحكم المباشر تستلزم تطبيق أسلوب الحكم والإدارة الفرنسي في المستعمرات ويعني ذلك توحيد السلطة السياسية بين فرنسا ومستعمراتها ومشاركة الأفارقة . أو على الأصح الصفوة المثقفة منهم في مؤسسات الجمهورية الفرنسية^(٣)

وظل هذان الأسلوبان المختلفان في الحكم والإدارة يتناوبان حكم السنغال إلى أن تغلب في النهاية أسلوب الحكم المباشر، وبدأت المستعمرة تمثل في البرلمان الفرنسي منذ ١٨٧٠م، ولم يكن لجميع السنغاليين حق التصويت، بل كان هذا الحق ملكاً لما يسمى بالمواطنين في ذاك الحين ألا وهم الفرنسيون المقيمون في السنغال^(٤) أو الأفارقة الحاصلون على الجنسية الفرنسية، وكل من عداهم يعتبر من الرعية وكان حق التجنس بالجنسية الفرنسية بعد إلغاء العبودية ١٨٤٨م قاصراً على أبناء أربع محافظات فقط هي:

سان لويس^(٥)، روميسك، جوريه وداكار... والنتيجة الطبيعية لذلك هي أن غالبية الشعب السنغالي لم تكن تشارك في حكم البلاد.

أضف إلى ذلك أن مندوب السنغال المنتخب في البرلمان الفرنسي كان حتى سنة ١٩١٤م من الوالدين وأول أفريقي أصيل مثل بلاده في البرلمان كان بلازيدان الذي فاز في إنتخابات عام ١٦١٤م^(٦).

ولاشك أن الحرب العالمية الثانية كانت لها آثار بالغة الأهمية على الصحة الوطنية لدى

(١) Shcdon Gellar: Senegal an African,k Nation, between and the west African Kingdom – London 1982 P. P. 105 – 110.

(٢) Addab. Bozeman: Conflict in Africa London 1976 P. 116.

(٣) عبد الملك عودة: السياسة والحكم في أفريقيا - مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٥٩ ص: ١٦٣ - ١٧٣.

(٤) Amadou. Duguoy. Cleclor: La Ba Taill deguite – sant – Lous 1931 P. P. 85 – 90.

(٥) Abbe P. H. Boplet: Esquisses Senegaleises. Paris 1863 – P. P. 35 – 50.

(٦) Luvroff, OP. cit, p. 24.

المستعمرات ورغبتها في التحرر والإستقلال عن الإمبراطوريات العظمى وعلى رأسها فرنسا وبريطانيا.

وقد جاء مؤتمر برازفيل سنة ١٩٤٤م ليؤكد التغيير الجذري الذي حدث في المستعمرات فقد رأت الحكومة الفرنسية أنه قد حان الوقت لإعطاء دفعة جديدة من الديمقراطية لسياساتها، حيث أن أبناء المستعمرات أصبحوا يرفضون الخضوع التام للدولة الأم. وكان الهدف هو إستيعاب هذه المستعمرات داخل الدولة الفرنسية بحيث تصبح أقاليم فرنسية، ويصبح جميع أهلها مواطنين فرنسيين يعطون تدريجياً حقوقاً مماثلة للفرنسيين.^(١)

وجاء دستور ٢٤ أكتوبر ١٩٤٦م لينشيء الإتحاد الفرنسي وأصبح السنغال إقليماً فرنسياً^(٢) فيما وراء البحار يشارك بمندوبيه في الجمعية الوطنية الفرنسية وفي جمعية الإتحاد الفرنسي، وكان هؤلاء المندوبون الأفريقيون ينتخبون على أساس مبدأ القائمة الانتخابية المزدوجة، ويعني ذلك أن الناخبين^(٣) يقسمون إلى طائفتين طائفة أوربية وطائفة أخرى أفريقية، وكل طائفة تدلي بأصواتها منفصلة عن الأخرى وكل واحدة لها الحق في عدد معين من النواب وكما يبدو واضحاً فإن هذا النظام يؤكد التفرقة وعدم المساواة بين السود والبيض في الأقاليم وليس فقط بين الأفارقة وفرنسي الدولة الأم.

وكان الدستور الفرنسي يؤكد عدم المساواة بين الفرنسيين البيض والفرنسيين الأفارقة في المؤسسات السياسية الفرنسية وقد كان للرئيس سنجور موقف مدون في هذا الشأن حيث كتب معلقاً على دستور ١٩٤٦م الفرنسي يقول:

"عرف دستور ١٩٤٦م الجمهورية على أنها غير قابلة للتقسيم وأسند الدستور إلى القانون مهمة تنظيم تمثيل الأقاليم الفرنسية فيما وراء البحار فكانت النتيجة أن ٤٣ مليون من الفرنسيين يمثلهم ٥٤٤ نائب، ٤١ مليون من مواطني الأقاليم الفرنسية فيما وراء البحار يمثلهم ٨٣ نائب، هذا بالنسبة للسلطة التشريعية، أما بالنسبة للسلطة التنفيذية فكان الواقع يبعد عن السلطة جميع نواب الأقاليم تقريباً. وتتميز الحكومة الحالية بأنها لا تستعين بخبراء الأقاليم حتى البيض منهم. وأضيف لكي أكمل الصورة أن ٣٦ وزيراً من أعضاء هذه الحكومة يدافعون عن

Durand J. B. L: Voyage au Senegal Paris 1802 P. P.: 66 – 70. (١)

Eugene, Saw/ Nier: La Companic de Galam au Senegal Paris 1921 P. P.: 117 – 170. (٢)

Henry – S. Wilson: The imperial, Experience in sub sahra. Africa, since 1876 Oxford 1977 P. (٣)
P.: 80 – 102.

مصالح فرنسا بينما لا يدافع عن مصالح سكان الأقاليم سوى ثلاثة وزراء فقط^(١).

لقد كان إحساس "سنجور" بعدم المساواة من أهم العوامل التي جعلته يتبنى فلسفة الزنوجة، والزنوجة هي الشخصية الأصلية لزنجي وطريقة تفكيره وإحساسه، وهي التي تحمي التراث الأفريقي التي تثبت أن البلاد الأفريقية كانت لها حضارات قديمة تستطيع بها أن تخلق شيئاً من الندية بينها وبين الحضارة الفرنسية بحيث تصبح سياسة الإستعاب أخذاً وعطاءً من الطرفين وليست فرضاً يتلقاه الجانب الأفريقي في سلبية تامة^(٢).

وقد أحست الحكومة الفرنسية برئاسة جي مولييه Gy Molyh بضرورة إجراء إصلاحات فاصلة في سياسة المستعمرات حيث بدأت الإضطرابات تزيد في المستعمرات فقد اندلعت حرب الهند الصينية سنة ١٩٤٦م وإنتهت سنة ١٩٥٤م بهزيمة فرنسا، كما بدأت حرب التحرير الجزائرية سنة ١٩٥٤م وإنتهت هي أيضاً بإستقلال الجزائر سنة ١٩٦٢م ولاشك أن هذه الهزائم المتتالية لفرنسا، وإنحسار إمبراطوريتها تدريجياً من آسيا وشمال أفريقيا، والأزمات الاقتصادية والسياسية التي تولدت عن هذه التطورات وأضعفت الدولة الفرنسية ولاشك أن كل هذه العوامل قد اضطرت الحكومات الفرنسية المتعاقبة إلى تقديم التنازلات، الواحدة تلو الأخرى، إلى باقي المستعمرات الأفريقية، وذلك بأمل الإحتفاظ بهذه المناطق أطول مدة ممكنة^(٣).

وبناءً على ذلك قدمت الحكومة الفرنسية مشروع القانون الإطار الذي طرح للتصويت ووافق عليه في ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٦م وكان هدف هذا القانون هو إعطاء شكل من أشكال الحكم الذاتي للأقاليم، وذلك بتوسيع الاختصاصات التشريعية للمجالس النيابية المحلية وتوسيع السلطة التنفيذية في كل إقليم وهي التي أصبحت تسمى بالمجلس الحكومي، وقد إحتفظت الحكومة المركزية في باريس بالسلطات الآتية:

الدفاع والأمن الداخلي للأقاليم والخدمات العامة وتمثيل السلطة المركزية في الأقاليم والمواصلات الخارجية والخدمات الاقتصادية والاجتماعية. وفيما عدا ذلك عن السلطات ترك للمجالس المحلية في الأقاليم^(٤).

(١) Rapport sur la méthode, VI° Congrès du. B. D. S. 21 avril 1954 cité dans: Senghor, Liberté II, Nation et voies africaines Au socialisme P. 127.

(٢) قال سنجور هذا الرأي في الجمعية الوطنية في ١٨ سبتمبر ١٩٤٦، أنظر: إيمان محمد نونو: ليوبولد سيدار سنجور والحركة الوطنية في السنغال، معهد البحوث والدراسات الأفريقية - رسالة ماجستير غير منشورة - القاهرة ٢٠٠٤ ص: ٨٧ - ٩٥.

(٣) Philippe. Plamel. G.: Legal anthropology – London 1988 P. P. 53 – 71.

(٤) Philippe. Plamel. G.: Legal anthropology – London 1988 P. P. 53 – 71.

(٥) Lavroff, OP. cit, P.p: 33 – 34.

ورغم الرضا العام عن القانون، إلا أن رد فعل السنغاليين لم تخل من إنتقادات لبعض السياسيين، وكان الإتهام الرئيسي الموجه إلى فرنسا هو أنها قسمت الأقاليم الثمانية لغرب أفريقيا الفرنسية بشكل غير طبيعي وجعلت من كل واحد منها وحدة سياسية وإقتصادية وثقافية تجهل بعضها البعض، بينما تتوحد وتتدمج مع الدولة الأم^(١).

وكانت هذه الفئة من السنغاليين تفضل توحيد الأقاليم الأفريقية أولاً ثم إعطاء الحكم الذاتي لهم كمجموعة، بدلاً من إعطائه لكل واحد منهم على حدة.^(٢)

أما سنجور، فقد كان من الفريق المؤيد لقانون سنة ١٩٥٦، وقد علق على هذا الموضوع في مقال له في مجلة أفريك نوفيل في ديسمبر ١٩٥٦^(٣):

"... الحل الثاني لمستقبل التكوين السياسي لأقاليم غرب أفريقيا هو الدولة الموحدة المندمجة في جمهورية فرنسا الاتحادية ويعني هذا أن الأقاليم الثمانية لغرب أفريقيا الفرنسية ستوجد مواردها البشرية والاقتصادية^(٤)، فتصبح كياناً واحداً قوامه ٢٥ مليون نسمة وميزات هذا الحل الثاني كثيرة ألا وهي:

١. إتحاد إرادة ٢٥ مليون مواطن أفريقي ونصف سكان الدولة الأم يكون لها قوة تأثير لا يستهان بها في المفاوضات مع فرنسا.

٢. توحيد موارد الثروة يسمح بتقدم إقتصادي وإجتماعي سريع للأقاليم الداخلية الفقيرة التي كثيراً ما تعاني من جفاف المناخ والبعد عن المنافذ البحرية.

٣. الوحدة السياسية^(٥) . حكومة واحدة وجمعية تشريعية واحدة . تساعد على الإحساس بالشخصية الجماعية الأفريقية وإرساء ثقافة أصيلة مبنية على القيم الزنحية ومدعمة بالعبقريّة الفرنسية ومنفتحة على العالم المعاصر ."

وكانت الخطوة الثالثة في طريق إستقلال السنغال داخل إطار المجموعة الفرنسية هي إستفتاء سنة ١٩٥٨... فأقام المشاكل التي كانت تكتنف العلاقات بين الأقاليم الأفريقية

Guillemin, Philippe: La structure des premiers gouvernements en Afrique Noire, Revue Française de science politique vol, 9 No3 septembre 1959 (١)
Presses universitaires de France, Paris, P. P. 667 – 685.

Golbe Tty, S. M. X.: Fragments D'un voyage en Afrique, Paris, 1802 P. P.: 17 – 23. (٢)

Henri Laboret: Payson 'a Frique occidentale Paris 1991 P. P. 72 – 85. (٣)

Harold. Dodson: Area hand book for Sengal Wachmintion 1974 P. P. 112 – 115. (٤)

Jack goodys: Succession to High Africa – Cambridge 1966 P. P.: 98 – 105. (٥)

وفرنسا^(١)، وأمام إنحسار الإمبراطورية الفرنسية عن تونس والمغرب رأت الجمهورية الخامسة برئاسة الجنرال ديغول أنه من الضروري إجراء تغييرات أكثر إيجابية في العلاقات بين فرنسا وأقاليمها في أفريقيا والسودان.^(٢)

وكان على المسرح السياسي الأفريقي في ذلك الوقت إتجاهان متباينان يتجسدان في حزبين:

التجمع الديموقراطي الأفريقي ويتزعمه هوفوبه بوانبيه Hofobh Boanbyh وحزب التجمع الأفريقي الذي كان سنجور أحد قياداته وكان له فرعه في السنغال وهو الإتحاد التقدمي السنغالي وكان ليوبولد سنجور هو سكرتيه العام.

ووجد سنجور نفسه ومعه حزب التجمع الأفريقي أمام إختيار دقيق طرحه دي جول في إستفتاء سنة ١٩٥٨م، إما الإستقلال التام وقطع جميع الروابط بفرنسا...^(٣)

وإما الإستقلال في إطار الجماعة الفرنسية والإبقاء على العلاقات الطيبة بينهما...

وقد إنقسم الشعب السنغالي إلى فريقين، أحدهما يريد الإستقلال التام الفوري ويرفض الإنتماء إلى فرنسا، والآخر يريد البقاء داخل المجموعة الفرنسية وكان الفريق الرفض يتكون من^(٤):

١. حزب الإستقلال الأفريقي ويؤمن بالأيديولوجية الماركسية وأعضاؤه من المثقفين (موظفين وطلبة) وعمال المدن الكبرى وكان تأثيره ضئيل جداً على الفلاحين الذين يمثلون حوالي ٧٨% من مجموع الشعب السنغالي.^(٥)

٢. الجناح اليساري للإتحاد التقدمي السنغالي وهو حزب الأغلبية وكان يتزعمه مجموعة من الشباب المثقف أمثال عبد الله ولي وحسن سيلة.

وبجانبهما النقابات المهنية والعمالية والطلبة من الشباب اليساري وجماعة علماء

(١) Jon. D. Hareales: France and Africa London 1969 P. P.: 65 – 70.

(٢) John. Ralph – Willis: Studies in west African Islamic history. London 1979 P. P.: 112 – 123.

(٣) Rira – Gruisa Obrien: White Society in black Africa London 1972 P. P.: 53 – 60.

(٤) Diaite, Ibou, Le Referendum de 1958 au SénégalMémoire de diplôme détndes supévevres des sciences politiques, faculté de droit et des science économiques de paris 1964 – P. P. 6 – 13.

(٥) Wlater, Fitzgerald: Africa. New York 1961 P. P.: 115/ 428 – 340.

ولكن وافقت السنغال على فكرة الانتماء إلى الجماعة الفرنسية خاصة بعد أن إتهم سنجور الراغبين في الإستقلال التام بأنهم يعملون على إحلال النفوذ السوفيتي محل النفوذ الفرنسي. وقد ساعد سنجور في تأكيد إتهامه أن غالبية الرافضين من اليساريين وحاول بذكاء شديد إثارة حفيظة السنغاليين وهم شعب متدين ضد الإتجاه اليساري الذي يلصق به عادة تهم الإلحاد.

كما أكد سنجور للفلاحين وهم الغالبية العظمى من الشعب أن الإستقلال التام عن فرنسا يعني الخراب بالنسبة لهم... فسعر الفول السوداني سينخفض بشدة لأنه سيفقد الحماية الفرنسية له ويبدأ في مواجهة المنافسة الخطيرة في السوق العالمية.(٢)

وبناءً على المادة ٧٨ من الدستور الفرنسي فقد طالبت السنغال بالإستقلال عن فرنسا مع الإحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع فرنسا وبدأت المفاوضات في هذا الشأن في يناير ١٩٦٠ وفي ٢١ يونيو من نفس السنة أعلن الإستقلال التام لدولة السنغال.(٣)

وهكذا يمكننا أن نحدد معالم التطور الاقتصادي في السنغال بعد عرضنا لمفاهيم التطور السياسي للسنغال حتى حصوله على الإستقلال وكذلك على مفهوم التنمية ليتمكن الخروج بحقيقة هذا التطور والظروف التي أحاطت به.

والتطور الاقتصادي في السنغال لم يستقر على نظام بعينه... فمن النظام الرأسمالي المرتبط بالدولة المستعمرة إلى نظام حاول السير في الطريق الشيوعي ثم خفف منه إلى الطريق الاشتراكي... ولكن رغم كل ذلك ظلت السمة الأساسية للنظام الاقتصادي في السنغال... الصورة المتخلفة حيث هو قطر ينتج المحصول الواحد وهو الفول السوداني... وإقتصاد إستهلاكي وليس به أية صناعات... وكانت السمة الإقطاعية هي السائدة في كل قطاعاته ولكن قبل ذلك يجب علينا التعرض للبرامج الحزبية الاقتصادية.

Paulmarty: Etudessur islam au Senegal, Paris 1913 P. P.: 43 – 56. (١)

Zerbo. J. K.: Gereral history of Africa, mythology African, prehistory – California – 1998. (٢)
P. P.: 12 /278.

Wesley Johanson: The emekgence of blacr politics in Senengal Stanford 1971 P. P.: 87 – 100. (٣)

ولكن قبل ذلك يجب علينا التعرض للبرامج الحزبية الاقتصادية:

حدد ليوبولد سنجور الخلافات المذهبية بين الإشتراكية الماركسية والإشتراكية السنغالية فقد قال سنجور يمكن لنا أن نكون إشتراكيين ونظل قوميين^(١).

كان سنجور يدين بالإشتراكية التي لا تؤمن بوجود الطبقات على الأرض الأفريقية ولا بوجود صراع بينها و التي تقوم على المصالحة والتقريب بين مصالح الفئات المختلفة، وهي لا تؤمن بدكتاتورية البروليتاريا والحزب الواحد.^(٢)

أما عن السياسة الداخلية الاقتصادية لحزب ليوبولد سنجور فقد إتخذ السنغال سياسة التخطيط وسيلة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.^(٣)

وتطبق الحكومة في هذا المجال سياسية مرنة، المقصود بها تطوير الوسائل العلمية للتخطيط لخدمة الإحتياجات السنغالية^(٤)، وذلك دون التقيد بالشروط التي تفرضها الإشتراكية العلمية في هذا المجال، فبناءً على خطط التنمية تطبق الحكومة النظام الاقتصادي الإشتراكي على القطاع الزراعي والنظام الاقتصادي الرأسمالي على قطاع الصناعة والتجارة. هذا وتعنى الخطة عناية لا بأس بها بالتنمية الاجتماعية كالإهتمام بالصحة العامة والتعليم والإسكان.

وفيما يلي تفصيل السياسة الزراعية في السنغال:

المجتمع في أفريقيا السوداء رؤية خاصة وتقليدية لملكية الأرض فالأرض كالبحر والسماء، وهي لا تخضع لنظام الملكية الفردية، بل هي تخدم الجماعة التي تفلحها وتنتفع بها. وبناء على هذه الفلسفة لا يهتم المزارع السنغالي بملكية الأرض، ولكنه يهتم فقط بحق الإنتفاع بها.

ويعتقد الفلاح الأفريقي أن الله والموتى قد وكلوا عنهم بعض الأشخاص، يسمون بأسياد الأرض لتوزيع الأرض بين القبائل والعائلات المختلفة ومقابل هذا العمل، نفوض التقاليد مضطراً

Senghor, Liberté II Nation et voia africaine du socialisme Paris 1980 P. 106. (١)

Carter. M: African one party state New York 1962 P. P.: 46 – 50. (٢)

Cheikharta Diop: Le Senegambie dans la Deuxlene, Moite Xix Siecle canquetes resistances. (٣)

Lolanel. H. Fety.: La compagne dans le Haut Senegal Paris 1988. P. P.: 70 – 71. (٤)

إلى دفع مبلغ آخر إلى محصل الضرائب وأبنائهم من بعدهم^(١).

وهناك عبء آخر يتقل على كاهل الفلاح ويستغله ألا وهو نظام الوسيط^(٢).

وقد ظلت هذه الأوضاع سائدة في السنغال حتى الإستقلال، وحدثت منذ ذلك الحين محاولات من المسؤولين لتحسين أحوال الفلاحين والوصول إلى نظام زراعي أفضل يؤدي إلى زيادة الإنتاج^(٣).

وكانت المحاولة الأولى سنة ١٩٦٠، حين بدأت الدولة تطبق على القطاع الزراعي نظاماً تعاونياً يقوم على أجهزة جديدة لتسويق الإنتاج الزراعي، وإمداد المزارعين بإحتياجاتهم من الآلات والحبوب والمبيدات والسلف النقدية. وتتمثل هذه الأجهزة في الجمعيات التعاونية ومكتب التسويق الزراعي^(٤)، والبنك الوطني لتنمية السنغال والصندوق التعاوني للتنمية الزراعية وأخيراً المراكز المحلية للمعاونة في التنمية، التي تعتبر همزة الوصل بين الجمعيات التعاونية والبنك الوطني^(٥).

وقد أفاد النظام التعاوني الفلاح السنغالي في أمور أربعة^(٦):

أولاً: يوجد للزارع مكان لتخزين محصوله بجوار قريته، مما يعفيه من الإستعانة بوسائل النقل المكلفة التي كانت تتقل له المحصول في مراكز التجمع القديمة التابعة للوسيط.

ثانياً: يتيح للفلاح في أغلب الأحيان وزناً سليماً وتقديراً أميناً لكمية محصوله.

ثالثاً: زيادة في أسعار بيع المحاصيل نتيجة للأرباح التي غالباً ما تحقّقها الجمعيات والتي تصل أحياناً إلى ١٢٠ فرنك^(٧) أفريقي (يلاحظ أن الفرنك الفرنسي يساوي ٥٠ فرنكاً أفريقياً) على الكيلو الكيلو جرام أي حوالي ٥%.

(١) M'Bengue, Aboune Badara, La réforme foncière et agraire au Sénégal, penant, N °707 Juillete –(1) Septembre 1965, La Documentation Africaine, Paris 1970 P. P. 298 – 309.

(٢) الوسيط هو المرابي الذي يقرض الفلاح نقداً أو عيناً في الفترة التي تقع بين محصولين والتي يقل فيها دخل الفلاح، أو في وقت زراعة المحاصيل حين يكون الفلاح محتاجاً إلى سلف لتغطية إحتياجات الزراعة. ويرهن الفلاح لدى الوسيط حليه وملابسه ويتقاضى المرابي من الفلاح فائدة تصل إلى ٣٠٠% وبذلك يجد الفلاح السنغالي نفسه مديناً على مدار السنة أنظر:

Monteil, Vincent, Esquisses Sénégalaises, Université de Dakar , Institut Fondamental d'Afrique Noire 1966 P. 196.

Chekh Nda9o: L'exil D Albouri Paris 1967. P. P.: 10 – 17. (٣)

Daniel. Fmacall: Aspects of west African islam – Boston 1971 P. P.: 67 – 82. (٤)

Diop Moussa, La politique de promotion rurale, au Sénégal, Mémoire pour diplôme d'etudes (٥) supérieures de sciences économiques, université di Paris 1973 P. 23.

Ibid, P. 72. (٦)

Dan Ford: African, Ayrian settlement Oxford, 1963 P. 64. (٧)

رابعاً: يقدم له القروض التي تعينه على الإستعانة بالوسيط والتي تساعد كثيراً على التقدم الاقتصادي.

وكانت المحاولة التالية للحكومة في هذا المجال هي قانون الإصلاح الزراعي الذي صدر في ١٧ يونيو سنة ١٩٦٤^(١) وقد أراد المشرع بهذا القانون:

أولاً: تطويع الوضع التقليدي للأرض المذكور سلفاً لخدمة السياسة الاقتصادية الحديثة القائمة على الإستثمارات التجارية الكبيرة وذلك بتثبيت قيمة الأرض وتحديد وضعها القانوني، دون المساس بالصفة المميزة للأرض الأفريقية ألا وهي حق الإنتفاع الجماعي بها^(٢).

ثانياً: تمكين الدولة من إعادة توزيع عائد الأرض على المزارعين بشكل أكثر عدالة^(٣).

وقد نص هذا القانون على الآتي^(٤):

١. نقل ملكية جميع الأراضي الزراعية تقريباً^(٥) إلى الدولة، وبذلك تحل الدولة محل أسياد الأرض، فتعفي الفلاح من الجزية وتنظم وتقنن الملكية الزراعية.

٢. نقل حق الإنتفاع بهذه الأرض من الدولة إلى المزارعين، وحق الإنتفاع بالأرض شامل، بإستثناء حق إستغلال المناجم والمحاجر وحق الصيد وحق الإستغلال التجاري للأشجار.

وجدير بالذكر أن حق الإنتفاع بالأرض كان يورث إلا إذا أدى ذلك إلى تفتيت الأرض بشكل يعطل إستثمارها^(٦).

السياسة الصناعية في السنغال

Monteil, Henri: Explaratur et Soldat Paris 1937 P. P.: 73 – 75.

(١)

M 'Bengue, op. cit, P. 296.

(٢)

Diop Moussa op. cit, P. 46.

(٣)

Ibid P. 51.

(٤)

(٥) ظل الـ ٩٩% من أراضي السنغال حتى تاريخ هذا القانون خاضعين للنظام التقليدي للإنتفاع بالأرض وغير مسجلين بأسماء أشخاص، ١% فقط من الأرض هي التي سجلت كمكليات خاصة بالأفراد، وذلك في محاولة للفرنسيين أيام وجودهم في السنغال لتنظيم الملكية الزراعية. وقد ملك قانون سنة ١٩٦٤ للدولة الـ ٩٩% من الأراضي غير المسجلة، وبقي الـ ١% من الأراضي المسجلة ملكية فردية.

أنظر:

M 'Bengue, op. cit, P. P. 297 – 299.

ولم تكن تعني ملكية الدولة للأرض أنه لم يكن هناك إقطاعيات كبيرة فقد كانت توجد ولكن في إطار حق الإنتفاع، لاسيما بين رؤساء الطرق الصوفية وبين أحفاد الزعماء التقليديين، وربما راعت الحكومة حين أرادت إعادة توزيع حق الإنتفاع بالأرض، ألا تغير من وضع الزعماء الدينيين وكبار الشخصيات الإجتماعية حتى تحتفظ بتحالفهم معها وبمساعاتهم لها، إبان الإنتخابات والأزمات السياسية الخطيرة.

Ibid, P. 301.

Ibid, P. 301.

(٦)

طبقت الدولة خلال تطورها الاقتصادي النظام الإشتراكي في المجال الزراعي ولكنها لم تطبق على قطاع الصناعة والسؤال لماذا؟

لماذا لم تطبق الدولة القوانين الإشتراكية على قطاع الصناعة، كما طبقتها على قطاع الزراعة؟ ولماذا تركته للشركات والمصالح الخاصة التي لم تنشأ تأميمها؟^(١).

ويجب سنجور على هذا التساؤل فيقول أن تأميم المصالح الأجنبية ليس هدفاً في حد ذاته وإنما هو وسيلة ضمن غيرها لتحقيق الهدف من الإشتراكية ألا وهو زيادة الإنتاج، ومنع إستغلال العمال وإعطائهم حقوقهم بالكامل، فإذا كانت هذه الوسيلة تتطلب شروطاً وإمكانيات غير موجودة في السنغال، مثل رؤوس أموال وطنية وفنيين وطنيين بأعداد كافية، فيجب البحث عن وسيلة أخرى تحقق نفس الأهداف في حدود الإمكانيات الموجودة، ألا وهي جذب رؤوس الأموال الأجنبية وإستثمارها في المجالات المطلوب تطورها وزيادتها. وذلك بشروط تفرض على أصحاب رؤوس الأموال الأجانب لتحمي حقوق العمال والمصلحة الوطنية، فإذا تحقق هذا يكون لوجود المصالح والشركات الأجنبية نفع كبير، حيث أنها توظف السنغاليين وتعيد إستثمار جزء من أرباحها في البلاد، كما أنها تدفع الضرائب للدولة.

ومن ناحية أخرى، لعبت الإشتراكية الماركسية على إعطاء الأولوية في الإهتمام للصناعات الإنتاجية والثقيلة فيها بالذات وإعتبرت ذلك أساساً من أسس التنمية الاقتصادية وقد خالفتها الإشتراكية السنغالية في ذلك، فأعطت الحكومة الأولوية في خطة التنمية إلى القطاع الزراعي، ثم إلى الصناعات التحويلية ثم إلى الصناعات الثقيلة^(٢)، معتقدة أن هذا الإسلوب يخدم إحتياجات الإقتصاد السنغالي بشكل أكثر فعالية. فيرى سنجور^(٣) أن الصناعة الثقيلة، رغم أهميتها لكل دولة نامية لا تلزم السنغال^(٤) في هذه المرحلة.

كما أن البلد لا يملك المواد الأولية اللازمة لهذه الصناعات مثل الفحم والكهرباء، والبترو، ويرى أن الأولى بالبلاد أن تزيد من إنتاج ما تملكه فعلاً، مثل الصناعات^(٥) التحويلية التي تملك موادها الأولى (زراعة، أسمال... إلخ) بدلاً من أن تكلف نفسها مشقة وتكاليف إنشاء

(١) يقصد بالقوانين الإشتراكية هنا: ملكية الدولة ٩٩% من الأراضي الزراعية وإنشاء الجمعيات التعاونية وتطبيق سياسة تعاونية في مجال الزراعة.

(٢) Industrie et Travaux d'entremer, les objectifs et les moyens du IV^e plan quinquennal de développement du sénégal 1974 – 1977k, N° 235 Juin 1973 René Moreux, paris, P. P. 517 – 512.

(٣) David. W. Robinson: Chefs and Clerics. Abdul Bakarkan- and Futatoro 1853 – 1891 Oxford 1975 P. 92.

(٤) Derrick I. Slening: Sarannah Nomads London 1959 P. P.: 112 – 116.

(٥) Edward. C. Hopern: The pastori Folbe Family in Gwandu Oxford 1958 P. 85.

صناعة جديدة لا تملك حتى الأساس الذي تقوم عليه^(١).

وقد بلغت الإستثمارات في الخطة الرباعية لسنة ١٩٧٣ / ١٩٧٧ في القطاع الزراعي بـ ٤٦.٥ مليار فرنك أفريقي وفي القطاع الصناعي بـ ٢٤ مليار فقط منها ٩ مليار مخصصة للصناعات الغذائية^(٢).

وتوافق الباحثة على سياسة الحزب الحاكم في إعطاء الأولوية للتنمية الزراعية على التنمية الصناعية وسبب ذلك أن عوامل الإنتاج الزراعي متوفرة في السنغال:

الأرض الصالحة للزراعة والعمال الزراعيين المدربين ذوي الأجور المنخفضة.

أما عوامل الإنتاج اللازمة للنشاط الصناعي حيث كانت مازالت غير متوفرة في البلاد ولندرة رؤوس الأموال والمواد الخام والعمال الصناعيين المهرة والكفاءات الإدارية اللازمة لإدارة المصانع، وعلى ذلك تكون زيادة الإنتاج اللازمة للنهوض بمستوى معيشة الشعب السنغالي عن طريق التنمية الزراعية أسرع وأقل تكلفة وأقل اعتماداً على الخارج من زيادة الإنتاج المعتمدة على التنمية الصناعية.

Senghor, Liberté II, Nation et voie Africaine du socialisme P. P. 267 – 268.

(٢)

Industrie et travaux d' outremere op. cit p. 509.

(٣)

النقابات العمالية في السنغال

وأثرها على الأوضاع الاقتصادية

يمثل النشاط النقابي في ذاته قوة إجتماعية واقتصادية كبيرة فهو يجمع أعداداً كبيرة من العمال الذين يطالبون بحقوقهم وتحسين أحوالهم الاجتماعية^(١) والاقتصادية المهنية، أولئك العمال الذين يقوم على أكتافهم الإنتاج اللازم لدفع الإقتصاد القومي إلى الأمام.

وبالنسبة للنقابات في غرب أفريقيا الفرنسية، فقد نشأت مرتبطة إرتباطاً عضوياً بالنقابات الأم في فرنسا. غير أن الظروف التي ظهرت فيها الحاجة إلى النشاط النقابي في أوروبا مختلفة تماماً عنها في أفريقيا. فقد ظهرت النقابات في أوروبا في القرن الـ ١٩^(٢) نتيجة لتضخم المؤسسات الرأسمالية والتوسع في الميكنة الصناعية، فبدأ العمال يفقدون تدريجياً ملكية وسائل الإنتاج. وجاءت النقابات لتجمعهم وتحافظ على حقوقهم.

وهكذا إرتبط ظهور النقابات في أوروبا الغربية إرتباطاً وثيقاً بالتصنيع. وعلى ذلك فما الظروف التي ولد فيها النشاط النقابي في غرب أفريقيا الفرنسية بشكل عام وفي السنغال بشكل خاص.

نشأة النشاط النقابي في غرب أفريقيا:

نشأت النقابات في غرب أفريقيا سابقة للتطور الاقتصادي. ويمكن تقسيم العوامل التي أدت إلى نشأتها إلى ثلاث مجموعات: الأولى تتعلق بالسياسية الفرنسية والثانية بالموثرات الدولية، والأخيرة بالظروف المحلية الأفريقية.

الجانب الفرنسي:

أدخلت فرنسا النشاط النقابي في مستعمراتها الأفريقية تحت حفظ أحزاب اليسار المتعاونة مع النقابات الفرنسية من جهة والهيئات الدولية التي نشأت بعد الحربين العالميتين من جهة أخرى، ففي سنة ١٩٢٠م صدر قانون يسمح بتطبيق قانون العمل الفرنسي لسنة ١٨٨٤م الخاص بحرية النقابات في المستعمرات الفرنسية^(٣).

(١) Pavl Marty: P Lemirat des trarzas. Paris 1919 P. P.: 101 – 105.

(٢) Paul Marty: Les mourides D'Amadou Bamba – Paris 1913 P. 120.

(٣) Novembre, A. L' Evolution du Movement Syndical En Afrique Occidentale, Mouton, Paris 1965

ولكن هذا القانون لم يكن له في واقع الأمر أثر فعلي على عمال المستعمرات فقد كان العمل يخضع للسخرة. كما كان القانون السائد حينذاك يمنع الإجماعات التي تضم أكثر من عشرين فرداً دون إذن إداري مسبق. ولا يمكن تصور أنه يوجد نشاط نقابي في هذا الجو الإرهابي^(١). وقد ظهر النشاط النقابي بشكل جاد في المستعمرات الأفريقية^(٢) ابتداءً من سنة ١٩٣٧م، وقد كان ذلك انعكاساً للسياسة الاشتراكية التي طبقتها فرنسا في عهد الجهة الشعبية^(٣) التي تولت بعد أحداث عام ١٩٣٦م^(٤).

وقد رأت الحكومة الجديدة أن توسع نطاق الحرية الثقافية في المستعمرات، وبالفعل صدر قانون مارس ١٩٣٧م الذي يسمح بقيام النقابات في غرب أفريقيا الفرنسية ولكن القانون أخضع هذا الحق لشروط معينة، أبعدت غالبية العمال عن الاشتراك في النقابات. فقد إشتراط القانون على كل راغب في الإنتماء إلى نقابة معينة، أن يجيد التحدث والقراءة والكتابة باللغة الفرنسية، بالإضافة إلى ضرورة حصوله على شهادة الإبتدائية^(٥).

والذين لم تتوفر فيهم هذه الشروط، سمحت لهم السلطات الفرنسية بتكوين مجموعات خارج النقابات للدفاع عن مصالحهم المهنية ولا يسمح لهم القانون بأي نشاط آخر سياسي أو ديني^(٦).

وفي ١١ يوليو سنة ١٩٤٧م عقدت منظمة العمل الدولية الاتفاقية رقم ٨٤ الخاصة بحق التجمع في الأقاليم التابعة وأكدت فيها حق نقابات المستعمرات في الاشتراك في إعداد الاتفاقيات الدولية والإجماعات الخاصة ببحث مشاكل العمل.. إلا أن فرنسا لم تصدق على هذه الاتفاقية إلا في يونيو ١٩٥١م، كما لم تبدأ في تطبيقها على مستعمراتها إلا في يناير ١٩٥٤. وفي ١٠ ديسمبر ١٩٤٨م صدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وقرر في مادته العشرين أن لكل إنسان الحق في حرية التجمع السلمي، كما أنه ليس لأحد الحق في إجبار أي فرد على الإنضمام

P.68.

(٢) Brun, Charles Francois, Vers l' Unite Syndicale au Sénégal Afrique Documents, N° 75, 1964, (٢) Dakar P. P. 195 – 243 P. 196

(٣) David. W. M. E. S.: American, Anthropologist New Series, The use of Atransitional cloth. Money Maker, Among the Senegal , vol. 57, No. 9 (oct.) American 1999.

(٤) Le Le Rôle du Syndicalisme Africain dans l' Evolution d' Afrique Noise Francaise di Rezean, Michel diplôme d' etudes superieures de science politique université de Paris, 1962 P. 6

(٥) أحداث سنة ١٩٣٦ في أوروبا يقصد بها إحتلال هتلر لمنطقة الراين والفوضى والإنشقاقات السياسية الخطيرة التي سادت فرنسا حينذاك والتي أدت إلى تغيير حكومة بيرسارد وتشكيل ليون بلوم، رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي لحكومة الجبهة الشعبية. أنظر:

مذكرات ونستون تشرشل ج ١

ترجمة محمد شلبي - الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ ص من: ١٠٩ – ١١١.

November, op. cit, P. 70.

Brun, op. cit, P. 196.

(٦)

(٧)

لمجموعة معينة، وفي سنة ١٩٥٠م كونت منظمة العمل الدولية^(١) لجنة التحقيق والمصالحة، لتقوم بالتأكد من تطبيق القوانين الدولية الخاصة بحرية النقابات^(٢).

وإذا كان النشاط النقابي في غرب أفريقيا قد تأثر بالسياسة الفرنسية وبالقرارات الدولية متأثراً كبيراً، فلا يحق لنا أن نغفل العوامل المحلية التي ساعدت مع غيرها على ميلاد هذه الظاهرة، ونستطيع حصر أهم العوامل في إنخفاض المستوى الاقتصادي في الريف، وميلاد التصنيع الخفيف في المدن وآثار الحرب العالمية الثانية.

ويتعلق العامل الأول بظروف الإقتصاد الزراعي الذي كان سائداً في أثناء وجود الإستعمار الفرنسي. فالوسائل الزراعية البدائية وإحلال المحصول الواحد (الفول السوداني) محل المحاصيل المتنوعة وبالذات المحاصيل الإستهلاكية والعمل الإجباري الذي يؤدي بدون مقابل في حقول كبار الشخصيات السياسية والدينية، كل هذه الظروف السيئة أدت إلى ظروف إجتماعية^(٣) ومادية أفضل.

وقد صحت هذه الظاهرة تمزق العلاقات العائلية والقبلية والحرفية التقليدية.

تصدع التركيب الإجتماعي التقليدي لهذه الشعوب:

ولاشك أن الإنسان الأفريقي الذي تعود منذ القدم على الحياة الجماعية ليعاني من الوحدة والغربة من المدن، وطبيعي أن يسعى إلى تكوين أطر جديدة تجمعهم مع الآخرين.

وهكذا عندما بدأ النشاط النقابي^(٤) يتسلل إلى غرب أفريقيا، كانت البيئة الإجتماعية في المدن مهيأة لإستقباله، بإعتباره أحد هذه الأطر الإجتماعية الحديثة المبنية على العمل.

ومن جهة أخرى فإن إزدياد التعليم في المستعمرات الأفريقية وميلاد بعض الصناعات الخفيفة قد خلقا طبقات جديدة ألا وهي طبقة العمال وطبقة المهنيين والمتقنين، أمثال المدرسين والمهندسين والأطباء. فإذا أخذنا في الإعتبار الآثار الفكرية والسياسية للحرب العالمية الثانية على المستعمرات الأفريقية لوجدنا أنه من الطبيعي أن نشعر هذه الفئات الجديدة الواعية بالحاجة إلى الإتحاد والتعاون^(٥):

(١)، (٦) التوصية رقم ٧٠ الصادرة في ١٢ مايو سنة ١٩٤٤.

(٢) Martin, Klein: Islam and inperiatism in Senegal – Slanford 1988 P. 92.

(٣) Euncie A. Charles: The international journal of African, historical studies. Shakh Amadu Ba and Jihan in Senegal vol. 8, No. 3 Boston 1975.

(٤) Abdollaye wede: Art and life in Africa <http://www.viowa-edu/africaart/10csenegal/html>.

أولاً: للمطالبة بتحسين أحوالهم الإجتماعية والمادية وبالمساواة مع زملائهم في الدولة الأم.

ثانياً: للكفاح ضد الإستعمار الفرنسي جنباً إلى جنب مع التنظيمات السياسية.

وتختلف نقابات العمال عن المجموعات الحرفية التقليدية في عدة نقاط نورد أهمها فيما

يلي:

أولاً: تعتمد النقابات على أسلوب جديد في الدفاع عن حقوقها ومصالحها، ألا وهو أسلوب العنف المتمثل في حق الإضراب.

ثانياً: تعترف النقابات بحرية الانضمام إليها، بينما الانضمام إلى المجموعات الحرفية التقليدية كان إجبارياً وخاضعاً للتقاليد الإجتماعية ولنظام الفئات الإجتماعية المبنية على نوع الحرفة.

ثالثاً: تدعو النقابات إلى إتحاد وتعاون جميع العمال ونبذ التعصب القبلي والإقليمي بينما مجاميع العمل التقليدية كانت مرتبطة بالتقسيمات القبلية والعرقية.

ويتضح من هذا العرض أن النقابات العمالية هي خطوة تقدمية تساعد المجتمعات الأفريقية على التطور وتساهم في صحة الوعي الإجتماعي والسياسي في الدول النامية.

والحركة النقابية السنغالية تنقسم في تطورها إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

من سنة ١٩٤٥ إلى ١٩٥٥م:

كانت الإتحادات النقابية في غرب أفريقيا جزءاً من الإتحادات النقابية الفرنسية وقد ورثت عنها ضمن ما ورثت الاختلافات العقائدية والدينية، ففي سنة ١٩٤٩م بدأ إنتشار النقابات العمالية في السنغال يأخذ شكلاً مقلداً لتلك النقابات الموجودة في فرنسا.

المرحلة الثانية:

من سنة ١٩٥٥ إلى سنة ١٩٥٧م:

في هذه المرحلة أخذت النقابات الأفريقية تتحرك وفق أحداث جديدة، ألا وهي الانفصال عن الإتحادات النقابية الفرنسية، ومحاولة الإتحاد فيما بينها^(١) وقد إتضح الشعور الوطني من النقابات^(٢) على هذا النحو وفي هذه الفترة بالذات نتيجة للتغيرات الدولية^(٣) التي تمخضت عنها الحرب العالمية الثانية وحرب التحرير التي عمت العالم والتي كان من أكثرها تأثيراً على المستعمرات الأفريقية، حرب الهند الصينية وحروب التحرير في شمال أفريقيا.

وهناك عامل محلي هام ساعد أيضاً على دفع النقابات إلى الميدان السياسي ألا وهو الخلافات المستمرة التي كانت تمزق الحزبين الرئيسيين في السنغال في ذلك الوقت وهما حزب SFIO بزعامة لابين جي وحزب BOS بزعامة الرئيس ليوبولد سنجور فأصبحت بذلك النقابات هي التنظيم الهام الباقي الذي يضم أكثر العناصر ديناميكية وتقدمية وجرأة.

المرحلة الثالثة:

من سنة ١٩٥٧م حتى أواخر الستينات:

حيث واجهت النقابات الأفريقية المتحدة مشكلتين جديدتين... الأولى هي إعادة تنظيمها بشكل تتخلى فيه عن وحدتها الإقليمية وتعمل في إطار وطن محدود.. والثانية هي تنظيم العلاقة بين النقابات والمؤسسات السياسية الوطنية ومن أهمها الأحزاب الحاكمة.^٤

نقابات أصحاب الأعمال:

ولكي تستكمل الباحثة صورة النشاط النقابي في السنغال فإنه يجب الإشارة إلى نقابات أصحاب الأعمال التي تتمتع بأهمية خاصة نظراً لقوة تنظيمها وسيطرتها على الحياة الاقتصادية

(١) في سنة ١٩٥٥ كانت غرب أفريقيا الفرنسية تضم ٣٧٧.٥٠٠ عاملاً (عدد السكان القادرين على العمل وقتها ٤.٦٦٦.٠٠٠ نسمة) منهم ٦٨.٥٥٠ فقط منضمون إلى النقابات.
أنظر:

Gonidec, Pierre, Francois, Evolution du syndicalisme en Afrique noire, penant, A vril 1962, La documentation francaise, Paris, P. P.: 165 – 181.

(٢) James F. Searing: The international journal of African, historical studies power and dependen in the Senegal states 1700 – 1850, vol. 21, No. 3 Boston 1988.

(٣) Maranz, Dave: Peace in every thing sic 1993 <http://www.lauwnbeacon.com>.

(٤) Loice, Colninka Jor and it's relations Sant Louis in Senegal 1763 – 1861 – P. H. D. Colombia University 1972 P. P.: 75 – 86.

في البلاد.

وقد تكون أول إتحاد لأصحاب الأعمال في السنغال سنة ١٩٣٧م^(١) في أثناء حكم الجبهة الشعبية الاشتراكية في فرنسا، وسمى بالإتحاد العام للنقابات الصناعية والتجارية والحرفية.

وفي سنة ١٩٤٣م تكونت نقابة تجار التصدير والإستيراد لغرب أفريقيا، كما نشأت نقابة لأصحاب الأعمال الأوربيين في غرب أفريقيا ولكن هذه النقابات لم تتحد إلا بعد الحرب فتجمعت في الإتحاد النقابي لشركات وصناعات غرب أفريقيا الذي ضم تسع مجالات للأنشطة المختلفة^(٢).

نقابات أصحاب الأعمال بثقلها الإقتصادي وحسن تنظيمها قوة من قوى الضغط الهامة، فمن خلال الغرفة التجارية تستطيع أن تؤثر على السياسة الحكومية لا سيما وأن عدداً من قيادات هذه النقابات وبالذات أصحاب الشركات الكبيرة منهم يتولون مناصب إدارية في الوزارات والمؤسسات الحكومية.

وتعتبر نقابات أصحاب الأعمال أقوى وأكثر تنظيماً من النقابات العمالية وتنعكس هذه الحقيقة على المفاوضات التي تجري بين النقابات العمالية وإدارة المصانع، والشركات فبدا الجانب العمالي ضعيفاً ومضطرباً في كثير من الأحيان إلى تقديم التنازلات وقد يكون عدم التكافؤ الواضح بين الطرفين دافعاً من الدوافع التي تجعل النقابات العمالية تسعى إلى الإضرابات السياسية لا سيما التقدمية منها لتأييدها وتساندها في كفاحها لنيل حقوقها^(٣).

ويزيد من ضعف النقابات العمالية التواضع النسبي بالقياس إلى نقابات أصحاب الأعمال للمبالغ التي تصل إليها للتمويل^(٤).

ومن يتتبع الحياة الاقتصادية والاجتماعية للعمال في السنغال في الفترة ما بين ١٩٦٨م، ١٩٧٢ سيجد أن هناك نوعاً من التذمر ونقص في الأجور وإرتفاع في الأسعار مما أدى إلى نشوب بعض الأزمات الناتجة عن:

John, Glover: The international journal of African, historical studies, murid, marabouts and Senegal, (١) aristacrals in colonial Senegal vol 33, No. 2 – Boston 2000.

O' Brien, Rita Cruise white society in black Africa, the French of senglal, Faber and Faber limited, (٢) London 1972, P. 205.

Sy, cheikh Tidiane, Iraditionalisme mouride et undermisation co – op erative, diplome de hautes (٣) etudes economiques et sociales, ecole pratique des Hautes etudes, Sorbonne,

David, Wpadinson: Abdul Bokar Kan The history of Fatatoro 1853 – 1991 – P. H. D. – Colombia (٤) University P. P.: 65 – 78.

أولاً: الأجور مجمدة منذ سنة ١٩٦١م.

ثانياً: زيادة الأسعار للسلع الأساسية.

ثالثاً: وجود مجموعة كبيرة من الفنيين الفرنسيين في البلاد وإستحواذهم على إمتيازات كثيرة على حساب العمال السنغاليين.

رابعاً: البطالة: تراكمت كل هذه الأسباب وزادها حدة القلق الذي إنتاب النقابيين بسبب إعتقادهم أن قياداتهم قد أستقطبت وأصبحت أداة للحكومة في الضغط على العمال عشية إنفجار إضرابات الطلبة التي بدأت في ٢٧ مايو سنة ١٩٦٨م، ويبدو أن ضغط شباب العمال من القاعدة الذين وجدوا في هذه الإضرابات^(١) فرصة لعرض مطالبهم بشيء من القوة مما إضطر الحكومة إلى التفاوض مع نقابات العمال.

وتركزت مطالب العمال في الآتي:

أولاً: زيادة الأجور بنسبة ٢٣% حيث أن الأجور مجمدة منذ ١٩٦١م والأسعار في زيادة مستمرة مما يخفض القوة الشرائية للفرد بنسبة ٩٢.٤%.

ثانياً: إقامة نظام للتأمينات الاجتماعية للعاملين.

ثالثاً: إعادة النظر في نظام القرض للخدمات العائلية وإصابات العمل.

رابعاً: إعادة النظر في سياسة المعاشات وتنظيم مساكن محدودي الدخل ونظام محاكم العمل.

خامساً: التأمين التدريجي للصناعات والتأمين الفوري لشركة المياه والكهرباء.

ولكن نتائج المباحثات فقد جاءت مخيبة للآمال حيث لم يحصل العمال إلا على زيادة في الأجور قدرها ١٥% وعلى وعد بتخفيض سعر السلع الأساسية كالأرز، كما قررت الحكومة تخفيض مكافآت نواب الجمعية الوطنية إلى النصف^(٢). وترجع ضالة المكاسب العمالية رغم خطورة الأحداث وقلق الحكومة إلى ضعف نقابات العاملين بالنسبة لنقابات رجال الأعمال.

(١) David, Wpadinson: Abdul Bokar Kan the history of Futatoro 1853 – 1991 – P. H. D. – Colombia

University P. P.: 65 – 78.

(٢) Zuccarelli, F., un parti politique africain: L' union progressiste sénégalaise, Ibrairie Générale de droit et de Jurisprudence, paris 1970 P. 108.

وفي أوائل عام ١٩٦٩م فوجئ الرأي العام ببعض القرارات المجحفة للطبقات الفقيرة من الشعب والتي أدت إلى تخفيض الدخل الحقيقي للفرد، فقد إرتفعت أسعار السلع الأساسية كالأرز على خلاف ما وعدت به الحكومة وزادت الضرائب على الدخل وأجبر العاملين على شراء سندات حكومية وقد أدى ذلك إلى وقوع إضراب كبير في فبراير ١٩٦٩م.^(١)

والسؤال الآن هو لماذا جمدت الحكومة السنغالية الأجور منذ ١٩٦١م حتى ١٩٦٨م.. ولماذا جاءت زيادة الأجور نتيجة للتزمير بنسبة بسيطة ثم طمست هذه الزيادة برفع أسعار السلع الأساسية.

تبرر حكومة السنغال موقفها بأن الإقتصاد السنغالي المرهق لا يحتمل أية زيادات في الأجور.. كما أن مستوى معيشة العمال أعلى بكثير من مستوى معيشة الفلاحين الذين يمثلون الغالبية العظمى من شعب السنغال والذين هم أولى بالرعاية^(٢).

إلا أن هناك رأياً آخر مخالفاً لرأي الحكومة وناقداً لها. ويرى هذا الرأي أن الحكومة لم تحرص على تجسيد الأجور إلا لطمأنة المستثمرين الأجانب فزيادة الأجور وإرساء نظام التأمينات الإجتماعية والصحية للعمال كل هذه تعتبر عقبات في سبيل المستثمر حيث أنها ترفع من تكلفة الأيدي العاملة^(٣).

وقد رأينا سلفاً أن الغالبية العظمى من المستثمرين الأجانب في السنغال من الفرنسيين مما دفع قائل هذا الرأي إلى إتهام الحكومة السنغالية والرئيس سنجور برعاية الطبقات الوطنية الثرية ومصالح المستثمرين الأجانب الفرنسيين وذلك على حساب الطبقات الكادحة السنغالية وتميل الباحثة إلى الأخذ بالرأي الثاني لأنه يتمشى بدرجة أكبر مع سياسة الحكومة.

فمن المعروف أن إنخفاض أجور الأيدي العاملة يعد عنصراً من عناصر جذب المشاريع الإستثمارية الأجنبية إلى داخل البلاد... فإذا أخذنا في الحسبان سياسة الحزب الحاكم التي تسعى إلى إجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية معتقدة أنها أسلم وسيلة للتنمية وزيادة الإنتاج القومي يصبح من المنطقي أن تهيب الجو المناسب لهذه الإستثمارات ومنه العمل على أن تبقى الأيدي العاملة قليلة التكلفة.. ولكن يلاحظ هنا أن تبرير الحكومة لتجميد الأجور يضعف الإقتصاد القومي بسبب غير مقنع، فكثيراً ما كانت تلك الحكومة لا تضمن على الموالين لها بمبالغ

(١) Lucy – Behrmari African historical studies the politica Sinifricance of the Senegal adherence to muslim. Brotherhoods in the mineteenth century vol. 1, No. 1 Boston 1968.

(٢) Jeune Afrique, Dakar trios jours d' orage, du 10 au 23 juin 1968, P. P.: 22 – 25.

(٣) Donsoko, Amath, senegal: problems and difficulties, world Marxist review, N° 12 December 1973, progress books, Canada P. P.: 96 – 100.

ضخمة.. وكان الأولى بها أن تركز لرفع مستوى الأفراد الكادحين من الطبقة العاملة.

وهكذا يمكننا في ختام هذا الفصل أن نوجز الآتي:

أولاً: إن المجتمع السنغالي سواء في خضوعه للإستعمار أو تمتعه بالإستقلال لم يستطع أن يذيب المجتمع كله في صورة شعب واحد وإنما ظلت الفئات والعناصر والطائفية مهيمنة على معالم هذا المجتمع ولم تستطع الحكومة حتى بعد أن وافتها الفرصة لتشريعات مستقلة يمكن أن تصدرها ظلت حريصة على بقاء هذا المجتمع في صورة فئات وطوائف ولم تحاول أن تدمجه في مجتمع واحد.

ثانياً: إن الدخول بين فئات هذا المجتمع ظلت متفاوتة فأدنى مستوى هو دخل الفلاحين الذين يشكلون الأغلبية العظمى من هذا المجتمع ثم تلتهم طبقة العمال، أما المهنيين من المثقفين وأصحاب الوظائف الإدارية فقد كانوا في مستوى معيشة أعلى يفوقهم في ذلك رؤساء القبائل والطرق الصوفية ورجال الدين ولكن كان دوماً على قمة أصحاب الدخل رجال الحزب وأنصار السلطة^(١).

ثالثاً: كان يسيطر على الإقتصاد السنغالي صورة التخلف الإقتصادي بشكل واضح... فهي بلد المحصول الواحد وهو الفول السوداني والذي كان يورد بشكل أساسي إلى فرنسا والتي كانت تتحكم في أسعاره وكانت الحكومة تخشى من أي رد فعل من جانب فرنسا مما يعني إصابة السنغال بنوع من الجمود في إقتصاده.

رابعاً: لم يكن للصناعة مشاركة حقيقية في الإقتصاد السنغالي بل كانت الزراعة هي عماد هذا الإقتصاد.

خامساً: رغم إستقلال السنغال إلا أنها كانت تعتمد إعتماً يكاد يكون كلياً على المعونات الفرنسية.

سادساً: حاولت دولة السنغال الخروج من بعض المآزق الإقتصادية التي تعرضت لها بتحقيق بعض الدمج الإقتصادي مع بعض الدول المحيطة بها كما حدث مع جمهورية مالي ومع ملجاش ولكن ثبت عدم جدوى هذه السياسة فإنفصلت بعيداً عنها.

سابعاً: رغم المعونات الفنية والمالية من جانب فرنسا لدولة السنغال إلا أن الفائدة كانت تعود على فرنسا أكثر مما تعود على السنغال ومن هنا فإن ذلك لم يدفع بالإقتصاد السنغالي للأمام بل ظل جامداً في مكانه.

ثامناً: رغم نمو الحركة العمالية وتشكيل مجموعة من النقابات العمالية إلا أنها ظلت ضعيفة

African studies series 23 West African States (Failure and Promise P. P.: 173 – 179)
A study in comparative politics Edited by John Dunn Cambridge U. P. 1978.

(١)

وفاقتها نفوذاً إتحادات ونقابات أصحاب الأعمال.

تاسعاً: كانت المصالح الإقتصادية الفرنسية عاملاً معوقاً لتطور المصالح الإقتصادية لدولة السنغال المستقلة.

ولعل ذلك يقتضي منا البحث في جذور تلك المصالح... فمنذ أن إستقر الفرنسيون في سان لويس وجوريه في أوائل القرن الـ ١٧، وكانوا يركزون حتى سنة ١٨١٦م في تجارة الرقيق ثم بدأ المطاط يجذب تدريجياً إهتمام الفرنسيين حتى صار في حوالي سنة ١٨٦٠م السلعة الأولى التي تعتمد عليها تجارة الفرنسيين في السنغال... وصحيح أن تجارة التصدير والإستيراد . تصدير المطاط وإستيراد كل ما يحتاجه السنغال من سلع إستهلاكية . كان مملوكاً لتسع عائلات فرنسية أغلبها من بوردو، إلا أن تجار التجزئة كان أغلبهم من السنغاليين والمخلفين كما أن تجارة الفول السوداني التي بدأت تنتشر داخل البلاد بعد إفتتاح الخط الحديدي بين سان لويس وداكار وضم إقليم الكايور كانت حكرًا على التجار السنغاليين فقد كان الإستعمار الفرنسي في ذلك الوقت مشغولاً بإحتلال مزيد من الأراضي الأفريقية، ورأى فيدهرب أنه لا بأس من ترك جزء من النشاط التجاري لطبقة التجار السنغاليين أو المخلفين لتتفرغ السلطات الفرنسية للنشاط العسكري^(١).

ولكن هذا الموقف قد تغير بعد سنة ١٩٠٠م حين إنتهى الفرنسيون من تكوين مستعمراتهم في أفريقيا السوداء وإستتب لهم الأمر هناك فأخذت السلطات الفرنسية تعوق سبيل

(١) Amin, Samir, La bourgeoisie d' Affaires sénégalaise, L, Homme et la société, N° 12 avril 1969 Anthopos Paris P. P: 29 – 43.

التجار السنغاليين حتى إستطاعت في نهاية الأمر أن تحكم سيطرتها على النشاط الإقتصادي والتجاري في البلاد. وكانت فرنسا في ذاك الوقت تبني علاقاتها بمستعمراتها على ثلاثة مبادئ تحافظ على تبعية تلك المستعمرات لها إقتصادياً وسياسياً لأمد طويل^(١):

أولاً: على المستعمرات أن تستورد جميع إحتياجاتها من فرنسا.

ثانياً: المحاصيل والمواد الأولية للمستعمرات تصدر إلى فرنسا.

ثالثاً: لا يحق للمستعمرات أن تنشئ صناعات وطنية.

وقد طبقت فرنسا هذه المبادئ عن طريق شركاتها التجارية الضخمة وأغلبها من بوردو ومارسيليا، وعن طريق سيطرتها على النشاط المالي والصناعي والزراعي.

فبالنسبة للنشاط التجاري ضغطت الشركات الفرنسية على التجار السنغاليين حتى أوشكوا على الإفلاس فعرضت عليهم أن يعملوا لديها كموظفين أو عمال ولكنهم رفضوا مدركين أن طريق التجارة والإقتصاد قد أغلق في وجه الوطنيين من أهل البلاد الذين بدأوا يواجهون أبناءهم إلى الوظائف الحكومية^(٢).

وقد أخذ الفرنسيون يستعينون في هذا المجال بالعمال والموظفين اللبنانيين أولاً لأنهم أقل أجراً من السنغاليين، وثانياً ليكونوا منهم طبقة تنافس وتعرقل نمو طبقة برجوازية وطنية يمكن أن يكون لها تطلعات سياسية تضايق المستعمر.

ومن الجدير بالذكر تزايد عدد اللبنانيين من أقل من ١٠٠ فرد عام ١٩٠٠م إلى حوالي أربعة آلاف فرد في بداية الحرب العالمية الثانية وظلت هجرة اللبنانيين تزداد حتى وصلت سنة ١٩٥٣م إلى أربعة آلاف ثم أصبحت أكثر من سبعة آلاف مع الستينيات^(٣).

وقد أعطى الرئيس سنجور مثلاً على مدى الاستغلال الفرنسي لموارد السنغال قبل الإستقلال فقال في كلمة له في الجمعية الوطنية الفرنسية سنة ١٩٥٣م أن الفرنسيين يشترون من السنغال الفول السوداني بسعر أعلى من سعر السوق العالمية بـ ١٥% ولكن السنغال يشتري بضاعة من فرنسا بأسعار أعلى بكثير من الأسعار العالمية فيشتري الأقمشة الفرنسية بزيادة

(١) Courtoi, Guy, Le Rôle des capitaux privés etrangers dans le developpement économique: L' exemple de l' industrie du sénégál, Thèse de doctrat et sciences économiques, université de Paris I 1971

P. 38.

Amin, op. cit P. 33.

Ibid P. 35.

(٢)

(٣)

قدرها ٣٠% والآلات بزيادة ٦٠% و القمح بزيادة ٨٠% والسكر بزيادة ١٠٠%، وفي كثير من الأحيان تشتري فرنسا المواد الزراعية من مستعمراتها مثل الكاكاو والبن والقطن بأسعار السوق العالمية ولا تزيد عليها^(١).

هكذا كان نحو حال الإقتصاد السنغالي قبل الإستقلال فهل تغير الوضع سنة ١٩٦٠م وإذا كان الموقف الإقتصادي في السنغال قد تطور إلى الأفضل فبأي قدر تغير؟

كان الإقتصاد السنغالي بعد الإستقلال ما يزال تابعاً لفرنسا فالنسبة للتجارة الخارجية، ظلت فرنسا المشتري الأول لمنتجات السنغال بنسبة ٨٦% من قيمة صادراته، والبائع الأول لما يحتاجه من سلع مصنعة بنسبة ٦٥% من قيمة وارداته. وبالنسبة للتجارة الداخلية، لا يزال الأجنب وبصفة خاصة الفرنسيون مهيمنين عليها وذلك عن طريق الشركات الإحتكارية الأجنبية أو العالمية ذات الإمكانيات الضخمة والميزانيات التي تفوق أحياناً ميزانية السنغال نفسه. لذلك تضطر الحكومة السنغالية في أغلب الأحيان إلى الخضوع إلى مطالب تلك الشركات التي أصبحت بثقلها الإقتصادي مركزاً من مراكز القوى التي تؤثر على سياسة البلاد^(٢).

وجدير بالذكر أن الغرفة التجارية التي كان لها دور هام إلى جانب الحكومة التي كان يرأسها حتى سنة ١٩٦٧ هنري شارل جالنكا "Hani Charl Jalnke" وهو رجل أعمال فرنسي من أكثر الشخصيات تأثيراً في السنغال، كما أن الفرنسيين كانوا ممثلين في اللجان التي تعد خطط التنمية الإقتصادية وفي المجلس الإقتصادي والإجتماعي الذي يمثل أهم الأنشطة في هذين المجالين. أما التجارة الأقل أهمية فقد كان يسيطر عليها اللبنانيون والسوريون وبذلك لم يبق لأهل البلاد سوى تجارة التجزئة ضئيلة الأهمية.

أما الأوضاع المالية فقد ظلت في أيدي فرنسا حتى بعد حصول السنغال على إستقلالها وكانت حصيلة حركة رؤوس الأموال لصالح فرنسا أولاً وأخيراً.

وبالنسبة للصناعة فقد كانت فرنسا إلى عهد بعيد بعد الإستقلال صاحبة النصيب الأكبر في رؤوس الأموال المستثمرة في هذا المجال فقد كانت فرنسا حتى منتصف السبعينيات تمتلك ٣٤٦ شركة صناعية من مجموع ٣٨٤ شركة موجودة في السنغال أي بنسبة ٩٠%^(٣).

عاشراً: كان الرئيس سنجور معارضاً لسياسة التأمين لأنها تؤدي إلى هروب رؤوس الأموال

Berger, Levrault, La Republique du Senegal Paris 1968 P. 12.

Ibid p. 13.

.Diop, Majhmout, Histoire des classes sociales dans l' Afrique de l' quest II, Le Sénégal, Paris 1976 P. 143

(١)

(٢)

(٣)

والكوادر الفنية التي تحتاجها البلاد ويعتقد أن مجرد تشغيل هذه الأموال للعمالة السنغالية وإعادة استثمار جزء من إرتباطها في البلاد ودفع الضرائب المطلوبة للدولة والخضوع للقوانين الإجتماعية للعمل لكفيل بتأميم هذه الأموال الأجنبية تدريجياً.

حادي عشر: رغم كل الصعوبات التي واجهت السنغال بعد الحصول على الإستقلال وبالذات التحديات من أجل رفع مستوى المعيشة ومواجهة مشكلة البطالة ورفع مستوى التعليم والإهتمام بإعادة بناء مرافق الدولة والبنية التحتية ومحاولة تنويع الإنتاج الزراعي حتى لا تظل الدولة أسيرة محصول واحد ورغم إجتذاب المعونة الفنية والمالية من الدول الأجنبية وخلق جو من المنافسة الحرة بين المشاريع الإستثمارية المستحدثة بقصد دفع عجلة التقدم الإقتصادي إلى الأمام... رغم كل ذلك إلا أنه أعتضت سبيل السنغال في إنجاز سياسة الإنفتاح الإقتصادي عدة عقبات **نوجز أهمها فيما يلي:**

١. سوء حالة المواصلات البرية والنهرية.

٢. إرتفاع تكاليف الإنتاج رغم إنخفاض الأجور وذلك نتيجة لضعف إنتاجية الفرد العامل.

٣. قلة المحاصيل الصناعية والمواد المعدنية والكيماوية، مما يجعل المشروع الصناعي مضطراً إلى الإستعانة بالخارج مما يقلل من إستقلالية المشروع كما أنه يزيد من تكلفة الإنتاج ويقلل من القدرة على المنافسة.^(١)

٤. ضيق السوق المتاحة لتوزيع السلع وذلك بسبب قلة عدد السكان وإنخفاض مستواهم المعيشي.

٥. عدم الإستقرار السياسي والإقتصادي والإجتماعي... وبالرغم من أن السنغال كانت تعتبر أكثر دول غرب أفريقيا الناطقة بالفرنسية إستمتاعاً بالإستقرار في الحكم... إلا أن رؤوس الأموال كانت لا تجد فيها مزايا للشروط الواجب توافرها في جذب رؤوس الأموال وخصوصاً أن البنية التحتية التي هي أساس البنين الإقتصادي كانت تفقر إليها السنغال.

ثاني عشر: وهي الملاحظة الأخيرة... أن هناك جهوداً بذلت من أجل الخروج من دائرة التخلف ولكن لم يسمح لها أن تنمو لأن الدولة المستعمرة ربطت عجلة أي تطور إقتصادي في السنغال بأن تسير في فلكها السياسي وهذا لم يكن متاحاً بشكل أفضل خاصة بعد الإستقلال.

Rofl, Jensen: The journal of economic, history the Senegal social formation of west Africa vol. 42, (٢) No.1 1982.

وفي ضوء ما سبق من عرض للمجتمع السنغالي والتطور الإقتصادي الذي مر به سواء قبل الإستقلال أو بعده... وفي ضوء سياسة الحزب الحاكم وأيديولوجيته المهيمنة عليه سوف نتضح لنا أبعاد العلاقات مع دول الجوار ومع العالم الخارجي.

الفصل الثالث

العلاقات الإجتماعية والثقافية بين المغرب والسنغال

١٩٤٥ - ١٩٨٠ م

المبحث الأول

رؤية العربي للأفريقي والعكس وأثر ذلك على العلاقات الثقافية بين البلدين

لا يستطيع أي باحث مدقق أن ينكر حقيقة أن صورة الأفريقي لدى العربي هي صورة سلبية وأحياناً ما تتطوي على نظرة إستعلائية لكن الغريب في الأمر أن صورة الأوربي لدى العربي صورة إيجابية، بل وأحياناً ما تتطوي على إحساس بالدونية تجاه الأوربي ومحاولة تلمس السبل لتقليده بل التهافت . من قبل البعض للذوبان في إطار منظومة القيم الغربية، وقريبة من هذا الإدراك صورة العربي لدى الأفريقي ذلك أنها هي الأخرى صورة سلبية، فالعربي تاجر رقيق مرة وتاجر جشع وإنتهازي مرة أخرى ولديه نزعات توسعية في أفريقيا مرة ثالثة.

وأحياناً ما تفرز هذه الصورة رغبة أفريقية إستيعادية، تهدف إلى إستبعاد العرب من أفريقيا تارة أو عدم الإعتراف بهويتهم العربية الإسلامية على قدم المساواة مع الفرنكوفونية والأنجلوفونية تارة أخرى. أو تجاهل وجودهم في أفريقيا كلها تارة ثالثة . على نحو ما تكشف عنه معظم دراسات الكتاب الأفريقيين . أو العمل على تذويب هويتهم في إطار الهوية الأفريقية تارة رابعة.

ومن الغريب أيضاً أن صورة الأوربي لدى الأفريقي هي في مجملها صورة إيجابية فلقد إعترف الأفريقي بالوجود الأوربي الإستيطاني في أفريقيا ومن ثم التسليم بقبول اللغات الأوربية كلغات رسمية للدول الأفريقية بشكل باتت معه هذه اللغات تشكل هويات لهذه الدول فهذه فرنكوفونية وتلك أنجلوفونية... وكل هذه الصور الإيجابية تتشكل تجاه الأوربي رغم ممارساته العنصرية والإستعمارية في أفريقيا ورغم دوره التاريخي في تجارة الرقيق البشعة في القارة الأفريقية رغم إستمراره في نهب ثروات القارة وإشعال الحروب الأهلية فيها^(١).

ومن المفارقات الغريبة أن هذه الصورة السلبية من كل طرف (عربي . أفريقي) تجاه

(١) عبد الملك عودة وآخرون: العرب وأفريقيا . بيروت . دراسات الوحدة العربية ١٩٨٤ . وأنظر أيضاً: عز الدين عمر موسى: الإسلام وأفريقيا . ص ٦٧ . ١٩٧٣ .

الآخر مازالت راسخة في الذهن العربي العربي والأفريقي^(١) في الوقت الراهن رغم:
وجود الذات العربي الأفريقي المشترك:

فقد تلاحقت الثقافة العربية الإسلامية تاريخياً مع الثقافات الأفريقية سلمياً وبالقدر الذي أثرت به الثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا فإنها تأثرت، بل أحياناً أستوعبت بالثقافات الأفريقية^(٢).

أ. خضوع كلا الطرفين للإستعمار الأوربي، وفرضها نضالاً مشتركاً ضد هذا الإستعمار،
بل ومساعدة كل طرف للآخر دبلوماسياً وعسكرياً لإنتزاع حقه في تقرير المصير والإستقلال.

ج. إستمرار خضوع كلا الطرفين للتبعية الإقتصادية للغرب وتعمق مضامين هذه التبعية.
وهو الأمر الذي كان يفرض بالضرورة التوجه نحو تعزيز التعاون بينهما لخدمة قضاياهما المشتركة.^(٣)

د. لازال الأفريقي والعربي يتعرض كل منهما للضغوط الغربية ولعل أهمها ما يرتبط بها من
عملية التذويب الثقافي وما قد يفرزه ذلك من طمس الهويات الحضارية والأفريقية لصالح الحضارة الغربية المادية المهيمنة على نحو يؤدي إلى تطويع الطابع القومي العربي والأفريقي لخدمة الأهداف الإستعمارية الغربية.

وتظل مسألة من هو الأفريقي الذي يتصوره العربي؟ هل هو كل ما يعيش في إطار دولة تقع على أرض القارة الأفريقية، لو كان الأمر كذلك لتضاءل حجم المشكلة، إذ بهذا المعنى يصبح كل عربي يعيش على أرض القارة الأفريقية أفريقياً شأنه في ذلك شأن أي أوربي إستوطن القارة الأفريقية وحمل جنسية دولة من دولها غير أن التصور العربي لمن هو الإفريقي يختلف عن ذلك كثيراً، إذ يلاحظ أن معظم الصور الذهنية العربية عن الأفريقي . وإن لم تكن كلها . ترتبط بالإنسان الأسود وبمعنى آخر فهي تستبعد العرب في الشمال الأفريقي من كونهم أفارقة بحكم إنتماء هؤلاء إلى الهوية العربية الإسلامية... بمعنى آخر إن هذه الصورة الذهنية تربط

(٢) ماهر شعبان: مصر والحركة الوطنية في مراكش من الحماية حتى الإستقلال ١٩١٢ . ١٩٥٦ القاهرة ١٩٨٧م . رسالة ماجستير غير منشورة ص ص: ٦٣ . ٦٥ .

(٣) Penda Mbow, Les relation Afro-Arabe, Essaid d'Analyse des perceptions dé L'un sur L'autre (٣) Attraves L'Histoire, en Eglal Raufat et Relation A fro-Araves, (Le Caire, centre de Recherches et d' Etudes politiques, Univercite du Caire 1994 P.P.: 34 – 42.

(٤) هالة خير الدقاق: دور قبائل المغربيين الأوسط والأقصى في حركة التجارة أيام القرن الثالث الهجري والتاسع الهجري . رسالة ماجستير غير منشورة . القاهرة ٢٠٠٢ ص ص: ١١٠ . ١١٤ .

العربي بهوية حضارية، وتربط الأفريقي غالباً بهوية عنصرية لونية، وأحياناً بهوية جغرافية (أفريقيا جنوب الصحراء أو أفريقيا غير العربية)^(١)، وهى أن يربطه بهوية حضارية فإن ذلك الربط يتم عبر الفرنكفونية أو الأنجلوفونية على نحو ما تصنف الدول الأفريقية هوياتها، يؤكد ما سبق أن الصورة الذهنية العربية عن الأوربي الذي يحمل جنسية أفريقية لا تنصرف إلى كونه أفريقياً بشكل أو بآخر. وتلك مسألة في حاجة إلى تفسير، إذ كيف تشكلت هذه الصورة الذهنية، هل هى ترتبط بمواريث وتصورات عربية؟ أم هى نتائج تفاعلات تاريخية وكتابات غربية رسخت في الأذهان هذه الصورة؟ أم هى نتائج لعدم المعرفة؟^(٢)

ب. ومن هو العربي الذي يتصوره الأفريقي؟ يبدو أن الصورة الذهنية الراسخة لدى غالبية الأفريقيين عن العربي أنه ذلك الشخص الذي مارس تجارة الرقيق في أفريقيا، وهذه الصورة تبدو أكثر وضوحاً في كثير من مظاهر التعبير الفني والأدبي. مثلما هى موجودة في الغرب.

وهناك لمسات أخرى تصور العربي كإنتهازي وتوسعي يسعى إلى نشر ثقافته العربية الإسلامية في أفريقيا، فكيف تشكلت هذه الصورة؟ هل هى ترتبط بتصوير أفريقي بالأساس فيستبعد العرب في شمال أفريقيا من كونهم أفاقرة؟ أم هى نتاج تفاعلات تاريخية سلبية وكتابات غربية رسبت في ذهن الأفريقي هذه الصورة السلبية؟ أم هى نتائج لعدم المعرفة ونقص الاحتكاك الإنساني والفكري في الوقت الراهن...^(٣)

إن مرجع نسأولتنا السابقة يعود إلى أنه رغم التصورات السلبية أو الإستيعادية للعرب الأفارقة في شمال أفريقيا في الصورة الذهنية الأفريقية عن العربي فإنه يلاحظ في المقابل ما يلي:

١. إن الأفريقي لا يشكك في الهوية الأفريقية لشعوب موريشيوس وسيشل وجزر القمر، رغم أن غالبية هؤلاء من أصول غير أفريقية وما زالو يتحدثون بلغاتهم الآسيوية ويدينون بمعتقداتهم الأصلية...^(٤) فلماذا إذن يتم التشكيك في الهوية الأفريقية لشعوب الشمال الأفريقي؟

(١) رؤوف عباس حامد (محرر): العرب في أفريقيا. الجذور التاريخية والواقع المعاصر القاهرة. دار الثقافة العربية ١٩٨٧ ص ٢٠.

(٢) محمد صبحي قنصوه: قضية الهوية وأثرها على الإدراك الأفريقي للعالم العربي. ندوة العلاقات العربية الأفريقية. القاهرة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١٩٩٨ ص: ١٩١. ١٩٧.

Pend Mbow, po. cit P. 43.

(٣)

(١) محمد جمال الدين سيد: إنتشار الإسلام في غرب أفريقيا. رسالة ماجستير غير منشورة القاهرة ١٩٧٤ ص: ٥٣ - ٦٠.

٢. ثم أن الأفريقي لم يشكك في الهوية الأفريقية لأثيوبيا رغم أنها ظلت تصنف نفسها كدولة شرق أوسطية في نهاية الخمسينات ورغم أنها لا ترتبط عبر حدودها بدول الجوار إثنياً أو لغوياً أو دينياً، ورغم أنها ليست دولة فرنكونية أو أنجلوفونية بل الأكثر من ذلك فإن الأثيوبية ظلت تشكل رمزاً لتيارات فكرية أفريقية سياسية ودينية مستقلة وبعيدة عن الأفريقية.

٣. ثم أن الصورة الذهنية للأفريقي أصبحت تقبل الرجل الأبيض وتضفي عليه الهوية والجنسية الأفريقية بحكم إستيطانه في بعض الدول الأفريقية.

٤. والأمر الأكثر أهمية في هذا السياق يتمثل في أن الفتح العربي للشمال الأفريقي لم يتم لأرضٍ لا مالك لها، ذلك أن هذه المنطقة كانت تسكنها شعوب أفريقية ومازال أحفاد هؤلاء يشكلون الغالبية داخل شعوب دول الشمال الأفريقي وإن إستوعبوا في الثقافة العربية الإسلامية على نحو ما تكشف عنه المصادر التاريخية.

وقد كان من الطبيعي أن تتعكس هذه المدركات من لدن كل طرف تجاه الآخر وقد أثرت بلا شك هذه الرؤى على العلاقات المغربية السنغالية ليس فقط في المجال الثقافي والإجتماعي، بل أيضاً في المجال الإقتصادي.

المبحث الثاني

محددات العمل الثقافي المغربي السنغالي

تعتبر العلاقات العربية الأفريقية من القضايا ذات البعد التاريخي الواضح، فهذه العلاقات تعود بجذورها إلى المراحل المبكرة من النضج الإنساني، وحدثت هجرات بشرية أو إستمرار وسائل الإتصال العربي بين الجماعات السكانية المختلفة للقارة الأفريقية.

وقد تعددت محاور الإتصال العربي الأفريقي جغرافياً لتشمل البحر الأحمر والمحيط الهندي وشمال أفريقيا. ومن خلال هذه المحاور حدثت عملية إختلاط وإمتزاج وتأثير متبادل غير مسبوق في التاريخ الإنساني سواء من حيث المدى الذي بلغته تلك العملية أو الفترة الزمنية التي إستغرقتها.

وقد شهدت العصور الأولى من فجر التاريخ إنطلاق شعوب وبطون من قلب شبه الجزيرة العربية في إتجاهات مختلفة ومنها أفريقيا، فلم يكن البحر الأحمر يمثل عقبة أمام هذا الإتصال.

وكانت المؤثرات السابقة تتدفق من الجزء الجنوبي لجزيرة العرب أكثر من تدفقها من وسطه وذلك لوفرة سكان بلاد اليمن^(١).

وتؤكد هذه الصلات على أن تبادل التأثير الثقافي بين المجموعتين ذو جذور عميقة^(٢) كما أن هذه الصلات تدلل على مدى الإمتزاج الحضاري بين عرب آسيا ومناطق واسعة من أفريقيا.

وعلى الرغم من تقدم العلاقات العربية . الأفريقية إلا أن هذه العلاقات تطورت بشكل لافت بفضل إنتشار الإسلام والذي أدى ظهوره إلى إزدياد وشائج الإتصال العربي الأفريقي، فقد أمد الإسلام العرب بسياج ديني وفكري أسهم في إزدهار نهضة ثقافية ومنذ ظهور الرسالة المحمدية صار الإسلام الركيزة الأساسية للثقافة العربية الجديدة^(٣).

(١) فاروق أباطة: "دراسة تحليلية للهجرة اليمنية إلى شرق أفريقيا في النصف الأول من القرن العشرين": ندوة العرب في أفريقيا . الجنور التاريخية والواقع المعاصر . جامعة القاهرة ١٩٨٧ ص ٢٤٨.

(٢) Beshir, Mohamed Omer: Terramedia, themes in Afro-Arab relations I thaca press London, 1985 P. 13

(٣) محمد عبد الغني سعودي: الإتصالات العربية الأفريقية في العصور القديمة: من كتاب العلاقات العربية الأفريقية . دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة . المنظمة العربية للتربية والثقافة القاهرة ١٩٧٧

نتيجة لتلك العملية الطويلة تبلور التأثير العربي/ الإسلامي في القارة الأفريقية بشكل واضح خاصة في المناطق التي حدث فيها إستقرار عربي/ إسلامي في شرق أفريقيا وغربها إضافة إلى الشمال الذي إستوعب الحضارة العربية/ الإسلامية وتفاعل معها بصورة كلية.

وأصبح طبيعياً أن تتأثر المناطق الأفريقية التي يوجد بها العرب أو الإسلام تأثراً كبيراً بالثقافة العربية، بل أن يسعى أهلها بكل رضا وإعتزاز إلى تلك الثقافة ينهلون منها ويتفاخرون بها، إما حباً في الدين الجديد وإما إنبهاراً بما تحمله هذه الثقافة الواحدة من أفكار وقيم جديدة، وإنعكس هذا الوضع على الثقافة الأفريقية في شمال القارة وشرقها وغربها وكان من مظاهر ذلك نشأة مراكز ثقافية إسلامية يتولى أمرها أفارقة ويأتي إليها التلاميذ والدارسون طلباً للعلم والمعرفة^(١).

ومع نمو القوى الأوروبية، خاصة ومنذ أواخر القرن الـ ١٥ الميلادي بدأت حركة كشف جغرافية كبيرة شملت معظم أنحاء العالم المأهول، وكان نصيب القارة الأفريقية من تلك الحركة وآثارها غير محددة المدى، وبدأت أثر ذلك حركة إستعمار تام.

ومنذ الأيام الأولى للغزو الإستعماري الأوربي لأفريقيا^(٢) أدركت القوى الإستعمارية أن عليها أن تخوض معركة لا تقل أهمية عن معاركها الإستعمارية في القارة وهى ما يطلق عليه بعض الدارسين معركة من أجل السيطرة على قلوب وعقول الأفارقة.. أي للسيطرة على أفكارهم.

وكان تشجيع التعليم على النسق الغربي جنباً إلى جنب مع عملية التبشير المسيحي من أهم أدوات تلك المعركة التي هى في جوهرها معركة ثقافية.

ونزح الأفريقيون جنوب الصحراء بشكل عام وفي غرب أفريقيا بشكل خاص حيث تشبعت أغلبية القيادات الأفريقية بالتراث الغربي اللاتيني والأنجلوساكسوني فنشأت تلك القيادات على حب قيم ونظم ولغة الدولة الإستعمارية الأم ومن ثم ظلت ثقافة الدولة الإستعمارية السابقة هى طريق المعرفة بالنسبة للأفارقة في غربها وجنوبها وشرقها وهى المناطق التي ابتليت بألوان

ص: ١ . ٣، يوسف نقل حسن . الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية . أعمال ندوة العرب وأفريقيا . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٧ ط ٢ ص ٢٨.

(٢) تغريد السيد عنبر: العوامل الثقافية وتطور العلاقات العربية الأفريقية (د. إجلال رأفت محرر) العلاقات العربية الأفريقية

مركز البحوث والدراسات السياسية . كلية الإقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة ١٩٩٤ ص: ٣٧٦ . ٣٧٧.

(٣) حسن الصفار: حزب الإصلاح الوطني (١٩٣٦ . ١٩٥٦) الرباط ١٩٩٨ م ص ص: ٧٣ . ٧٥.

من الإستعمار الأوربي^(١).

ولعل أوضح نموذج على ذلك هو شخصية الزعيم السنغالي ليوبولد سنجور الذي إرتبطت شخصيته بالثقافة الفرنسية إرتباطاً لصيقاً حتى وصف بأنه في بعض مواقفه كان فرنسياً أكثر من الفرنسيين^(٢).

ومع توطد مواطئ الإستعمار^(٣) في أفريقيا أخذت الدول المستعمرة تعمل على خلخلة الثقافات القائمة بالقارة خاصة في مناطق غرب أفريقيا وشرقها... ومن هنا فإنه حينما كان لابد من نشوب صراع بين الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية لإستحواذ عقول المجتمع الأفريقي... فلقد كان من نتيجة الجهد المنتظم للإستعمار الأوربي أن تعرضت العلاقات الثقافية العربية الأفريقية لحالة إنفصام... ويمكن القول أن الإستعمار والتطورات الداخلية على الجانبين العربي والأفريقي وتطور علاقات كلا الطرفين على حده مع العالم الغربي أسهم كل ذلك في إعاقة العلاقات العربية الأفريقية بصورة عامة والعلاقات المغربية السنغالية بشكل خاص.

وعلى الرغم من حدوث تقارب دبلوماسي وسياسي عربي . أفريقي في الفترة اللاحقة على حرب إكتوبر مباشرة فإن العلاقات الثقافية العربية الأفريقية ظلت تتراوح نطاقها الضيق... فلم تقم الجامعة العربية بسياسية موحدة تجاه الدول الأفريقية... مما جعل الدول الأفريقية تدرك في النهاية أن التوجهات العربية توجهات مؤقتة لذلك حدث تحول ملحوظ في طبيعة العلاقات العربية الأفريقية وسادت الرؤية الواقعية والإتجاهات الفردية وأصبح واضحاً تماماً مدى ضعف العلاقات الثقافية العربية الأفريقية وتميزها بأن فوق كلا طرفي العلاقة مع بعضهما يتم من خلال وسيط ثالث... وهو الغرب.

فالأفارقة إزداد ميلهم لرؤية العالم من خلال نظرة الغرب، والغرب يستقون معلوماتهم عن أفريقيا وشعوبها من دراسات ومشاهدات الغربيين وهكذا فإن التواصل بين الطرفين لا يتم عبر الإحتكاك المباشر إلا في حالات محدودة^(٤).

وحيث أن كلا من المغرب والسنغال خضعا للإستعمار الفرنسي ولذا لم يكن هناك بد من شرح الدور الفرنسي الإستعماري تجاه الثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا.

(١) Gifford, Paul, African Christianity, its public Role, Haret and company London, 1998 P. 120.

(٢) Marrui Ali, The African crdition, the Reith lectures, Heinemann, London, 1981 P. p.: 60 – 65.

(٣) كريم خليل ثابت: عبد الكريم الخطابي والحرب الريفية . القاهرة ١٩٢٥م ص ٦٩.

(٤) Page A., An introduction to the history of west Africa, Cambridge, 1959 P. 152.

لكن رغم ذلك فإن العلاقات الثقافية بين المغرب والسنغال إزدادت رسوخاً بسبب:

أ. ما شهدته منطقة غرب أفريقيا من العديد من الهجرات العربية والبربرية القادمة من شمال أفريقيا والتي كان من أهم نتائجها إنتشار الإسلام في السنغال مع نمو الثقافة العربية داخلها وكما سبق القول أن ٩٨% من سكان السنغال كانوا يعتقدون وما زالوا الإسلام منذ القرن التاسع عشر.

ب. لعب الدعاة والفقهاء والعلماء المغاربة دوراً مهماً في تعميق الثقافة الإسلامية في السنغال^(١).

وجدير بالذكر أن التجار المغاربة لعبوا دوراً مهماً في توثيق العلاقات الثقافية بين البلدين بما كانوا يحملونه من أفكار ومعلومات.

ولا جدال أن أداء الحج من قبل السنغاليين عن طريق شمال أفريقيا ساعد على التقارب الثقافي بين البلدين فخرج المسلمون من السنغال^(٢) واتصالهم بالشعب المغربي كان له أكبر الأثر في إنشاء المدارس وتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم إلى درجة أن الحاكم العام الفرنسي لغرب أفريقيا وليم بونتي William – Bonte قال عن فريضة الحج الآتي:

إن هذه الفريضة تحدث تشويشاً في أذهان الأفارقة وتبدل نفوسهم بالسنغاليين بأخوانهم المسلمين فنقوي فيهم روح التضامن الإسلامي والثورة ضد الفرنسيين^(٣).

وبما ذكره وليم بونتي ندرك مدى تخوف السلطات الفرنسية من الفريضة لأنها تكسب صاحبها مكانة كبيرة وتؤهله للزعامة وقد نشر تقرير لحاكم السنغال سنة ١٨٦١ المدجو فيديرير Faidherbe والذي إستعان في كتابيه بأحد الأفارقة العاملين معه ويدعى "بو المجدد" ويقول التقرير أن^(٤):

أداء فريضة الحج يترتب عليه إتصال الأفارقة بأخوانهم المسلمين وحفظهم القرآن الكريم وإلمامهم باللغة العربية.

ومن أشهر علماء السنغال الذين ساهموا في تنمية العلاقات الثقافية بين المغرب

(٢) إلهام ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الإستعمار الفرنسي ١٨٥٠ . ١٩١٤ الرياض ١٩٨٦ ص ٣٨.

(٣) أنظر البروتوكول المغربي السنغالي حول التبادل الثقافي . ملحق رقم (٣).

(٤) The Cambridge history of Africa vol 5, P. 126.

(١) Revue maritime et coloniale 1961 P. 190.

والسنغال الحاج عمر تل زعيم التكرور في السنغال^(١).

ولعبت الطرق الصوفية بين البلدين دوراً هاماً في تنمية العلاقات الثقافية وأهم هذه الطرق الطريقة القادرية التي إنتشرت في أرجاء السودان الغربي من السنغال حتى مصب نهر النيجر وكذلك الطريقة التيجانية والتي أسسها أبو العباس أحمد بن محمد بن مختار بن سالم التيجاني إستقر في فاكا أما الطريقة القادرية مؤسسها عبد القادر الجيلاني.

وكان الحاج عمر تل زعيم التكرور ينتمي إلى الطريق التيجانية ويعتبر من أبرز زعمائها في السنغال^(٢).

وقد سعت فرنسا إلى التشكيك في قيمة التعليم الإسلامي^(٣) وكانت تنظر بإمتحان للتاريخ العربي واللغة العربية والتراث العربي وتحت المغاربة على التطلع إلى النقل إلى الثقافة الغربية.

وقد عملت فرنسا على تمزيق عنصري الأمة العربية والمغربية بالفصل بين العرب والبربر وإقامة ثقافة خاصة بالبربر تستمد من تراثهم القديم قبل إرتباطهم بالعرب، وقد إعتقد الفرنسيون أن البربر يمثلون عنصراً كبيراً يمكن إستخدامه ضد الحكومة المراكشية نفسها وإنه يجب أن تقوم اللغة الفرنسية للبرابرة مقام اللغة العربية كلغة مشتركة ورسمت هذه الدعوة أن تقوم برامج التعليم في المدارس البربرية على اللغة الفرنسية وتحذف منها اللغة العربية والديانة الإسلامية وأن تكتب اللهجات البربرية بحروف لاتينية وأن يعلم البربر كل شيء ما عدا الإسلام وقد ظهرت هذه السياسة بزعامة المارشال ليدني Marshal Ludny فتزعم الغزو الثقافي في المغرب، فأكد أن البربر ليسوا في حاجة إلى تعلم اللغة العربية ولا حاجة لهم للتعليم العربي والإسلامي وأكد أن البربر يحتفظون بلغتهم الأصلية في الجبال ولذلك عليهم نتبين لغتهم الأم القديمة.

وكان رد الفعل لهذه السياسة أن تأسست جماعة العلماء في المغرب لأغراض ثافية محضة بقصد إحياء التراث العربي وإعتبرت حركة من حركات الإحياء السلفي متأثراً بالدعوة الوهابية و قد حاربت الجماعة سياسة فرنسا على طول المستعمرات الفرنسية في شمال أفريقيا^(٤).

ولاشك أن محاولة هدم الإسلام في المغرب وإتباع سياسة الفرنسية أدت إلى هجرة بعض

(٢) Hagreaves J., France and west Africa, London, 1969 P.p.: 123 – 124.

(٣) A Lagi, J, history of west Africa, London, 1974 vol 2 P. 43.

(٤) محمد ابن عزوز حكيم: الشريف الريسولي والمقاومة المسلحة بشمال المغرب . الرباط ١٩٨١ ص ٨٣.

(١) صلاح العقاد: المغرب العربي (الجزائر . تونس . المغرب الأقصى) القاهرة ١٩٦٩ ص ١٤٦.

العلماء إلى السنغال وإستقرارهم فيها^(١).

وبالرغم من توسع فرنسا في إقامة المدارس الفرنسية^(٢) إلا أن المسلمين في المغرب والسنغال سعوا إلى إيجاد توازن حيث قاموا على نفقتهم الخاصة بفتح العديد من المدارس التي تدعم الثقافة الإسلامية.

ويمكن أن نذكر أن الممالك الإسلامية وعلى رأسها السنغال . في غرب أفريقيا إستخدمت اللغة العربية كلغة ثقافة.

لقد عجزت فرنسا أن تسيء إلى العلاقات الثقافية بين البلدين إلا أنها نجحت في شل حركتها نحو النضوج إلى مرحلتها الأفضل بسبب:

١. محاولة فرنسا خلق صفوة أفريقية واصلت تعليمها وربطتها بتفوق الثقافة الغربية وحيث كانت هي السبيل لتولي المناصب الكبرى فقد وجد تأييد لا بأس به في كلا البلدين.

٢. في المجال الديني^(٣) حاولت فرنسا وبالذات في السنغال الضغط لتحويل بعض الأهالي عن الديانة الإسلامية من خلال بعثات التبشير المنظمة وما كانت تقدمه من خدمات تعجز الجماعة الإسلامية أن تقدم مثيلاً له ولذلك لا نستغرب إن إرتد عدد غير قليل في السنغال عن دينه الإسلامي ولذا لا نستغرب أن نرى أحد الأخوين مسلماً والآخر مسيحياً.

٣. عمد الإستعمار الفرنسي بأن يربط في أذهان السنغاليين التخلف بالثقافة العربية الإسلامية.

٤. إستخدموا التاريخ لتشويه العلاقة بين المغاربة والسنغاليين حيث نجح الفرنسيون وغيرهم من الإستعماريين في نشر الأبحاث الأكاديمية التي تركز على نشاط العرب في تجارة الرقيق من أفريقيا السوداء إلى أفريقيا شمال الصحراء وما وراءها.

وعملوا على إقناع الأفارقة بأن تجارة الرقيق التي تمت على أيدي الأوروبيين عبر الأطلنطي لأكثر من أربعة قرون لم تكن هي النمط الوحيد من التجارة الآدمية ولكن سبقتها تجارة

(٢) Documents diplomatiques Français 1871 – 1914 3^{ème} Serie (Janvier 16 Mars 1914).

(٣) محمد انقار: بناء الثورة في الرواية الإستعمارية . صورة المغرب في الرواية الأسبانية تطوان ١٩٧١ ص: ٨٦ . ٧٠ .

(٤) سوسن سعد الدين: الحاج عمر الفوتي التكروري ودوره في السودان الغربي . رسالة ماجستير غير منشورة معهد البحوث والدراسات الأفريقية . القاهرة ١٩٨٤ ص: ٨٥ . ٩٣ .

الرقيق التي مارسها العرب لعدة قرون قبل ظهور التجارة الأوربية.

ولاشك أن هذه العوامل عطلت الدور العظيم للتقارب الثقافي^(١) الذي كانت تقوم به الطرق الصوفية مثل الميرغنية والسنوسية والقادرية والتيجانية.

كما عطلت السياسة الإستعمارية أي تقارب بين المغرب^(٢) والسنغال كانت تشتم فيه إيقاظ الوعي القومي لدى البلدين.

ولكن بعد حصول الدولتين على الإستقلال... المغرب ١٩٥٦ والسنغال ١٩٦٠ هل أزيلت الحواجز وهل تمت تنمية العلاقات الثقافية بين البلدين.

الإجابة بالطبع... لقد تغير المناخ قليلاً وأصبحت هناك حرية الحركة في الإتصالات الثقافية ولكن ليس إلى الشكل المطلوب لأن الرواسب الإستعمارية كانت متمكنة في كلا البلدين... كما أن إنشغال كلا منهما في إعادة صياغة الحياة فوق أرضه جعل العلاقات الثقافية بينهما تنمو بشكل متواضع.

(١) محمد بن عزوز حكيم: موقف شمال المغرب من الإعتداء على أغسطس يوم ٢٠ غنت. ١٩٩٣ تطوران ١٩٨٤ ص: ٤٣ . ٤٦.

(٢) محمد بن عزوز حكيم: وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب . تطوان ١٩٨١ ص ٧٠.

المبحث الثالث

السمات المشتركة إيجاباً وسلباً في التقارب الثقافي بين البلدين

هناك سمات مشتركة بين كل من المغرب والسنغال ساعدت على التقارب بينهما وأخرى مختلفة أبعدت بينهما ولعل أهم السمات المشتركة بين البلدين هي العقيدة الإسلامية... والتكوين القبلي للتركيبة السكانية، إلى جانب أن الإستعمار الغربي كان واحداً لكل منهما ونقصد به الإستعمار الفرنسي... وقد تأثر كلا البلدين بالتداخل الثقافي^(١) للبيئة الإسلامية والبيئة الفرنسية ورغم ذلك كان كل بلد يحتفظ بخصوصية يتميز بها عن كثير من الأقطار المجاورة له في هذا الجزء من القارة.

ولكن هناك أيضاً عامل هام أبعد بينهما ونقصد به نظرة الأفريقي إلى العربي والعكس أي نظرة العربي إلى الأفريقي.

ولقد تعمد المستعمر الفرنسي إسقاط كثير من الجوانب المضيئة في هذا القطر الذي تبلغ نسبة المسلمين فيه ٩٨%^(٢) من مجموع السكان فحاول صياغة أحداثه صياغة معتمدة تفصل بين ماضيه الإسلامي المشرق وحاضره الفرانكفوني المعاش أملاً في تشكيل وجدانه وتوجيه تطلعاته في ظل سياسة التغريب التي تنتظم في المنطقة كلها.

ويعد تفسير التاريخ من منظور تداخل الثقافات الإنسانية نهجاً موافقاً لطبيعة التاريخ ذاته بإعتباره وعاءً جامعاً لحركة الإنسان وسجلاً حافلاً بمواقفه من القيم والمطلوبات الريفانية التي إرتضاها الله سبحانه وتعالى لعباده مقابل كم هائل من الأعراف والتقاليد والقيم الوصفية والموروثات التي صارت مع تقادم الأزمان مزاحمة لتلك القيم الريفانية بما يحول دون تمكن الإنسان فرداً وجماعة من إستيفاء المطلوبات الخاصة بتحمل الأمانة.

إن تمثل ثقافة بعينها في أي زمان ومكان يدفع بالحدث التاريخي إلى حيز الظهور فالثقافة ظاهرة إنسانية تشكل وجدان الإنسان وتوجه مسار حركته لذا كان التفسير الثقافي لتاريخ أي مجتمع من المجتمعات عن طريق تشخيص مقوماته الثقافية والعقائدية، أمراً معيناً على فهم مواقف ذلك المجتمع التاريخية وتلمس خطى تطلعاته الآتية.

(١) محمد التقيف: تاريخ الضعف . الرباط ١٩٨٦ ص ص: ٦٣ . ٦٥ .

(٢) محمد عايد الجابري: المغرب المعاصر . الدار البيضاء نوفمبر ١٩٨٨ . ص ص: ٨٣ . ٨٥ .

وفيما يلي مناقشة العنصر الأول في الاختلاف بين المجتمعين:

الوضع الثقافي في المجتمع السنغالي^(١):

شهد تاريخ السنغال تداخل ثلاث ثقافات هي من حيث الترتيب الزمني الثقافة الأرواحية الإحيائية القديمة ثم الثقافة الإسلامية العربية وأخيراً الثقافة الغربية الأوربية ذات الأصول المسيحية.

وكان لإجتماع هذه التيارات الثلاث في صعيد واحد ما صاغ تاريخ هذا القطر الثقافي^(٢).

لقد ظلت الأرواحية التقليدية نمطاً ثقافياً للإنسان السنغالي تقدم له رؤيته لقضايا الوجود والعدم وبنى على هديها قناعاته في تفهم أسرار الطبيعة وسطوتها كما إنتهى إلى وحدة وجود إحيائية تجمع بين الأحياء والأموات في ديمومة أساسها الخوف والحذر الشديد من غضب الأسلاف وسطوة القوة الخفية التي تسيطر على الكون.

ومع دخول الإسلام الذي يمثل التيار الثقافي الثاني في منظومة هذه الثقافات دخلت مجتمعات أفريقيا السمراء مرحلة تاريخية من مراحل التحول الإجتماعي والثقافي فقد وجدت ثقافة الإسلام إستجابة واسعة بين شعوب المنطقة الأمر الذي جعل من الإسلام معتقداً قومياً وقاسماً مشتركاً لكل ثقافات الغرب الأفريقي فأثمر هذا التداخل الثقافي بين الأرواحية والإسلام تحولاً حضارياً نهض بشعوب المنطقة وحرر عقائدها من ثقافة الخوف التي كانت تسيطر عليها قديماً. وبهذا دخلت هذه الشعوب دائرة التاريخ الذي ظل ولأزمنة طويلة حبيس شواطئ البحر المتوسط وضاف النيل كما يؤكد كثير من الباحثين في تاريخ الشعوب الأفريقية^(٣).

ووجدت الثقافة الغربية بعد ذلك طريقها لشعوب السنغال والمناطق المجاورة عن طريق الإستعمار والغزو العسكري فبدأت بذلك ومنذ أواخر القرن الـ ١٩ الميلادي مرحلة جديدة من

(١) Shilington, Kevin, History of Africa, London 1995 P. 13.

(٢) يقصد بالثقافة culture مجموع المعارف الإنسانية والعلوم والعادات الكنسية من لغة وفن ودين تمثلها مجموعة من البشر فتؤثر في سلوكها ووجدانها وطرائق فهمها للأشياء بدرجات متفاوتة فتولد نمطاً خاصاً من التفكير والتعبير عن الذات فيما يتعلق بتفسيرها لقضايا الوجود والعدم ولعل أكثر تعريفات الثقافة جاء على لسان إدوارد تايلر "E. Tylor" الذي يقول:

" إن الثقافة بمعناها الواسع هي الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والثقافة والفنون والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع.

أنظر: طلعت إبراهيم . أحمد بن محمد . مدخل إلى علم الإجتماع الرياض ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م ص ٦٩.

(٣) Samb. Amar, Islam et l'histoire du Senegal Bull d. IF. A. N Dakar 1971 P. 463.

مراحل التثقيف والصراع. فقد دأبت فرنسا طول تاريخها الإستعماري كوسيلة لتحقيق مآرب (المتروبول) السياسية والسيادية في السيطرة على الشعوب المستعمرة في ما وراء البحار تكملة لإقتصادات ألها العسكرية المتقدمة، وهنا في السنغال وفي مواجهة الحملات العسكرية الفرنسية الغازية تزعم بعض أحلام الفكر والثقافة الإسلامية حركات المقاومة والتحرير من منطلقات عقديّة وثقافية فلق بهم عدد من الزعماء غير المسلمين حماية ودفاعاً عن الوطن فأدى ذلك بدوره إلى إتساع دائرة الثقافة الإسلامية.^(١)

وبعد نجاح فرنسا في إكمال سيطرتها بدأت البلاد تشهد صوراً من صور التنافس والصراع بين الفرانكوفونية والإسلام^(٢) على وجه الخصوص ومن الجدير بالذكر أن الثقافة (الفكر) سابقة للحضارة (الفعل) وعليه يمكن القول بأن لكل حضارة ثقافة وليس العكس صحيحاً وإن صح هذا القول فإنه يمكن القول بأن الحضارات تنهار سريعاً في التنازع لأسباب كثيرة بينما تبقى الثقافات عصوراً أطول ببقائها حية في الوجدان فلا يتسنى إقتلاعها عن طريق التقاتل والإفتراس فلا تسقط الثقافات بنفس الصورة التي تسقط بها الحضارات وللثقافة خصائص خاصة من أهمها:

١. الإنسانية:

الثقافة خاصية إنسانية فهي بالتالي من أهم الأسس المعيارية في التفريق بين الإنسان والحيوان.

٢. الإرتباط بالمجتمع، فإكتساب الثقافة يتطلب مشاركة الفرد في المجتمع.

٣. التطور من خلال التفاعل وعن طريق مناهج التربية المباشرة وغير المباشرة.

٤. الإنتقال من جيل لآخر عن طريق الإكتساب.

٥. القيام على رموز خاصة ومن أهمها اللغة التي تعد المفتاح الرئيسي لهذه الظاهرة الإنسانية^(٣).

ويمكن أن نضيف إلى هذه الخصائص السابقة خصيصة الإستقطاب بمعنى أن الثقافة تسعى عبر التاريخ لإستقطاب الآخرين طوعاً عن طريق الحوار أو عن طريق الصراع. وكلما

(١) أحمد توفيق عياد: التصوف الإسلامي . تاريخه ومدارسه . القاهرة ١٩٧٠م ص ص: ٤٣ . ٤٧ .

(٢) أحمد صدقي الدجاني: الحركة السنوسية . القاهرة ١٩٦٧م ص ٢٢ .

(٣) ب. ف. سكينر B. F. Skinner . تكنولوجيا السلوك الإنساني . ترجمة عبد القادر يوسف سلسلة عالم المعرفة الكويت ١٤٠٠ / ١٩٨٠ ص ١٣٠ .

كبر عدد الذين يحملون ملامح ثقافة ما تتعاضم تلك الثقافة في البقاء والانتشار.

وإذا كانت التيارات الثقافية في السنغال هي منظومة ثلاثية الأبعاد تتكون الثقافة الإحيائية التقليدية والثقافة الإسلامية والثقافة الأوربية الغربية ولكل من أضلاع هذا المثلث مقومات هي التي شكلت إطار الصورة الثقافية^(١) بين الدولتين المغرب والسنغال.

الإسلام في السنغال ودوره في تنمية العلاقات الثقافية بين البلدين:

انتشرت الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا نتيجة لعدة عوامل نذكر منها:

دور الحجاج والتجار الذين كانوا ينتقلون هنا وهناك رافعين رايات الإسلام إلى تلك الأصفاق من القارة الأفريقية، كما لعبت دولة المرابطين الدور الأكبر في مد النفوذ الإسلامي إلى هذه المنطقة من أفريقيا^(٢).

ولعب رجال الطرق الصوفية دوراً بارزاً في نشر الإسلام وحضارته في غرب أفريقيا وكان عليهم أن يحاربوا في جهتين، إحداها ضد القبائل الوثنية المنتشرة في المنطقة والأخرى ضد التوسع الأوربي الذي بدأ يطالبه على مختلف مناطق القارة ومنها غرب أفريقيا وشهدت هذه المناطق حركات إصلاحية ريادية كان منها منطقة فوتاتورو^(٣) في السنغال حيث ظهر الزعيم المسلم الحاج عمر الفتوي التكروري.

وقد ولد الحاج عمر في عام ١٧٩٤ في قرية حلوار التي تبعد حوالي خمس وعشرين

(١) مصطفى بو شعراء: الإستيطان والحماية في المغرب (١٨٦٣ . ١٩٩٤) الرباط ١٩٩٧م ص ص: ٦٣ . ٦٥.

(٢) عدد المسلمين في أفريقيا حوالي ٥٢%، لقد وصل الإسلام أفريقيا مبكراً وكانت أول لمسة إسلامية لأديم أفريقيا عندما هاجر فريق من صحابة رسول الله إلى الحبشة. ثم فتح المسلمون الشمال الأفريقي قبل إكمال القرن الهجري الأول وأشرف الإسلام على المحيط الأطلسي غرباً وكانت التجارة إحدى محاور إنتشار الإسلام في أفريقيا عن طريق القوافل عبر الصحراء فالتجار المسلمون كانوا أبرز وسائل الدعوة وأهم وسائل التوصيل للإشعاع الجديد للإسلام فيما يلي الصحراء الكبرى جنوباً ثم يجيء النصر الثالث وهو ظهور مصلحين من أبناء أفريقيا الذين تلقوا دراساتهم بالشرق أو الغرب أو ممن تلقوا العلوم الإسلامية محلياً في مناطق تركز الثقافة الإسلامية. وأصبح الدين الإسلامي الدين الأعظم من حيث الذين إعتنقوه وأصبحوا مسلمين وإنتشر إنتشاراً واسعاً في هذه القارة وساد النصف الشمالي منها بأكمله، وإنتشر إنتشاراً واسعاً وظاهراً في النصف الجنوبي، وكان هذا الإنتشار حصيلة جملة من الأسباب نذكر منها الجوار الجغرافي وإتصال الرقعة الأرضية، بساطة تعاليم الإسلام . أنظر : محمود شاكر : السنغال مرجع سابق ص ٦٥.

(٣) تقع منطقة تاتور حالياً في بلاد السنغال وهي من مناطق الجهاد الإسلامي في غرب أفريقيا وكانت مسرحاً لعمليات الحاج عمر قبل التوسع الفرنسي في المنطقة في الربع الأخير من القرن ال ١٩

أنظر المؤرخ الأفريقي (دراسات وبحوث) العدد التذكاري

تحرير تمام همام تمام . عبد الله عبد الرازق إبراهيم

تقابل الجهاد الإسلامي في السنغال في القرن ال ١٩

إعداد عبد الله عبد الرازق إبراهيم ص: ١٠٥ . ١٠٦.

مبلاً من بودور "Bodor" على الحدود السنغالية الموريتانية وكان أبوه ينتمي إلى الجماعات الإسلامية. وكان الحاج عمر من العلماء الذين تحمسوا للدين الإسلامي وقاموا بنشره في معظم مناطق غرب أفريقيا.. وفي إحدى أسفاره إنتقى الحاج عمر بالشيخ عبد الكريم النقيل وهو أحد زعماء الطريقة الصوفية التيجانية^(١) في نوتانوردا وتلقى الشيخ علي يديه مبادئ هذه الطريقة التي كانت من أكثر الطرق إنتشاراً في غرب أفريقيا وبالذات في السنغال ولا ينافسها إلا وإستمر في جهاده ضد الوثنيين والقوى المعادية له حتى وافته المنية سنة ١٨٦٤ وإليه الفضل في نشر الإسلام في السنغال^(٢).

وقد كان حماس جيشه من أهم الأسباب التي ساعدت على إزدياد أتباعه الذين إنتشروا على نطاق واسع مدافعين عن الإسلام وحضارته ورافعين لواء الدعوة الإسلامية بحماس منقطع النظر دفاعاً عن الدين الإسلامي حتى في وجه التوسع الفرنسي.

وكان لمؤلفات الحاج عمر الفوتي أثرها في نشر الإسلام وبالذات على الطريقة التيجانية وخصوصاً كتابة المعنون بإسم "رماح حزب الرحيم علي نحور حزب الرحيم" والذي يتألف من خمسة وخمسين فصلاً ومقدمة وخاتمة ويعالج كل ما يتعلق بأمر الطريق وما يتصل بالزهد والصوفية وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة بها بهامش كتاب جواهر المعاني في عام ١٩٦١م^(٣).

وكانت الطريقة التيجانية منتشرة في المغرب مما شكل عنصر إتصال بينه وبين السنغال وكانت جسراً لوصول ثقافة البلدين كل منهما للآخر... فالأصل أن المغرب كانت هي المركز الأصل للطرقة التيجانية وهي أولى الطرق الصوفية في شمال أفريقيا وبالذات في المغرب وغربي أفريقيا وبالذات السنغال.

وقد مات الشيخ التيجاني في مدينة فاس بالمغرب في عام ١٨١٥م وكان قد إستقر بها منذ عام ١٧٥٨م ومن خلال طموحاته كان أنصاره ينتشرون في أماكن كثيرة من غرب أفريقيا وبالذات السنغال.

وفي السنغال يمثل الشيخ العلامة إبراهيم نياس الإمتداد المعاصر للطريقة القادرية... وقد قام بعدة رحلات إلى عواصم الثقافة الإسلامية ونهل منها مما ساعد على إزدياد معارفه وكثرة إطلاعاته ولقاءاته بزعماء المسلمين في كافة أجزاء القارة الأفريقية.

(١) سحر صلاح الدين عبد المتعال: الطريقة التيجانية ودورها الحضاري في منطقة سناجامبيا . القاهرة ٢٠٠٥ ص ص: ٣٣-٥٠.

(٢) Le Chatelier, L' Islam dans (Afrique occidentale), Paris 1970, P. P.: 176 – 199.

(٣) Delafosse, M. , Les pays les peuples haut Senegal, Niger (Sondan Francais) ser 1 of 1912 vo II P. 334.

وقد قام بالحج عام ١٨٣٨م فالتقى هناك بالشيخ محمد الغالي أحد رفاق الشيخ أحمد التيجاني وخليفته في الحجاز وتلمذ على يديه ودرس الطريقة التيجانية وعندما عاد إلى وطنه صار يحمل لقب الحاج بالإضافة إلى لقب التيجاني في السودان^(١) وبدأ ينشر مبادئ الدعوة ويعلن الجهاد ضد الوثنيين.

وخلال زيارته إلى سوكونو زوجة خليفته محمد بلو إحدى بناته التي كانت تدعى فاطمة واكتسب خلال بقاءه هناك بعض الخبرة العسكرية لأنه شارك في بعض المعارك هناك.

وقد جاهد ضد الخطر الفرنسي وضد الزعامات المحلية في المنطقة وكذلك بعض الممالك الإسلامية المحيطة بالسنغال مما أدى إلى تكوين جيش خاص به يستطيع أن يحسم به هذه المواقف.

وكانت قواته تنقسم إلى ثلاث مجموعات تضم المجموعة الأولى الطلاب الذين ناصروه في نشر الطريقة الصوفية التيجانية، أما المجموعة الثانية تضم رجال الصوفية من الرقيق وغيرهم من المسلمين الذين تحمسوا للجهاد وأما المجموعة الثالثة فتضم جماعات التوبورو Tuburu وهم المجندين إجبارياً ويقال أن جيشه وصل إلى ٢٠ ألف في عام ١٨٦١م^(٢).

التيجانية وإشتهر في جميع مناطق غرب أفريقيا ووسطها وذاع صيته في أمصار العالم الإسلامي وترك تركه لأحفاده وأولاده من بعده، من كتب ودور علم وزوايا وأتباع في كل مكان^(٣).

إنه كان لهجرة العلماء المغاربة الأثر الكبير في نشر الإسلام في السنغال وقد ساعدوا على نشر اللغة العربية . لغة القرآن . من خلال إنشاء الكتاتيب في مواجهة المدارس التبشيرية والمدارس الحكومية التي أنشأها المستعمر... وفي نفس الوقت كانت المغرب مقصد لكثير من السنغاليين للحصول على مزيد من العقيدة الإسلامية^(٤).

ومن ذلك يتضح مكانة العلماء الكبرى في الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا أولئك الشيوخ المغاربة الذين كانوا يهاجرون بعلمهم وكتبهم إلى غرب أفريقيا وإستقر معظمهم بصفة

Abun Nasr Gamil, The Tiganiya, P. 106.

(١)

(٢) عبد الله عبد الرازق المرجع السابق ص ١١١.

(٣) عثمان بريما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي. دار الأمين للنشر والتوزيع القاهرة ط ١ عام ٢٠٠٠ ص ٢٣٢.

(٤) توماس أرنوك: الدعوة إلى الإسلام. ترجمة حسن إبراهيم وآخرون القاهرة ط ٢ ١٩٧٠ ص ١٩٤.

خاصة في السنغال.

ولا يفوتنا أن نذكر أن هؤلاء العرب المسلمين الدعاة كانوا حملة حضارة لها نصيب في كل من الأدب والطب والعمارة والتي تمثلت في بناء المساجد بأشكالها الجذابة الراقية والتي لها طابع القوة والدقة والرقى فكانت إبداعاً هندسياً فريداً مما إستقطب المزيد من المريدين والطموحين في الإنتماء لأهل هذه الحضارة الجديدة الباهرة.

ومن بين العلماء المغاربة الذي تلقى العلم على يديه الكثير من المريدين الذين هاجروا إلى السنغال وإستقروا بها وساعدوا على نشر الدعوة الإسلامية نذكر أسد بن الفرات الذي إرتحل إلى المدينة المنورة وأخذ عن الإمام أنس بن مالك ثم إرتحل إلى العراق فأخذ عن أصحاب أبي حنيفة وأصبح من علماء المغرب الأفذاذ فألف كتابه (الأسدية) وكتابه المشهور (المدونة) وتولى قضاء القيروان وتلقى العلم منه خلق كثير كانوا دعاة للثقافة الإسلامية

من غرب أفريقيا وبالذات السنغال^(١).

وكانت الرباطات في بلاد المغرب والصحراء^(٢) . ثم في بلاد السنغال وغرب أفريقيا عامة تبنى بصورة عسكرية تمكنها من مواجهة الأعداء وكانت معظم هذه المؤسسات التي تقع على طرق القوافل التجارية وقوافل الحج كانت تقدم للتجار والحجيج القادمين من الجنوب كثيراً من الخدمات التعليمية مثل الوعظ والتعليم ومدهم عن طريق عودتهم إلى بلادهم بالمؤلفات الإسلامية التي كانت تنسخ داخل الرباط، وليس من شك في أن هذه الرباطات قوت من روابط العلاقات الثقافية بين البلدين^(٣).

ولاشك أن الهجرات البشرية للكثيرين من أبناء المغرب إستقرت في السنغال وتمت مصاهرة بين العناصر المغربية الوافدة والسكان المحليين^(٤).

وبالطبع لم تعدم القوى الإستعمارية إيجاد وسائل للتصدي ليس فقط لتلك الصلات بين المغرب والسنغال... بل كانت تتخذ الطرق العملية بما لها من إمكانيات في التصدي للدعوى وما

(٢) حسن عيسى عبد الظاهر: (الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة القرن الثاني عشر الهجري . التاسع عشر الميلادي)

إدارة الثقافة والنشر . جامعة الإمام محمد بن مسعود الرياض ١٩٨١ ص ٧٩.

(٣) صلاح الدين علي الشامي: دراسات في الجغرافيا السياسية . إسكندرية ١٩٧٣م ص ص: ٢٥ . ٢٧.

(٤) Gemille Free Man: Chronology of African history Oxford 1973 P. 1128.

Hiskett M., the development of Islam in west Africa, London 1984 P. 23.

قامت به المدارس التنصيرية في هذا الصدد دور خطير لم يجعل طريق الدعوة مفروشا بالورود.

لقد بدأت صورة العلاقات بين المغرب والسنغال من خلال الدعاة القادمين من شمال أفريقيا إلى غرب أفريقيا وهؤلاء كانوا أكثر نوعية وأكثر نضوجاً ورسوخاً في المعرفة والعلوم الإسلامية من الدعاة القادمين من المحور الجنوبي للجزيرة العربية إلى قرن وشرق أفريقيا، وكان يتردد على السنغال من المغرب الكثير من العلماء مثل ابن الوزان الفاسي المشهور ليو بالأفريقي.

ومن ناحية ثانية كانت القوافل التجارية لا تنقطع عن الوصول إلى السنغال وساعد على تمتين صورة العلاقات بين البلدين وكان التاجر القادم من المغرب إلى السنغال أجود سلعة وألطف تعاملًا من التاجر القادم من جهات أخرى، كما كان أكثر تعمقًا في القيم الإسلامية^(١).

وكانت جامعة القرويين تقوم بدور هام لزيادة العلاقات الثقافية والدينية بين المغرب والسنغال.

ويمكننا تأكيد أن الإسلام كان جسر تلاقى في العلاقات الثقافية بين المغرب والسنغال. فهو عامل إيجابي للتقارب بين البلدين.

ويحلو لنا في ختام هذه الفقرة أن نؤكد أن بعض العوامل ساهمت في نجاح الدعوة الإسلامية نلخصها فيما يلي:

١- إن قدوم عدد كبير من التجار والفقهاء والدعاة العرب المسلمين من المغرب بصفة خاصة ومن الشمال الأفريقي ومصر بصفة عامة قد بعث نشاطاً ملحوظاً في السنغال وغرب أفريقيا وقد أدى هؤلاء واجبه في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية في ربوع السنغال وما يحيط بها وقد التحق كثير منهم بالملوك والأمراء وعملوا في خدمتهم أو قدموا إليهم الخبرة والثقافة وحببوا إليهم الدين الجديد. ونذكر من هؤلاء الفقهاء والعلماء عبد الرحمن التميمي وعبد الكريم المغيلي وقد آمن أمراء السنغال بالإسلام منذ القرن الثامن عشر وتبعهم كافة قبائلهم. وقد إحتاج دعاة الإسلام إلى الملوك ليكونوا سنداً لهم بينما كان هؤلاء الملوك يتعشطون إلى تأييد هؤلاء الفقهاء الدعاة في سبيل إعطاء

(٢) المؤتمر الدولي حول الإسلام في أفريقيا: ٢٦ . ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٦ م . ٦ . ٧ ذو القعدة ١٤٢٧ هـ . جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (البببا) بالإشتراك مع جامعة أفريقيا العالمية ووزارة الإرشاد والأوقاف . محمد موسى البر . الإسلام والمسلمون في أفريقيا ص ١٨٤.

سلطتهم الصفة الشرعية ويحتاجون أيضاً إلى خبراتهم وثقافتهم^(١).

٢- ونجح الدعاة في أن يجعلوا للإسلام^(٢) صلة وثيقة بنفسيه الأفريقي، ذلك أن تقارباً كبيراً ربط بين العقلية الأفريقية والتقاليد الإسلامية إذ شعر الأفريقي المسلم منذ الوهلة بالأخوة الحقيقية بينه وبين الداعية. وكان الدعاة المسلمون ينفذون إلى قلوب الأفريقيين الوثنيين ويحولونهم إلى الإسلام وكان من أثر تصرفات الداعية السلمية أن أصبح الزوج ينظرون إلى الإسلام على أنه دين السود وإلى المسيحية على أنها دين الأوربيين البيض فالإسلام يدعو للخلاص ولكن المستعمرين وصفوا الأفريقي في مكان منحط بينما يدعو الإسلام إلى الثقة بالنفس ولهذا يشعر الأفريقي بأن الإسلام^(٣) لم يقطعه عن ماضيه أو عن مجتمعه في حين أن المنتصر يجد نفسه حائزاً ضائعاً فقد مجتمعه من جهة، ولم يرض الأوربيون والمبشرون أن ينتسب إلى الحضارة الأوربية وقد أخذ كثير من الأفريقيين المنتصرين يتحولون إلى الإسلام تعبيراً عن سخطهم على الأساليب التبشيرية العنصرية^(٤).

٣- أما العامل الرابع في إنتشار الإسلام في السنغال بشكل خاص وفي أفريقيا الغربية بشكل عام فإنه يعود إلى القيم المتداعية التي ظهرت في بقايا الوثنية لأن المستوى الثقافي والأخلاقي والتعليمي للأفريقي المسلم كان يمثل الذروة بالنسبة لشخصية الوثني المنحلة... فلم تصمد الوثنية أمام الإسلام مما جعله ينتصر عليها إنتصاراً ساحقاً في كثير من الأماكن ومن ثم فإن الوثنيين كانوا ينظرون إلى المسلمين على أنهم قدوة تحذى لهذا لا يستغرب أن كان الوثنيون يستجيبون إلى الإسلام شيئاً فشيئاً.

٤- كانت الفتوحات والهجرات عاملاً هاماً في إنتشار الإسلام في غرب أفريقيا ففي أواخر القرن السادس عشر الميلادي جاء الجيش المراكشي إلى السودان الفرنسي (قبل أن يكون) بغية بسط النفوذ والجهاد في سبيل الإسلام و قد أسلم بتأثير المغاربة عدد كبير من الزوج في السنغال وفي وادي النيجر الأوسط^(٥).

كما كانت هجرة قبائل البوهل في القرن الـ ١٧ وما بعده من السنغال إلى الفوتا

J. P. Raux, L'Islam en Occident, Paris 1965, P.P.: 210 – 212.

(١)

(٢) أندا بانجي سيتهول: القومية الأفريقية . القاهرة ١٩٧٥م ص ص: ١١٠ . ١١١ .

(٣) أمين أسبر: مسيرة الوحدة الأفريقية . بيروت ١٩٨٣ ص ص: ٣٢ . ٣٤ .

J. Montzère, L'Afrique et l'Islam Dakar 1931. P. 11.

(٤)

P.P.: 122 – 125. J. C. Froebich, Les Musulmans d'Afrique noire Paris 1951

(٥)

وجالون^(١).

٥. التسامح: ويتساءل الإنسان لماذا يحقق الإسلام إنتصارات مدهشة لم تصادف مثلها المسيحية على الرغم من دعم الإستعمار وجهاز المبشرين المنظم، إن شعور الأوربي المستعمر بالتمييز العنصري وإحتقاره للزنجي ولو كان أخاه في الدين قد أدى في الدين إلى نفور الوثنيين من المسيحية ديانة البيض وإن أسلوب الداعي وعلاقة أفريقيا التاريخية بالعرب المسلمين قد جعلت للإسلام إغراء خاصاً لدى الأفريقيين وبينما كان المبشر يحاول حمل بعض المسلمين على التنصر... كان كثير من زعماء المسلمين في السنغال يقابلون ذلك بالتعاون مع المسيحيين للقضاء على الوثنية^(٢).

٦. التجارة التي كانت ولا تزال الدعامة الأولى في الإقتصاد الأفريقي وقد زادت التجارة الروابط الإجتماعية والثقافية لأفريقيا الغربية بالشمال الأفريقي حيث إمتهنت كثير من القبائل التجارة نذكر في السنغال قبائل الديولا^(٣).

٧. في الإسلام تأخذ الحقائق شكلاً ملموساً واقعياً، تتركه الأذهان الأفريقية بسهولة عجيبة مما حمل الأفريقيين على الإقبال عليه فالإنسان في هذا الدين مجزي بعمله والعقاب فيه يعود إلى الخالق رب العالمين وهو عاجل أو آجل وهذا أمراً^(٤).

٨. لقد إنتلف الأسلام مع المفاهيم الأفريقية ودافع عن تحريم الخمر دفاعاً مقنعاً وأبقى نظام تعدد الزوجات الذي يسود في الوثنية وقد ضيق الإسلام على المشتغلين بالرق وألغى كثير من موارد الرق لأن الإسلام في أصله يدعو إلى تساوي المسلمين على صعيد واحد مما أغرى الأفريقيين بإعتناقه، كما أن الإسلام وقف موقفاً حازماً من التمييز العنصري مما حبيب الأفريقيين في الإقبال عليه عكس السياسة الإستعمارية الغربية التي كانت تركز مفهوم التمييز العنصري^(٥).

٩. وصل الإسلام إلى أفريقيا قوياً موحداً لم تعثره المذاهب والخلافات المستحكمة بين الفرق، لما كان الحال في المسيحية... فكل الإسلام الذي إنتشر في أفريقيا الغربية ومنها

(٢) Perninder J, Le religion en Afrique occidentale Paris 1950 P. 112.

(٣) J. C. Froelich, Les Musulmans d 'Afrique noise Paris 1962 P. P.: 59 – 65.

(٤) نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام دمشق (من منشورات وزارة الإرشاد العربية السورية ١٩٦٢) ص ٧٥.

(٥) بازيل ديفيدسون صحوة أفريقيا مترجم . سلسلة الألف كتاب القاهرة ١٩٥٦ ص ١٢٥.

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام ترجمة حسن النحراوي عابدين القاهرة ١٩٤٧ ص ١٠٠.

السنغال كان على المذهب السني المالكي^(١)...

لهذه الأسباب السالفة إستطاع الإسلام أن يفرض نفسه على الأفريقي المتعطش للخلاص والهدى ومن هنا لا نستغرب أن آمن ٩٨% من أهالي السنغال بالإسلام بل لقد ساهموا هم . أي أهالي السنغال . بحملات كبيرة من أجل نشر الدين والجهاد. وقد قدر الفرنسيون في أواسط القرن الـ ١٩ عدد المسلمين في السنغال ١.٣٠٠.٠٠٠ من أصل مليونين ومن ثم غدت المدن التالية سان لويس ودكار وبودور ونيفوان ودبوريل وطوبا مراكز إسلامية ثقافية والفضل في ذلك يعود إلى تجار المغرب ودعاة المغرب وفقهاء المغرب وكانت المدارس في السنغال تمتاز بظاهرة عامة هي إرتباطها الشديد بالدين ففي أول الأمر كانت المدارس ملحقة بالمساجد، فإلى جانب كل مسجد غرفة أو غرفتان لتعليم الأولاد، على أن بعض المساجد كانت مقراً للتعليم ولم تلبث نظم التعليم أن فعلت بنفس نمط المغاربة حيث ألحقت المدارس بالرباط وأصبح إلى جانب كل زاوية من زوايا الفرق المذهبية والدينية مدرسة لتعليم الأطفال.^(٢)

وفي القرى الصغيرة التي كانت تخلو من المساجد كان الأطفال يتلقون تعليمهم بواسطة أحد الدعاة في ساحة صغيرة في الحي أدنى أحد الحوانيت.

ولعل أهم المراكز الثقافية^(٣) التي ساهم في وجودها وتنميتها في السنغال كانت بفضل الدعاة المغاربة مركزي توبة وسيل.

النظام القبلي في المغرب:

وتتعرض الباحث في شئون البدو والقبائل والعشائر صعوبات كثيرة منها:

١. تعقد الموضوع وسعته وتشابك أطرافه وصعوبة الإحاطة به بسبب إختلاف التقاليد والأعراف في البادية وتباين الآداب الإجتماعية واللهجات.
٢. قلة البحوث العلمية في هذا الموضوع وطغيان الأحكام الخلقية والقيم الذاتية فالكتاب قسمان: بيت رومانيتكي يعجب بحياة البادية فيبالغ بما يشاهد بحيث تغطي نظرية العاطفة على ما يلاحظ من ظواهر إجتماعية وبين البادية ومتحيز ضد البادية يكيل لها الذم جزافاً.

Purl Marty, L 'Islam en séngal Paris 1923 P. P. : 103 – 109.

(٢)

(٣) حسن إبراهيم: إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى . القاهرة ١٩٦٠ ص: ٤٣ . ٤٦ .

(٤) حورية مجاهد: الإسلام وأفريقيا وواقع المسيحية . القاهرة ٢٠٠٢ م ص٥٣ .

٣. تغلب الدراسات القديمة التي تقتصر على الإنسان وذكر أسماء القبائل دون أن تكلف نفسها عناء البحث في نشوء العادات الإجتماعية وتطور التقاليد وتبدلها.

٤. بالرغم من أن سكان البادية والقبائل^(١) والعشائر يحتلون قسماً لا بأس به من البلاد العربية والأفريقية إلا أننا لا نكاد نملك إحصائيات دقيقة يعتمد عليها في هذا الشأن.

٥. أما الصعوبة الأخيرة فنتجسد في أمرين مهمين هما:

هل من الضروري أن نرجع في دراسة كل أمر أو موضوع إلى الماضي البعيد فنبحث في التاريخ مرحلة بعد الأخرى لنرى الخطوات التي خطتها النظم البدوية، أم نكتفي بوصف الأحوال الإجتماعية^(٢) القائمة مع إشارة خفية للماضي القريب؟ وهل من الممكن أن يفصل الباحث بين آرائه الذاتية وبين ما يلاحظ من ظواهر أي صعوبة التجرد والموضوعية Objectivity.

وبناء على ذلك اضطرت الباحثة أن تشرح أوجه حياة البدو والقبائل والعشائر، كالأحوال الإجتماعية بين العشائر وتأثير الحياة البدوية في الشؤون الإقتصادية والإدارية والتشريعية وغيرها من المواضيع التي تنتظر في حياة البدو هنا وهناك على ضوء خطوط عامة وشاملة التي يمكن وجودها بغض النظر عن الفوارق والإختلافات.

والوطن في مفهوم النظام القبلي ليس إلا رمزاً معنوياً حيث أن الجانب السياسي من كيانهم الإجتماعي يحقق لهم معظم رغباتهم وليس هنالك مقياس واضح نستطيع أن نحدد به مقدار هذا القطاع وإن كان في مقدورنا أن نتخذ من مركز القوة في منطقة الجلاوي قبل عهد الإستقلال في جبال الأطلس الكبير مقياساً جزئياً، كما أن ثورات قامت بين قبائل الريف ومنطقة تازة يمكن أن تتخذ دليلاً آخر، فقد ذكرت الحكومة في تقاريرها أن نحو مليون رجل من رجال القبائل كانوا مشتركين في ثورات الريف وتازة وحركة المقاومة السلبية... إذن لو قدرنا أن نحو مليوني شخص في المغرب يعيشون معتمدين على نظامهم القبلي أكثر من إعتمادهم على نظامهم السياسي الحكومي لكان تقديرنا هذا معقولاً.

وقد بذلت مجهودات ترمي إلى دمج رجال القبائل في جسم الدولة، وربما أساء توجيه تلك الجهود من قاموا ببذلها، غير أن النتائج المخففة التي نجمت عن تلك المحاولات تبين بوضوح

(١) حسين محمد محمد: الإستعمار الفرنسي . القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٣.

(٢) جاك وديس: جذور الثورة الأفريقية . القاهرة ١٩٧١ ص ٣٣ . ٣٦.

الصعوبات التي يقابلها المغرب.^(١)

وعلىنا أن لا ننسى، ونحن ندرس العلاقات السياسية الوطنية لرجال القبائل أن خبرتهم بأمور السياسة، على هذا المستوى قامت على إحتكاكهم بنظام الحماية وبجيش التحرير المغربي. أما الحماية فقد قامت بالقسر وإستمرت تستعمل أساليب القسر هذه لكي تبقى على النظم القبلية^(٢) وتعزلها، وهى النظم التي كان يمكن أن تستغل لمصلحة الحماية بسهولة أما جيش التحرير فلا شك في أنه كان ذا أثر كبير في المناطق التي تحتلها القبائل لأنه كان منظماً ذا هدف يعمل من أجله وهو الحصول على الإستقلال وإعادة محمد بن يوسف إلى عرشه والحقيقة التي يجب أن تبقى ماثلة من وراء ذلك كله هى أن رجال القبائل كانوا قادرين على التأثير في توجيه السياسة الوطنية.

ورغم أن المغرب بعد الإستقلال كان يواجه عدة مشكلات إقتصادية وإجتماعية عسيرة إلا أنه تمتع في السنوات الأخيرة من العقد الخامس من القرن العشرين والسنوات الأولى من العقد السادس بإزدهار إقتصادي كبير جعله يتمتع ببناء إقتصادي بالغ التطور وهذا يشمل شبكة من الطرق المرصوفة تزيد على ٦ آلاف ميل وأكثر من ٢٠ ألف ميل من الطرق ذات الدرجة الثانية وهناك ١٢٠٠ ميل من خطوط السكك الحديدية ثلثها مكهرب كما أنه في المغرب سبعة موانئ كبيرة صالحة لرسو السفن وبه كثير من الموانئ الصغيرة^(٣).

كما أنشئت مطارات ذات إستعداد حسن في كل من طنجة والرباط والدار البيضاء ووجدة وأكدير... هذا إلى جانب ثمانية سدود تولد طاقة كهربائية تكفي لإحتياجات الكثير من الصناعات التي ظهرت بعد عام ١٩٦٠م وإستمرت في النمو حتى عام ١٩٨٠م، ولكن عيب التطور الإقتصادي في المغرب أن ٥٠% من المصانع والدور التجارية تتركز في الدار البيضاء^(٤).

وما يلفت الإنتباه أن التحسن لم يكن يعم كل الشعب في النهضة الصناعية والتجارية فقد إستمر مئات الألوف من الناس في المدن الكثيرة يعيشون معيشة ساكن مدن التصدير حيث تكون أمور العناية بالصحة والتغذية أسوأ في العادة، من الحال بين القبائل المنعزلة في الجبال.

(١) حمدي عبد الرحمن: التعددية وأزمة بناء الدولة في أفريقيا الإسلامية . القاهرة ٢٠٠٢ ص ص: ٢٣ . ٢٦ .

(٢) صفى الدين محمد: أفريقيا بين الدول الأوروبية . القاهرة ١٩٥٩ ص ٧٣ .

(٣) أكبر الموانئ المغربية هو ميناء الدار البيضاء ويأتي في المرتبة الحادية عشر من حيث كمية البضائع التي تفرغ فيه بالنسبة للموانئ الأوروبية.

Le Maroc au Travail, Rabat, Ministry of Labor, 1958 P. 20.

(١)

ولاشك أن البنيان القبلي للمغرب ساعد على الإتصال الثقافي بين المغرب وجيرانها بشكل عام لتشابه العادات والتقاليد حيث كانت العادات والثقافات وكانت اللغة العربية بينها لغة مشتركة ساعدت على هذا التقارب وربطت بين الشعبين في صورة مصالح مشتركة.

لقد عرف الشعب المغربي ثلاثة عهود سياسية^(١) في القرن العشرين. ففي مطلع القرن كانت تحكم البلاد الحكومة المركزية التقليدية، المعروفة بالمخزن، وقد إستمرت على أشكال عدة مدى ألف سنة تقريباً.

وفي الفترة ما بين ١٩١٢ وأوائل ١٩٥٦ صارت البلاد محمية تحكمها فرنسا وأسبانيا.

وفي السنوات العشرين الأخيرة من هذه الفترة برزت روح المقاومة الوطنية وهي التي بلغت مداها في عهد الإستقلال.

أما الوضع في المغرب من سنة الإستقلال حتى سنة ١٩٨٠ حيث ظهر بناء سياسي جديد فيها معتمداً جزئياً على الإقتباس من العادات القديمة، وعلى التحديد، ولعل عظم التغيير الذي طرأ على حياة جميع المقربين في هذه الفترة، يعادل مقدار ما طرأ عليها في الألف سنة السابقة عليها، فقد نجحت المغرب في تكوين دولة مستقلة على الرغم من الجدل الكثير القائم حول ما أنجزه المغرب منذ عهد الإستقلال.^(٢)

فالمغرب الجديد صار مثابة لتطبيق نماذج من السلوك صالحة لجميع المغاربة في محاولة تختلف في الحقيقة تماماً عما كانت عليه الحال في عهد الحماية لأن المميزات المحسوسة الواضحة في الوضع الجديد، تشمل بكل وضوح بعض أوجه من النشاط لم تتوفر في إدارات الحماية في الشمال والجنوب وطنجة.^(٣)

وهناك ملاحظة هامة جدية بالتسجيل وهي أن دولتي الحماية على الرغم من الدور الهام الذي لعبته في إعداد المغرب للإستقلال كانتا تؤثران دون شك منح البلاد وضعاً هو دون مرتبة الإستقلال... فقد درجتا على إدخال أنواع مختلفة من السلوك.

ولعل أهم ظاهرة لافتة للنظر في الشعب المغربي . ظاهرة لها أهمية خاصة بالنسبة للتحليل السياسي . هي كون العدد المعد للمشاركة في الحياة السياسية قليل جداً بين المواطنين إذا

(٢) علي مزوعي: قضايا فكرية، أفريقيا والإسلام والغرب . القاهرة ١٩٩٨ ص ص: ٥٣ . ٥٥ .

(٣) عاشور الفاضل: الحركة الأوربية والفكرية في تونس . تونس ١٩٥١ ص ١٢ .

(١) علي حسن كمارا: مشكلات الغزو الفكري في غرب أفريقيا . القاهرة ٢٠٠٢ ص ص: ٨٦ . ٨٨ .

قسناه إلى ما نعرفه من أحوال الأمم المتطورة ومن أهم الدلائل التي تدل على هذا الإعداد محو الأمية وقيام الفئات المهنية والتحضر فعدد المتعلمين الذين كانوا يستطيعون في المغرب وقت حصولها على الإستقلال . أن يقرأوا اللغة العربية ويكتبوها لم يكن يتجاوز عشرة في المائة من السكان^(١).

وقد نجح عهد الإستقلال في تغيير هذه النسبة ولكن التغيير كان متواضعاً. أما الدراسات المتعلقة بالتحضر فتشير إلى أن بلاد المغرب، شأنها شأن العديد من البلدان العربية بلد يتكاتف فيه السكان في أماكن قطعت شوطاً بعيداً في إنتحال الحياة الأوربية ومن حولها قوى بدائية في حياتها.

ولاشك في أن الحياة المدنية المعاصرة قد توغلت بطريقة أو بأخرى إلى جميع المناطق الكثيفة السكان غير أن مشكلات إجتماعية وسياسية خاصة قد تخلفت عن هذا النوع من التحضر فالذين يعيشون في المدن من المغاربة، بما في ذلك المدن التي يزيد تعدادها على عشرة آلاف نسمة يبلغون نحو أربعة أخماس المجموعة المتحضرة وهي التي تشمل السكان النازلين في المدن الخمس الكبرى:

الدار البيضاء . مراكش . الرباط . فاس . مكناس^(٢). ومعظم السكان المتحضرين يعيشون في المدن الكبيرة حيث يواجهون المشكلات التي يواجهها سكان المدن الجديدة وكذلك يواجهون منذ عهد الإستقلال التدهور التدريجي في النشاط التجاري. وعلى الرغم من أن ملونين من المغاربة تقريباً بعد عهد الإستقلال يعيشون في مدن تعدادها أكثر من عشرة آلاف نسمة فإن الكثيرين من هؤلاء لا يزالون يعيشون في المراحل الأولى التي يجتازها المرء في الإنتقال من الحياة القبلية إلى الحياة الحضرية و الكثيرون منهم إنما جاءوا إلى المدينة لكي يزدوا من دخل عائلاتهم التي تعيش في الريف^(٣).

أما الآثار الكلية المترتبة على هذه الحركة في الطبقات الكادحة في البلدان التي تعم أرجاءها الأكواخ والتي تحيط بالمدن الكبيرة.

(٢) دوجلاس آى أشفورد: التطورات السياسية في المملكة المغربية . ترجمة عائدة سليمان عارف . أحمد مصطفى أبو حكمة دار الثقافة . بيروت ١٩٦٣م ص ٢١.

(٣) R. Forichon and P. Mass: Les problèmes de la repartition du peuplement au Maroc, Bulletin Economique et social du Maroc, vol 21 No 76 March 1956. P. 485.

(١) محمد حسن الوزاتي: مذكرات حياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية . مؤسسة حسن الوزاتي ١٩٨٤ ص ٤٠.

ويعيش نحو الربع من المغاربة^(١) متحضرين في ضواحي المدن إذا ما إعتبرنا البلدان التي يبلغ تعدادها عشرين ألف نسمة فما فوق مدناً وهم أكثر من الثلث بقليل إذا ما عدنا البلدان ذات الألفي نسمة مدناً.

التركيبة القبلية في السنغال:

يتجمع معظم سكان السنغال في إقليم السودان الغربي (وسط وجنوب السودان) بكثافة تتراوح بين ٣٠، ٥٠ نسمة للكيلو متر المربع ولكنهم يتخلطون في الأراضي الهامشية وبالذات شرقي السنغال وكما هي العادة في الدول الأفريقية تضم السنغال قبائل عديدة ولكن قبيلة الولوف تؤلف نحو ثلث شعب السنغال ولغتهم هي السائدة^(٢).

وهذه القبيلة هي المؤسسة لممالك الولوف والودكاو القديمة. وهي القبيلة السائدة في النصف الشمالي من السنغال، كما يتعثرون أيضاً في شرقي البلاد وشبه جزيرة رأس فرد Ras Verde (الرأس الخضراء) وكانوا قبل ذلك يعيشون في الشمال ثم توغلوا جنوباً مع إنتشار زراعة الفول السوداني لذلك فهم زراع الفول السوداني والذرة الرفيعة.

وتسكن قبيلة "السرر" شمال غمبيا وكان لضغطهم بشدة على موارد الأرض سبباً في هجرة أعداد كبيرة منهم إلى الأراضي الخالية في شرق البلاد. وهم من أمهر زراع السنغال ويقومون بالزراعة وتربية الحيوان في آن واحد^(٣).

ويبلغ عدد سكان قبيلة "البيل" (الفولا) نحو المليون ونصف ويسودون في إقليم الكازامانس الأعلى والسنغال الأدنى ولكنهم ينتشرون بين الولوف أيضاً وهم أصلاً من الرعاة وإن كانوا يعملون بالزراعة أيضاً، ويعهد إليهم أحياناً الولوف والماندنج رعي ماشيتهم وتمتد أوطان التوكور على السنغال الأوسط بعدد يبلغ نحو ربع مليون نسمة.

وهم معروفون بإسلامهم وثقافتهم العربية، كما يكونون جالية كبيرة في داكار العاصمة وإلى جانب هؤلاء هناك الماندنج والدبولا وكل منهم يبلغ نحو ١/٤ مليون نسمة أخرى فضلاً عن عدة قبائل أخرى أقل عدداً.

في أرض السنغال هناك تداخل فريد ونادر بين المعمور واللامعمور بين الصحراء

(٢) مصطفى العلوي: محمد الخامس القاهرة ١٩٩٧ ص ٨٣.

(٣) Lewicki, T. Arabic External Sources for the History of Africa South of Sahara, London 1969 P. 210.

(٤) محمد عبد الغني سعودي . المرجع السابق ص ٢٨١.

والواحد وبين الإستييس والمزروع وبين الزراع والرعاة، وكذلك بين مجتمع القبيلة والمدينة.

والقبيلة كانت ولا زالت هي وحدة المجتمع الأساسية منذ القدم تمثل نظام مجتمع متجانس القوالب إلى حد معين إلا أنها كانت وما زالت تخلق مشكلة القبيلة وروح العصبية الضيقة والولاءات المحلية المحافظة التي لا تتلاءم كثيراً مع الوطنية ومقوماتها وبذلك تصيب النسيج السياسي والوحدة الوطنية بالتفتت والتمزق^(١).

إن النظام القبلي هو المحور الذي تدور حوله الحياة الإجتماعية في السنغال ولا شك أن لهذا النظام آثاراً سياسية وإقتصادية بعيدة المدى ونظراً لإهمال الإدارة الفرنسية للتعليم في البلاد فإن الإنتماء للقبيلة والمحافظة عليه ظل القوة الرئيسية التي حكمت العلاقات الإجتماعية وتستمر لتكون من أهم العقبات التي تقف أمام بناء الأمة السنغالية ووحدتها السياسية^(٢).

وأشهر قبائل السنغال هي الولوف Wolof والسرر Serer وهم يكادوا يقتربوا منهم والليبو Lebu وقد وصل تعدادهم سنة ١٩٤٨ على النحو التالي:

٧٠٨.٥٠٠، ٢٧٣.٥٠٠، ٥٣.٠٠٠ نسمة وإذا ما كان تعداد السنغال في ذلك الوقت ١/٤ ٢ مليون يتضح لنا أن مجموع هذه القبائل الثلاث الكبرى هي مليون وخمسة وثلاثون ألف نسمة أي أن أكثر من نسبة ٥٠% تشكلها القبائل الرئيسية فإذا ما أضفنا إليها بعض القبائل الصغرى لوضح أن التعداد القبلي للسنغال يصل إلى أكثر من مليون و ١/٤ بمعنى أن التركيبة الأثنوجرافية لا يزال مسيطراً عليها التركيبة القبلية^(٣) خاصة إذا حذفنا من تعداد السكان عدد الأوربيين والبيض ومعظمهم من الفرنسيين ويصل تعدادهم في نفس التاريخ نحو ٥٥ ألف نسمة وبالطبع فإن شيوخ القبائل في السنغال كان لهم النفوذ الأكبر على قبائلهم^(٤).

وبالرغم من أن ٧٥% من سكان السنغال في المدن، والتي نشأت وتطورت خلال الفترة الإستعمارية على طول طرق النقل وزادت نمواً مع نمو تجارة الفول السوداني إلا أن قسماً كبيراً ينتمي للقبيلة يعيش في تلك المدن.

ويمكننا أن نعد أكثر من ١٥٠ لغة أو لهجة في المنطقة الممتدة من شاطئ السنغال إلى

(١) Mararvi, On the concept: we are all Africa journal of political science Review, March 1963 P. 110.

(٢) Panikan P., Revolution in Africa, Bombry 1961 P.P.: 210 – 212.

(٣) W. L. M Mackenzine, Five Elections in Africa Oxford press 1960 P. P.: 281 – 282.

(٤) P. Mercier, Evolution of Senegalese elites, International social science Bulletin, vol VIII 1956 P. 443.

تشاد ولئن كانت اللغة العربية قد تسربت إلى هذه اللغات جميعها بفضل إنتشار الدين الإسلامي فإن الإستعمار رغبة في السيطرة وتشجيعاً لبعض القبائل الموالية، ساعد على توحيد عدة لهجات أو لغات ودمجها في بعضها كما ساعد على إزدهار بعض اللغات الواسعة الإنتشار كلغة الولوف "Wulof"^(١) ويتميز شعب الولوف المنتشر في حوض السنغال الأدنى بقامته الطويلة وشعره الأسود الفاحم وذكائه المتوقد وحضارته الراقية بسبب إختلاطه مع المسلمين من بربر وعرب زمناً طويلاً حيث إمتدت العلاقات بين سكان المغرب وسكان السنغال منذ القرن الثامن الميلادي وبسبب دخول هذا الشعب في الإسلام منذ أمد طويل (منذ القرن العاشر الميلادي).

وينتسب إلى هذه المجموعة شعب سيرير Sérère القاطن بالقرب من دكار وفي هذه المجموعة غير شعب التكرور Tekrour المسمى بإسم البلاد التي سكنها قديماً (في شمال حوض السنغال الأسفل).

وينتشر هذا الشعب حالياً في منطقة فوتا السنغالية ولقد طرد البربر قديماً هذا الشعب من الضفة اليمنى لنهر السنغال من بلاد تكرور إلى الضفة اليسرى لهذا النهر من بلدة داغانا Dagana إلى بلدة مدينة Médine وهناك مجموعة ثانية هامة جداً من السكان هي شعب ماندي Mende الذي ينتشر من منطقة السنغال الأعلى وقد لعب هذا الشعب الدور الأكبر في أفريقيا الغربية وكان من أثر سيطرتهم أن إمتزجوا بكثير من القبائل القاطنة فيها ولذلك أصبح من الصعب جداً معرفة أصل هذا الشعب القديم، وهناك قبائل البامبرا Bambar والتي تنتشر في حوض السنغال الأعلى. وهناك شعوب البوهل التي تنتشر من السنغال إلى تشاد.

ومن الجدير بالذكر أن هذه القبائل وإن كان السنغال موطناً رئيسياً لها إلا أنه لم يمنع ذلك من وجود إمتداد لهم في معظم دول غرب أفريقيا، وإن كانت هذه القبائل لم تعترف بالحدود الهندسية التي خطتها الإستعمار سواء الفرنسي أو الإنجليزي لمنطقة غرب أفريقيا وقد ساعد ذلك التلاقي على إستمرار التواصل الثقافي في صورة قبلية من عادات وتقاليده.

وعاشت هذه القبائل على ثقافة الرعي وثقافة الزراعة ومن ثم لا نستغرب إن وجدت بينها وبين مثيلاتها من قبائل الشمال الأفريقي وبالذات المغرب الكثير من الإتصالات والصلات.

والمجتمع القبلي يعتمد على الترحال في جزء منه وعلى الزراعة في جزء آخر وكذلك يعتمد على السلطة الأبوية وهو ما نراه عادة عند القبائل العربية، ومع هذا فإن النساء يتمتعن بحرية تامة، فهن يقمن بنصيب من النشاط العام كما ينتقين أزواجهن، كما لا يوجد هناك تعدد

(٢) نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في أفريقيا الغربية . الجزائر ١٩٧٥ ط ٢ ص ١٥.

في الزوجات بالإضافة إلى أنهن لا يضعن الخمار على وجوههن... كما أن وضع الأولاد الاجتماعي يتحدد بواسطة الأم وبالرغم من أن غالبية هذه القبائل تدين بالإسلام إلا أن كل منهم يتمتع بمعتقدات خاصة وينكرها الإسلام^(١).

(١) نعيم قداح: المرجع السابق ص: ٢٥ - ٢٦.

المبحث الرابع

دور النخبة السياسية في كلا البلدين في تنمية العلاقات الثقافية

النخبة في المغرب:

نواة تكوين أي نخبة في بلدها هي المنظومة التعليمية... ومنذ سنة ١٩١٢ عندما فرضت فرنسا حمايتها على المغرب، أصبح المغرب تقريباً أرضاً فرنسية، وبرغم المقاومة الشعبية التي أبدتها المغاربة إلا أن فرنسا لم تلبث أن إحتلت البلاد إحتلالاً يكاد يكون كاملاً عن طريق إستخدام الآلة العسكرية الفرنسية... وإذا كانت القوة تبني الإمبراطوريات إلا أنها ليست هي التي تضمن لها الإستمرار والدوام... لأن الرؤوس تتحني أمام المدافع في حين تظل القلوب تغرس نار الثأر والرغبة في الإنتقام، وفكرت فرنسا أنه يجب إخضاع النفوس بعد أن تم لها إخضاع الأبدان... ولم يكن ذلك إلا من خلال وضع نظام تعليمي يلغي كل أثر للوطنية ويمحو كل وجود للإنتماء وقد نجحت فرنسا إلى حد ما في فرنسة المغرب.^(١)

وقد ميزت فرنسا سكان المغرب في ثلاث طوائف هم المسلمون واليهود والأوربيون ولكل طائفة ثقافتها الخاصة وتعليمها الخاص والتجديد أو التطوير الذي سيكون مع الحماية الفرنسية إدخاله على التعليم يجب أن يراعي في نظره هذا التقسيم الطائفي أولاً كما يجب أن يراعي الوصفية الخاصة لكل طائفة.^(٢)

وبالنسبة للمغاربة المسلمين يلاحظ أنهم يشكلون طبقات متميزة: طبقة النخبة وهي متعلمة مثقفة نسبياً وتتكون من رجال المخزن [جهاز الدولة] والعلماء وكبار التجار والأعيان، وطبقة الجماهير التي تقيم في المدن الجاهلة المحرومة. وطبقة جماهير البادية المنعزلة المبعثرة.

وهكذا رسمت فرنسا سياستها لكي تضم إليها طبقة الأعيان وكبار التجار والعلماء ورجال المخزن لكي تحول ولائهم نحو الوجود الفرنسي وكان الفرنسيون يعرفون جيداً الآثار السياسية والإجتماعية التي كانت لحركات الإصلاح التي قام بها أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والتي كانت تستهزئ العرب والمسلمين لمقاومة الإستبداد^(٣) والإستعمار، كما كانوا على علم بأصداء هذه الحركات النهضة التي كانت تتردد في المغرب وفي أوساط العلماء بجامعة

(١) أنظر الإتفاق القضائي بين المغرب والسنغال ملحق رقم (٥).

(٢) بوقطار الحسان: السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام ١٩٦٧ ببيروت ١٩٨٧ ص: ١٥ . ٢٢.

(٣) محمد عبد العاطي جلال: الإستعمار الفرنسي في مراكش . القاهرة ١٩٥٤ ص ٨٧.

ولقد وجد الفرنسيون أنفسهم بصدد هذه الجامعة أمام إختيارين:

إما تركها تلفظ أنفاسها الأخيرة وفي هذه الحالة سيتجه أبناء المغاربة الراغبين في الدراسات الدينية والإسلامية إلى المشرق مركز حركات الإصلاح والنهضة ومقاومة الإستعمار... وإما تجديد هذه الجامعة تحت إشرافهم وبمراقبتهم وتوجههم، الشيء الذي سيمكن من الإبقاء على الشبان المغاربة في بلادهم وبالتالي تلافي إحتكاكهم مع نهضة الشرق إحتكاكاً مباشراً.

وهذا فعلاً ما وقع عليه إختيارهم ... فقد إحتفظت الحماية دون تردد بالتعليم القائم في هذه المساجد وعملت على ترميمه وعلى إعادة جامعة فاس إلى سابق عهدها، ففرنسا وجدت أن تجديد القرويين سيمكنهم من الإحتفاظ بالمغرب والحفاظ على أولئك الشبان النازحين من عائلات مرموقة بدلاً من تركهم يذهبون إلى الشرق لتلقي العلم الذي ستحرمهم منه القرويون في حالة عدم تجديدها.

ولكن هذا الإصلاح كان شكلياً^(٢)... وكانت فرنسا تتبع في ذلك الوقت المثل القائل لا تحرك من لا يحرك ساكناً ولكن عندما يتلمل النائم ويهدد بالإستيفاظ فإن الحكمة تقتضي ولا شك، أن لا يترك الإنسان نفسه يفاجأ بالأحداث.

ولكن السياسة التعليمية^(٣) الفرنسية بدءاً من سنة ١٩٣٠م تبدأ في التغيير حيث بدأت فرنسا تهتم بما يعرف بـ "الظهير المغربي" والذي كان يهدف إلى النيل بصورة مباشرة وخطيرة من الكيان المغربي وهو منبه العربية الإسلامية، وذلك بالفصل بين ما كانت سلطات الحماية تسميه العنصر العربي من جهة والعنصر البربري من جهة ثانية فصلاً حضارياً شاملاً وكان المقصود من تلك السياسة فرنسة وتنصير القسم الأكبر من الشعب المغربي "البربر".

وقررت الحماية الفرنسية إنشاء ما أسمته " المدارس الفرنسية البربرية" وهى المدارس التي كان الهدف منها خلق جيل مقطوع الصلة تماماً بالتراث العربي الإسلامي من جهة ومنتشع أكثر بالتراث الفرنسي والقيم الحضارية الغربية من جهة أخرى.

ولم يكن مجموع الأطفال المغاربة الذين ضمتهم المدارس الفرنسية بالمغرب حتى سنة

(١) محمد عابد الجابري: السياسات التعليمية في أقطار المغرب . تونس . الجزائر . عمان ط ٢ ١٩٩٠م ص: ٢١ - ٢٢.

(٢) علي عودة العقابي: العلاقات السياسية الدولية ببنغازي ١٩٩٦ ص: ٦٣ . ٦٧.

(٣) عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في المغرب القاهرة ١٩٥٨ ص: ٥٣ . ٥٧.

١٩٢٠م يتجاوز سبعة آلاف طفل. وفي سنة ١٩٣٨م كان مجموع تلاميذ المدارس الابتدائية المخصصة للأطفال المغاربة المسلمين لا يتجاوز ٢٣.٢٧٠ طفل مقابل ٦٠٨ تلميذاً في الثانوي، هذا بينما كان عدد تلاميذ المدارس المخصصة لأبناء الأوربيين يتجاوز ٣٤ ألف طفل ويمكن أن نتبين الدلالة العميقة لهذه الأرقام إذا لاحظنا أن عدد اليهود لم يكن يتجاوز واحداً من سبعة وثلاثين بالنسبة للمغاربة المسلمين^(١).

أما في سنة ١٩٤٥م . أي بعد ٣٢ سنة من فرض الحماية فلم يكن عدد الأطفال المغاربة المسلمين المسجلين في المدارس الابتدائية يتجاوز ٤١.٤٩٠ طفل مقابل ١.٠٠٣ في الثانوي وهذا يعني أن نسبة الأطفال المغاربة المسلمين الملتحقين بالمدارس لم تكن تتجاوز ٢.٧% بالنسبة لمجموع الأطفال البالغين سن الدراسة^(٢).

نعم لقد تغيرت الصورة بعض الشيء خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٤٤ (وهي سنة المطالبة بالإستقلال) وسنة ١٩٥٥ (وهي سنة الإعتراف الفعلي به) وذلك نتيجة لظروف الحرب العالمية الثانية ولنضال الحركة الوطنية^(٣).

ويمكن القول أن الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب المغربي قد بقيت طوال عهد الحماية بدون تعليم.

وقد شكل المغرب فور إستقلاله "لجنة ملكية لإصلاح التعليم" عقدت أول إجتماع لها يوم ١٩٥٧/٩/٢٨م وقد أقرت هذه اللجنة المبادئ الأربعة التالية:

التعميم والتوحيد والتعريب والمغربة كأساس لـ "مذهب التعليم في المغرب" ويهمنا هنا التعرض للتعليم العالي بصفته البوتقة التي تعد من خلالها النخبة التي سيكون لها الصدارة في مادة الوطنية والإنطلاق به نحو التنمية والتدريب كانت أعداد من الطلبة في سنة ١٩٥٩م كما يلي:

كلية العلوم ٨٤٢ طالباً، كلية الحقوق ١.٧٢٥ طالباً، كلية الآداب ٨٢١ طالباً، غير أن هذه الأعداد تفقد قيمتها إذا عرفنا أن جل المنتسبين للتعليم العالي في تلك الفترة كانوا من أبناء الأوربيين ويتجلى ذلك من نتائج السنة الدراسية في العام الدراسي ١٩٥٩/١٩٦٠م كانت كما يلي:

(١) المرجع السابق ص ٢٧.

(٢) هشام شرايبي: المثقفون العرب والغرب بيروت ١٩٧١ ص ص: ٧٣ . ٧٧.

(٣) السائح الحسن: الحضارة المغربية عبر التاريخ الدار البيضاء ١٩٧٥ ص ص: ٥٣ . ٥٦.

نجح في إجازة العلوم ٤٠٩ طالباً منهم ١١٦ مغربياً فقط، وفي كلية الآداب حصل على الإجازة ١٨٨ كان عدد المغاربة فيهم ٨٤ فقط ونجح في تخصصات مختلفة ٥٩ طالباً منهم ٢٨ مغربياً.^(١)

أما بالنسبة للأطر من معلمين وأساتذة فنتشير الإحصائيات إلى أنه كان هناك سنة ١٩٥٩ نحو ١٥.٨٦٥ مدرساً بالإبتدائي والإعدادي والثانوي معاً.

كان عدد المغاربة في الإبتدائي يزيد قليلاً على النصف والنصف الآخر كانوا فرنسيين من الحملة أما في الإعدادي والثانوي فقد كانت نسبة المدرسين الأجانب تتجاوز ٨٦% ولم يكن إرتفاع عدد الأجانب (الفرنسيين أساساً) راجعاً إلى الموروث عن الحماية الفرنسية وحسب، بل لقد كان عددهم يزداد كل سنة لأن طلبات المغرب المستقل من المعلمين والأساتذة الفرنسيين والأجانب الآخرين كانت تتزايد بتزايد عدد التلاميذ في المدارس، وهكذا كان المغرب يتلقى كل سنة مئات من المعلمين الفرنسيين الجدد ولم يبدأ عددهم في الإنخفاض إلا ابتداءً من سنة ١٩٦١م بينما تلقى المغرب ٤٠٠ معلم فرنسي جديد فقط، أما أساتذة الإعدادي والثانوي فقد بقيت نسبة الأجانب^(٢) فيهم مرتفعة إلى السبعينات.

ويمكن القول أنه على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها المغرب في السنوات الأربعة الأولى من إستقلاله فإنه لم يتمكن من قطع خطوات حاسمة ثابتة ومنتظمة لا في مجال التعليم ولا في مجال تكوين الأطر ويمكن للمرء أن يلتمس الأعذار لذلك من الصعوبات التي كانت قائمة منها الصعوبات المالية ومنها النمو الديموغرافي المرتفع.

وقد جاءت النتائج العملية لحصيلة عمل الحكومات الفرنسية في السنوات الأولى من الإستقلال في ميدان التعليم قد جاءت متناقضة تماماً مع المذهب التعليمي الذي تم إقراره والذي إعتمدت فيه المبادئ الأربعة (التعميم والتوحيد والتعريب والمغربة) التي حظيت بالإجماع الوطني... ويمكن القول أن السياسة التعليمية في المغرب بقيت إلى حدود سنة ١٩٨٠م خاضعة لما يمليه الواقع^(٣).

وفي الخطط الخمسية المتتالية لحكومة المغرب والتي كانت تزداد فيها بالتتابع ميزانية التعليم في المغرب على النحو التالي:

(١) أ.ح. هويكنز: التاريخ الإقتصادي لأفريقيا الغربية القاهرة ١٩٩٨ ص: ٨٣ . ٨٥.

(٢) عبد الله ساعق: المغرب وأفريقيا بعد الإستقلال الرباط ١٩٩٥ ص: ٩٣ . ٩٦.

(٣) محمد عابد الجابري، المرجع السابق ص: ٤٠ - ٤١.

سنة ١٩٥٦م كانت الميزانية تساوي ٢٠.٦% من الدخل القومي، ١٣.٤% من الميزانية العامة.

وفي سنة ١٩٧٠م إرتفعت لتكون ٤% من الدخل القومي أي ما يعادل ٢٥% من الميزانية العامة للدولة وفي الخطة التالية من ١٩٦٨ . ١٩٧٢م تحققت مغربة التعليم المغربي وتعريبه وتوحيده بصورة تكاد أن تكون شاملة.

ويمكن القول بصفة إجمالية أن المخطط الخماسي ١٩٧٣ . ١٩٧٧م قد شذ عن المخططات السابقة لأنه حقق طموحاته وتجاوز الكثير منها وقدر عدد من ينتسبون إلى التعليم العالي بنحو ١٩.٦٠٦ طالباً ولم يلبث أن إرتفع إلى الضعف في ١٩٨٠م.

وزادت حركة البعثات إلى الخارج للمساعدة في بناء كوادر علمية وثقافية وتخرج من هذه الخطط ٩.٣١٥ طالباً من مختلف المعاهد والكليات، كما إرتفع عدد المغاربة في أعضاء هيئة التدريس من الجامعات والمعاهد العليا حيث بلغ ١٩١٣م أستاذ تقريباً (مقابل ٥٧٣ أستاذاً أجنبياً) وإرتفعت منح التعليم العالي من ٢٩.٣٠ مليون درهم من سنة ١٩٧٢ إلى ٦٢ مليون درهم سنة ١٩٧٧م وإرتفع عدد الممنوحين من ١٠.٠٩٧ سنة ١٩٧٣ إلى ٢٩.٤٠٨ سنة ١٩٧٦م.

وفي الفترة من ١٩٧٨ . ١٩٨٠م وضعت خطة ثلاثية بدلاً من خطة خماسية.

وقد عرف التعليم العالي في المغرب نمواً سنوياً بمعدل ١٨% وطلبة جامعة محمد الخامس بالرباط تمثل ٤٠% من مجموع الطلبة الجامعيين بالمغرب خلال سنوات التخطيط وقد بلغ عددهم ٩١.٨٩٣ طالباً سنة ١٩٨٠/١٩٨١م مقابل ٦٧.٠٧١ طالباً سنة ١٩٧٧/١٩٧٨م بينما إرتفع عدد الطلبة المغاربة في الخارج من ١٣.٢٢٨ طالباً السنة ١٩٧٩/١٩٨٠ إلى ٢٣.١٠٠ طالباً سنة ١٩٨٠/٧٩.

وفي ضوء ما سبق يمكن أن يقال أن مرحلة بناء النخبة في الفترة ما بين الحرب العالمية الثانية والعام ١٩٨٠م كانت تسير ببطء في سنوات الضائقة الإقتصادية نوفي السنوات العادية كانت تحقق إنجازاً لا بأس به ولكن يلاحظ أن هؤلاء الذين يعدون من النخبة كانوا يضمون طائفة من العلماء ومن التجار وأولئك الذين كانوا يشكلون جسراً ثقافياً بين المغرب وجيرانه وبالذات موريتانيا والسنغال.

وكان الإستعمار لا يشجع تلك الإتصالات خاصة في السنوات الأربع الأولى بعد حصول المغرب على الإستقلال ١٩٥٦ . ١٩٦٠م لأن الإستعمار الفرنسي كان يخشى على أن

يحدث مثل ذلك الإتصال الثقافي نوعاً من اليقظة العربية لدى السنغال^(١).

ولا ننسى هنا أن المغرب الذي لم تدم فيه الحماية الفرنسية سوى ٤٤ عاماً (من ١٩١٢ . ١٩٥٦م) والذي حافظ قبل فرض الحماية عليه على إستقلاله وعزلته وعلى بنياته الثقافية والتعليمية الأصلية بعيداً عن كل تحديث منقول من الغرب كانت وطأة التركة الإستعمارية فيه سواء على البنيات والهياكل المادية أو على مستوى البنيات الفكرية أخف نسبياً مما كانت عليه التركة في السنغال حيث كانت التركة الإستعمارية في السنغال أثقل وأشد وأقوى حيث حاولت تكوين إنفصاماً في الشخصية الثقافية ليس فقط على النظام التعليمي بل أيضاً وبصورة خاصة على مستوى النظام الفكري الذي كرسه الإستعمار، وفي المغرب خرجت الحركة الوطنية والسياسية من جوف القرويين بأيدولوجية السلفية الجديدة تتبنى قضية التحديث وتعمل من أجله في إطار الكفاح من أجل الإستقلال وداخل حلف وطني ضم النخبة المثقفة التقليدية والعصرية معاً إلى جانب محمد الخامس^(٢)، وإذا أضفنا أن أعضاء النخبة العصرية في المغرب لم يكونوا يعانون جميعاً من الفرنسية التامة بل كان جهمهم على صلة ما باللغة العربية والتراث العربي الإسلامي أدركنا كيف أن الصراع حول السياسة التعليمية لم يكن صراعاً بين مغربيين وفرنسيين وإنما كان جزءاً من صراع أعمق وأشمل هو الصراع من أجل الإختيارات العامة الإقتصادية والسياسية.

بينما في السنغال كنا نجد سياسة الفرنسية تكاد تكون مهيمنة على كل السنغال.

وبالذات السنغال... فالإتصال الثقافي من جانب المغرب كان يعتبر نوعاً من الجهاد الديني لمساعدة السنغال على الصمود في العقيدة ومواجهة المستعمر المشترك^(٣).

ولعل أهم الشخصيات من النخبة من الجانب السنغالي الحاج عمر وهو شخصية إسلامية ولد في قرية حلوar الواقعة على الضفة الغربية من نهر السنغال ومن أعمال مدينة بدور الواقعة في إقليم سينلويس^(٤). وتزود بعلوم الدين والتربية الإسلامية الصحيحة من خلال إتصالاته بالدول الإسلامية المجاورة وبالأخص دولة المغرب وقام بعدة رحلات إلى خارج السنغال

(١) Adu Boahen, Colonialism in Africa and its impact and significance, General history of Africa (abbreviated to GHA) VII unesco pans 1985 P. 793.

(٢) محمد عبد المنعم إبراهيم: الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الأفريقي القاهرة ١٩٥٨ ص: ٣٧ . ٤٢.

(٣) J. F. Ade A jayi: The impact of colonialism on Afro Arab cultural relations in west Africa, in Afro – Arab – cultural relations, Yusuf Fadi Hassan (ed) Tunis 1985 P. P.: 65 – 72.

(٤) الحسن يرولي: جهاد الحاج عمر الفوتي تال نظرياً وتطبيقياً مجلة الدراسات الأفريقية العدد العشرون ١٩٩٨ . (يصدرها سنوياً معهد البحوث والدراسات الأفريقية) جامعة القاهرة ص٥٣.

إستغرقت نحو عشرين عاماً^(١).

ولا نستغرب أن الحاج عمر كان عالماً حطم الرقم القياسي في سعة الإطلاع وعمق الفهم للمواد العلمية والفكرية والثقافية منها الإسلامية والأجنبية السائدة في العصور التي سبقتها وفي عصره. وقد عمل مدرساً حريصاً على تكوين أبناء جيله وفيلسوفاً عرف بالحكمة الدقيقة وحسن الإخلاص في إبراز فكره وكان شاعراً وخطيباً بليغاً يستحوذ على السامعين وكان محباً للإنسانية وغيوراً للإسلام^(٢).

وهكذا يمكن إعتبار الشيخ عمر الفوني جسر تواصل ثقافي بين النخبة في المغرب وفي السنغال وسار أتباع الشيخ على نفس النهج حيث كانوا يرسلون من لدنهم من يعيش في المغرب فترة ويعودون إلى السنغال مزودين بأسلوب الشريعة الإسلامية الصحيحة^(٣).

ولا يجب هنا أن ننسى أن الهجرات البشرية الثقافية بين البلدين لم تنقطع أبداً بإعتبار أن الأفكار لها أجنحة تتجاوز حدود الهجرة البشرية وكان إنتشار الإسلام في البلدين رابطاً روحياً يجمع النخبة في البلدين^(٤).

ولاشك أن اللغة كانت أهم مكون ثقافي في عملية التواصل بين المغرب والسنغال فالذي لا شك فيه أن اللغة العربية كانت لغة التخاطب بين المغرب والسنغال فقد أسهمت في دعم عملية التواصل فهي لغة القرآن الكريم وذات أدب وتراث عريق^(٥).

(٣) شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي د. ت ص ٢٩٤.

(٤) الشيخ موسى كمر: أشهى العلوم وأطيب الخبر في تاريخ الحاج عمر . مخطوطات شيخ موسى كمر . المعهد الأساسي لأفريقيا السوداء . جامعة شيخ أنتاجوب دكار ١٩٧٠ ص ٥.

(٥) التعاون العربي الأفريقي: منظور تاريخي ورقة غير منشورة قدمت للجامعة العربية ٢٠٠٣ (إعتمد في كتابتها مؤلفها يوسف فضل حسن على بعض وثائق الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية).

(٦) تعتبر أفريقيا ثاني أكبر القارات مساحة إذ تبلغ مساحتها (بما فيها الجزر المجاورة لها) ٣٠.٢٧٧.١٣٥ كم.م ومع أنها تحتل ٢٠% من المساحة الكلية للكرة الأرضية فإنها تمثل نحو ١٠% من العمران البشري في سائر العالم.... وكان التواصل بين شعوبها واضحاً وبالذات بين الشمال والجنوب وعامله الرئيسي هو إنتشار الإسلام في معظم دولها.

أنظر: Africa Encyclopaedia Britannica 1990 P. 246.

(١) تحتوي القارة على أكثر من ثمانمائة لغة تنتمي إلى أربع أسر لغوية فضفاضة ويغلب فوق العدد بين التجزئة والتباعد يوسف فضل حسن إنتشار الإسلام في أفريقيا الخرطوم ١٩٧٩ ص: ١، ٣، هـ. أولدروج: الهجرات والإختلافات السلوكية واللغوية . تاريخ أفريقيا العام باريس ج ١ ص ٢٨٥

الفصل الرابع

العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسنغال

١٩٦٠ - ١٩٨٠ م

المبحث الأول التطور الاقتصادي في المغرب:

لم يكن الإستقلال السياسي للمغرب سنة ١٩٥٦ إلا مرحلة من مراحل الصراع الاقتصادي الذي يتمحور في إعادة هيكلة هذا الإقتصاد الذي غير بنيانه أربع وأربعين سنة من الإستعمار، وفي هذا الإطار فقد كان يواجه المغرب تحقيق عدة أهداف:

١. إعادة التوازنات الأساسية للإقتصاد المغربي والتي تنحصر في البنية الثنائية وتعايش قطاع التصدير وقطاع الإكتفاء الذاتي (هيكلة القطاعات المنفرقة التي لا يرتبط بعضها ببعض وهذا فيما يخص الإقتصاد^(١) على الصعيد الداخلي).

وللقضاء على هذه التبعية يجب خلق إقتصاد وطني مندمج... وقد بدأ المغرب في تحقيق هذه المهمة الصعبة في بداية الستينيات التي عرفت ظهور التخطيط المغربي:

■ مخطط سنة ١٩٦٠ . ١٩٦٤ الذي عرف عراقيل في التطبيق بسبب النقص في رؤوس الأموال وإتبع هذا المخطط مخططات أخرى نهجت أسلوباً ليبرالياً.

■ مخططات ١٩٦٥ . ١٩٧٦ و ١٩٦٨ . ١٩٧٢... ومع كل هذه الجهود التي بذلت برامج التمويل والإستثمار.. فإن هذين المخططين لم يحققا الأهداف المنتظرة، بل عرف الإقتصاد المغربي ضعفاً في معدلات النمو وإرتقاعه في البطالة... ثم بعد ذلك ظهر نوع آخر من المخططات التي تهدف إلى الرفع من مستوى الإقتصاد وذلك بإتباع سياسة إقتصادية تعتمد على بعض الأولويات التي ستتطرق إليها خلال دراستنا لمخطط ١٩٧٣ . ١٩٧٧ ومخطط ٧٨ . ١٩٨٠، و ١٩٨١ . ١٩٨٥^(٢).

(١) المتولي السعيد أحمد: هجرة العمالة بين بعض دول أفريقيا وأثرها على التنمية الاقتصادية . رسالة ماجستير غير منشورة . القاهرة .

ص: ٢٣ . ٣٠.

(٢) العمراني مولاي أحمد: إقتصاد المغرب، مراكش ط ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ ص ٩.

ولكن للأسف فإن كل هذه الخطط واجهت عدة مشاكل داخلية وخارجية أدت إلى ترسيخ الأزمة الإقتصادية، فعلى الصعيد الداخلي عرف الإقتصاد المغربي عدة تقلبات في أثمان المواد الأساسية التي يعتمد عليها المغرب في توازناته الإقتصادية، الشيء الذي ينتج عنه الأزمة المالية التي أدت إلى وقوع المغرب في الديون والتضخم المالي وزاد في صعوبة الوضع الإقتصادي إزدياد حالة الجفاف الذي إجتاح المناطق العلاجية والذي دام منذ ١٩٧٧ حتى ١٩٨٥.

أما على الصعيد الدولي فقد كان للأزمة العالمية تأثير على الإقتصاد المغربي:

إنهيار منهاج النقد الدولي وأزمة النفط وركود إقتصاد الدول الصناعية والحماية التي بدأت الدول الأوروبية تطبيقها على البضائع المغربية.

وعلى هذا الأساس يمكن حصر الإشكالية الإقتصادية للمغرب في كونه من الدول التي قامت بمجهودات جبارة لتحقيق تنمية إقتصادية وإجتماعية أدت كباقي الدول إلى اللجوء إلى الإقتراض من الخارج وذلك بعد وضعه المخطط ١٩٧٣ . ١٩٧٧.

ولكن هذه الإشكالية ليست منحصرة في شكل المديونية ولكنها مرتبطة بجميع القطاعات وجميع الميادين:^(١)

فعلى الصعيد الداخلي:

هناك عدة مشاكل متشعبة ومتداخلة فيما بينها يصعب على المحلل أن يبحث عن حل جزئي لكل منها نسرد بعضها كأمثلة وليس كحصر:

- مشكلة الإسكان الناتجة عن التطور السريع لعدد السكان.. وكذا التطور الذي يعرفه المغرب من حيث سرعة التمدن الناتج عن رفع المستوى الثقافي.
- مشكلة الهجرة القروية التي تعتبر مشكلة إقتصادية وأيضاً مشكلة إجتماعية.
- مشكلة التشغيل التي تؤثر على كل الجوانب بما فيها الإجتماعية والسياسية والإقتصادية وذلك نتيجة قلة الإستثمار وعدم توافقه مع متطلبات الإقتصاد.

(١) أنظر: فيليب رفلة: الجغرافيا السياسية لأفريقيا مكتبة النهضة العربية - بيروت ١٩٧٣ ص ٤٧٥، محمد عبد الغني سعودي: أفريقيا - دراسة شخصية الأقاليم - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة بلا تاريخ ص ٢١٥.

- مشكلة الغذاء وعدم قدرة المغرب على تحقيق الإكتفاء الذ اتى وهو البلد الذي يعتبر بلداً فلاحياً فهو مصدر لمواد فلاحية ولكنه في نفس الوقت يستورد كميات هائلة من المواد الغذائية.

- مشكلة عجز الميزانية وعدم قدرة الدولة على تسديد ديونها سواء الداخلية أو الخارجية فمداخيل الدولة ليست كافية لتمويل نفقاتها.. الشيء الذي نتج عنه تطبيق سياسة التقشف منذ عام ١٩٨٢.

أما على الصعيد الخارجي:

فنطرح عدة إشكاليات بشكل التوازنات الخارجية:

- إشكالية التجارة الخارجية التي تعرف عجزاً مستمراً منذ الإستقلال، فمعدل تغطية الواردات بالصادرات لا يتعدى في متوسطه أكثر من ٥٠% سنوياً إلا في بعض الحالات التي وصل فيها إلى ٧٦% سنة ١٩٧٤ واستمر حتى ١٩٨٥.

- إشكالية العجز في الميزان:

فهناك الديون التي وصلت أوجها في سنة ١٩٨٥ مما إضطر المغرب إلى مطالبة المؤسسات الدولية بإعادة جدولة ديونه خلال أربع مرات.^(١)

وهكذا يمكن القول أن الإقتصاد المغربي كان مريضاً في شمول مفرداته تشمل جميع الواجهات على الصعيد الداخلي والخارجي.

وفيما يلي تفصيلاً لحالة الإقتصاد المغربي:

لقد كان المغرب يستورد في سنة ١٩٥٦ ما قيمته ١٦١ مليار من الفرنك أي ما يعادل ٢٣% من مجموع الدخل الوطني، وكانت نسبة المنتجات المعدنية المصدرة تقدر بـ ٣٢% من مجموع صادرات المغرب، أما المنتجات الزراعية المصدرة فقد كانت تقدر بـ ٤١.٦% من الصادرات المغربية.

(١) Unido: Industry and an External Debt in Africa A preliminary Analysis Industry and Developemnt No. 17 Vienna 1986 P. P.: 25 -36.

وبعد حصول المغرب على الإستقلال عن فرنسا كان ينتمي إلى منطقة الفرنك التي تطبق رسوماً جمركية موحدة وكان هذا النوع من التبادل يربط المغرب بفرنسا إرتباطاً وثيقاً يجعل من التبادل التجاري المغربي مع هذه الدولة تبادلاً تنعكس عنه العلاقات الأخرى خصوصاً الثقافية والاجتماعية.^(١)

وقد كانت فرنسا تعتبر السوق الطبيعي للمنتجات المغربية وقد بدأ هذا النوع من التبادل عقب الحرب العالمية الثانية حيث مكنت فرنسا بعض المنتجات المغربية من الدخول إلى السوق الفرنسية والجدول التالي يوضح التبادل الخارجي للمغرب في سنة ١٩٥٦ :

البلدان	الصادرات	الواردات
فرنسا	٥٣ %	٤٩ %
الجزائر	٥.٣ %	٤.٩ %
تونس	٥.٢ %	٢.٣ %
باقي منطقة الفرنك	٤.٨ %	٢.٧ %
دول السوق المشتركة	١٨ %	١٢.٦ %
دول أوروبا الإشتراكية	١.٤ %	١.١ %
دول أفريقيا	١.٦ %	٠.٤ %
باقي الدول	١٠.٧ %	٢٧ %

وكانت ثاني دولة لها علاقات إقتصادية مع المغرب هي ألمانيا الغربية ٦.٨ % وتليها الولايات المتحدة ٨.٥ %.

ومع تلك النسبة الكبيرة في الصادرات والواردات من وإلى المغرب فإنه يلاحظ أن المغرب كان أكثر إستقلالية نحو فرنسا بالدول المنظمة إلى منطقة الفرنك.^(٢)

وكان النظام المالي المغربي في فجر الإستقلال يختص بعدم وجود رصيد داخلي، وذلك لإنتماء المغرب إلى منطقة الفرنك الفرنسي وذلك بسبب حرية تبادل العملات داخل هذا السوق.^(٣)

(١) قبل عهد الحماية حاولت كل الدول القوية آنذاك أن تربط علاقات تجارية على أساس إتفاقيات مع سلطان المغرب، وهذه البلدان هي: فرنسا، بريطانيا، أسبانيا، الولايات المتحدة وبلجيكا وإيطاليا والنمسا والمجر والبرتغال وهولندا، وبفضل هذه الإمتيازات البيت أحرزت عليها هذه الدول من طرف السلطات المغربية تمكنت من تمكين نفوذها داخل المغرب.
ففي بداية القرن الـ ١٩ كانت أغلب الدول تربطها مع المغرب علاقات سلمية بحكم موقعه الجغرافي (البحر المتوسط) ولكن هذه الإتفاقيات بقيت غامضة لأنها لم تتطرق إلى جميع الجوانب الإقتصادية، بل كانت تنحصر في عبور البواخر ولهذا السبب كان من الضروري تعويض هذه الإتفاقيات بعلاقات تلائم متطلبات الظروف العصرية.

(٢) عبد المنعم الصاوي: دليل القارة الأفريقية - القاهرة ص ١٢٢.
(٣) محمد رياض وكوتر عبد الرسول: أفريقيا ودراسة لمقومات القارة - دار النهضة العربية ببيروت ١٩٧٣ ط ٢ ص من: ٢٢٥ - ٢٢٨.

وفي سنة ١٩٥٦ كان حساب العمليات لبنك المغرب مدين بـ ٢٩.٧ مليار من الفرنكات القديمة وكانت هذه المديونية ناتجة عن هروب رؤوس الأموال إلى فرنسا وإن كان البعض يقول أن الرقم الصحيح هو ١٤١.٧ مليار كما قدرته اللجنة النقدية لمنطقة الفرنك الفرنسي.^(١)

وكان فائض التحويلات الخاصة بين فرنسا والمغرب يصل إلى ٦٠.٥٠ مليار فرنك قديم.

وقد إرتكزت السياسة المالية الخارجية للمغرب في السنوات الأولى من الإستقلال على ثلاثة أهداف:

١. رغبة المغرب في قطع القيود المالية مع فرنسا.

٢. رغبة المغرب في منع هروب رؤوس الأموال.

٣. رغبة المغرب في رفع سيادته فيما يخص السياسة المالية.

هذا وقد دام إرتباط السياسة المالية للمغرب بالسياسة المالية الفرنسية إلى سنة ١٩٥٧ حيث قررت فرنسا أن تنقص قيمة عملتها وقررت بيع العملات إلى المستوردين بثمن يفوق الثمن العادي بـ ٢٠% يرد عند التصدير.^(٢)

وقد خلقت هذه العملية إستياءً في الأوساط المغربية التي تمكنت من فرض بعض التعديلات في ١٩٥٨ .

والجدولين التاليين يوضحان رصيد التحويلات الخاصة بين المغرب وفرنسا (بملايين الفرنكات):

السنو السنو	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠
الدورة الأولى	٢٧.٧	٧.٤	٢٢.٧	٥٨	٥.١

(١) إن المغرب ينتمي إلى منطقة الفرنك يحكمه بلد تربطه علاقة إستعمارية مع فرنسا وتعتمد هذه المنطقة على الأسس التالية:

- توحيد مراقبة الصرف.
- تمثيل المغرب في الهيئات التجارية الدولية من طرف فرنسا.
- الإستيراد المغربي يتم بدون عملات، وقد كان المغرب هو البلد الوحيد في منطقة الفرنك الذي يحوز على هذه الميزة التجارية.

كما أن هناك تكافؤاً أو تعادلاً بين النقد الفرنسي والنقد المغربي بحيث أن أي نقص في قيمة الفرنك الفرنسي يؤدي حتماً إلى نقص في قيمة الوحدة المغربية.

(٢) وزارة الخارجية العراقية:

دليل المعلومات عن دول العالم - دار إقتصاديات الشرق - بريد كولونيا - ألمانيا الإتحادية عام ١٩٨١ ص ٢٢٥.

الدورة الثانية	٤٢.٠	٢٥.٥	١٧.٣	٢٢.٣	٦.٩
الدورة الثالثة	٣٦.٧	١٥.٥	٢٢.٥	٦.٢	٢٠.٢
الدورة الرابع	٣٧.٨	٢١.٦	١.٨	١٣.٤	١٠.٣

والجدول التالي يوضح التحويلات العامة والعجز التجاري (ملايين من الفرنكات):

السنوات	المغرب - فرنسا	فرنسا - المغرب	العجز التجاري
١٩٥٦	٤٢	١٠٥.٥	+ ١٤.٤
١٩٥٧	٢٦.٨	٩٠.٤	- ٠.٤
١٩٥٨	٦٠.٧	٦٨.٨	- ٥٠.١
١٩٥٩	٧٢.٩	٥٠.٩	- ٨.٥
١٩٦٠	٣٢.٣	٣٤.٧	+ ١٤.٧
١٩٦١	٤٥.٥	١٥.٨	+ ٣١.٢

ويلاحظ أن التحويلات العامة عرفت إنخفاضاً منذ ١٩٥٦ وذلك للأسباب التالية: (١)

. قطع المساعدات المالية من طرف فرنسا.

. تسديد ديون الخزنة. (٢)

- إفراغ القواعد العسكرية الفرنسية ١٩٦١ الذي أدت إلى ضرر كبير للسلطات المالية المغربية الشيء الذي دفع بالسلطات المغربية إلى إستعمال إحتياطي كبير من العملات الأجنبية وذلك لتغطية شراء العملة الفرنسية.

السياسة التجارية للمغرب المستقل:

إضطرت السلطات المغربية المتعلقة بالتجارة الخارجية أن تركز على سياسة تجارية تمكن المغرب من السيطرة على هذا القطاع ذو الأهمية الكبرى في الميزان الإقتصادي فكان من الضروري تحقيق أهداف مترابطة فيما بينها:

United Nations:

Hand book of International trade and development statistics 1983 P. P.: 211 – 213.

(٢) أنظر الملاحق: بروتوكول ملحق الإتفاقية التجارية بين حكومة المملكة المغربية وحكومة جمهورية السنغال ملحق رقم (١).

سياسة حمائية تمكن من تحقيق توازن الميزان التجاري وذلك بتخفيض الوزارات وتنويع جغرافي للتبادل التجاري حتى يتمكن المغرب من التأثير على نسب معدلات التبادل وكذلك التوازن الجزئي لميزان الأداءات.^(١)

وقد خلقت المغرب مؤسسات متخصصة للإهتمام بإقتصادها منها المكتب الشريف للتصدير ومهمته التغيب للأسواق الجديدة.

والبنك المغربي للتجارة الخارجية الذي أسس في عام ١٩٥٩ والذي يعتمد على رؤوس الأموال العامة المغربية وعلى رؤوس الأموال الخاصة المغربية الأجنبية (سواء العامة منها أو الخاصة).

والجدول التالي يوضح هيكل الصادرات المغربية:^(٢)

١٩٥٨	١٩٥٧	١٩٥٦	السنوات الصادرات
% ٤٣	% ٤٦	% ٤٨	المواد الغذائية (التبغ - مشروبات)
% ٣٩	% ٣٦	% ٣٢	المواد الخام من أصل معدني
% ٥	% ٥.٥	% ٦.٥	المواد النصف مصنعة
	% ٤.٥	% ٥.٥	مواد أخرى (الطاقة)
% ٨	% ٨.٥	% ٨.٥	مواد خام من أصل حيواني أو نباتي

(١) أنظر وثيقة رقم ٦٤ ملف رقم ١٠٧/٢٤٦ بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩٥٦ وثيقة رقم ٩٦ بتاريخ ١٩٥٨/٨/٧ حول توجيهات السياسة الاقتصادية للمغرب ملحق رقم ٦.

United Nations, Statistical year book 1979/ 1980 P. P.: 93 – 94.

(٢)

وقد إستعمل المغرب في أوائل الإستقلال سياسة الحماية نذكر منها:

١. الرسوم الجمركية:

ففي ٢٤ مايو ١٩٥٧ صدر أول قانون ينظم الرسوم الجمركية فقبل هذا التاريخ تم التعامل برسوم جمركي موحد لجميع البضائع كيفما كان نوعها ١٠% + رسم خاص ٢.٥%، ويرسوم هذا القانون تم التفريق بين السلع:

❖ سلع التجهيز والمواد الأولية الضرورية للفلاحة ١٠%.

❖ السلع النصف المصنعة ٢٠.٥%.

❖ سلع الإستهلاك ١٥.٣٠%.

❖ سلع الكماليات ١٠٠.٥٠%.

٢. تحديد الحصص:

إستعمل هذا النظام لتحديد الكميات المستوردة من سلع معينة.

٣. حماية المستهلك:

خلق بعض المؤسسات الوطنية كالمكتب الوطني للشاي الذي أنشأ في ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٨. التنويع الجغرافي للمبادلات الخارجية:

إستطاعت المغرب أن تحقق نوعاً من الوقعية للإقتصاد الفرنسي على طول الخط وأن توقع في ١٨ أبريل سنة ١٩٥٧ على معاهدة تجارية مع الإتحاد السوفيتي فكان ذلك نقلاً هاماً في حركة تجارة المغرب الخارجي، وفيما بين ١٩٥٦، ١٩٦١ أبرمت المغرب ٢٨ إتفاقية تجارية تتعلق بالتجارة المغربية ومع ذلك بقيت التجارة مع دول المعسكر الشرقي قليلة جداً في نسبتها إذا ما قورنت بفرنسا أو دول المعسكر الرأسمالي.^(١)

(١) أنظر الملحق رقم ٤.

ففي سنة ١٩٥٨ كانت الواردات لا تتعدى ٤.٨% والصادرات ٢.٢% لدى دول المعسكر الشرقي وفي سنة ١٩٦٠ لم تزد صادرات المغرب بين الكتلة الشرقية على ٦.٢% من مجموع صادرات وواردات المغرب فإن حصة فرنسا كانت على النحو التالي:

السنوات الصادرات والواردات	١٥٩٦	١٩٦٠	١٩٦١
الواردات	٤٨.٥ %	٤٨ %	٤٩ %
الصادرات	٥٣ %	٤١ %	٣٧ %

صحيح أن الواردات ظلت كما هي منذ الإستقلال حتى خمس سنوات ولكن الصادرات إنخفضت وإن كانت النسبة لا تتعدى ١٤% ولاشك أن بقاء الواردات في حدود ٥٠% تقريباً كان يعني أن الإقتصاد المغربي لازال أسيراً في يد فرنسا.

ولكن لم يلبث الإقتصاد المغربي^(١) أن إهتم بالإنتاج المحلي والإستثمار في القطاعات الثلاثة: القطاع الفلاحي والقطاع الصناعي وقطاع الخدمات وخاصة تجربة النمو الإقتصادي بشكل متسارع وأصبح الإستثمار هو أحد العوامل الأساسية وأحد العوامل الإنتاجية التي هي: الأرض والعمل والرأسمال والتنظيم وقد أصبح الإستثمار^(٢) من بين الوسائل الفعالة، بل الضرورية لتحقيق التنمية الإقتصادية مروراً بالنمو الإقتصادي.

فإذا كان النمو الإقتصادي هو الدافع من الإنتاج كمياً فأن التنمية هي تحقيق إندماج شامل لجميع القطاعات وتغيير الهياكل الإقتصادية برفع مردوديتها ولا يتأتى هذا ولا ذاك إلا بالرفع من مستوى الإستثمار لتحقيق البنيات الأساسية.

ويرتبط عامل الرأسمال أو الإستثمار بالنمو الديموغرافي الذي يتطلب إستثمارات ديموغرافية تصبح ضرورية بسبب إرتفاع النمو الديموغرافي.

وقد لجأ المغرب إلى سياسة تشجيع الإستثمار منذ فجر الإستقلال نتيجة هروب رؤوس الأموال الفرنسية ثم بعد ذلك وضع المغرب قوانين إستثمار تتعلق بجميع القطاعات.

(١) عبد الحميد الصنهاجي: التعاون الفرنسي الأفريقي بين حيثيات التطهير وإكراهات التطبيق ١٩٦٠ . ١٩٩٠م الرباط ٢٠٠٧ ص ٧٨ . ٦٥.

(٢) المعتر بالله مصطفى كامل: التصنيع في المغرب . القاهرة ١٩٧٧ ص ٧٥.

وكان عدد سكان المغرب في سنة ١٩٧١ يقدر بـ "١٥٣٧٩٢٥٩" نسمة، "٢٠٤٢٩٥٥٥" نسمة سنة ١٩٨٢.

والنتيجة الأولية لهذا العدد الهائل من السكان يتمثل في شكل تغطية الحاجيات فيما يخص التغذية الشيء الذي دفع بالمغرب منذ ١٩٦٤ لإستيراد كميات هائلة من الحبوب (بعد أن كان يصدر هذه المادة)، النتيجة الثانية لا علاقة بالنتيجة الأولى للنمو الديموغرافي وتعلق بالتمدن السريع والفوضوي الذي يعرفه المغرب.

وسكان المدن كانوا ٢٦% من مجموع السكان في ١٩٦٠ وفي سنة ١٩٨٠ وصلوا إلى ٤٢%.

ما هي نتائج هذه الظاهرة التي تعتبر في آن واحد ظاهرة إجتماعية وإقتصادية وثقافية:

. فراغ البادية من العناصر الحية فأكثر من ٥٠% من سكان المدن لا يتعدون ٢٠ سنة.

. مشكلة التشغيل ومشكلة التغذية.

ويمكن القول أن الإقتصاد المغربي يعتمد أساساً على الفلاحة التي تكون زراعة الحبوب عناصرها الهامة نظراً للدور الرئيسي الذي تقوم به لمواد الغذاء وتزيد مساحة الحبوب المزروعة كل عام على ٤ مليون هكتار أي ما يقرب من ٩٣% من مجموع الأراضي المخصصة للزراعة ويبلغ متوسط إنتاج الحبوب السنوي حوالي ٢.٨٥ مليون قنطار ويساهم هذا الإنتاج بحوالي ٣٣% من جملة الدخل القومي للبلاد إذ يقدر قيمة المحصول الزراعي في السنة بما يعادل ما بين ٨٠، ٩٠ مليار فرنك حسب إختلاف الأسعار.^(١)

والجدول التالي يوضح تطور المساحة المنزرعة من الحبوب في الفترة ما بين ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦٢:

السنة	القمح الطري	القمح الأسود	القمح الصلب	الشعير	الذرة الصفراء	الخرdal	الزوان	البشنة	الذرة البيضاء
١٩٥٦	٤٩٩.٠٠٠	٢.٢٦٧	٩٥٥.٠٠٠	١.٧٦٤.٠٠٠	٤٧٢.٠٠٠	٢٢.٥١٢	٣٤.٤٩٥	١٢.٩٢٩	٤٠.٦٦١
١٩٥٧	٤٠٠.٠٠٠	١.١٧٥	١.٠٣٠.٠٠٠	١.٣٨١.٠٠٠	٤٦٢.٠٠٠	٢٤.٨٣٦	٦٤.٩٤٤	٨.٩٨٤	٨٣.٢٨٣
١٩٥٨	٤٩١.٠٠٠	٣.٥٤٢	١.٣٣٩.٠٠٠	١.٩٥٧.٠٠٠	٤٧٦.٠٠٠	٢٧.٦٢٤	٣١.٤١٠	١٣.٤٦٥	١٣٧.٠٣٨
١٩٥٩	٤٣٣.٠٠٠	٣.٣٥٩	١.٢٢٧.٠٠٠	١.٧٩٧.٠٠٠	٥١٣.٠٠٠	٢١.٤٥٧	١٩.٦٠١	١٢.٥٢٧	١١٣.٦٢٣
١٩٦٠	٤٣٩.٠٠٠	٢.٩٢٣	١.٢٢٠.٠٠٠	١.٧٥٤.٠٠٠	٤٩٧.٠٠٠	٢٠.١٨٤	٥١.٦٩٦	١٦.٧٥٠	١٤٣.٥٤٤
١٩٦١	٤٤٢.٠٠٠	٢.٧٩٧	١.١٥٤.٠٠٠	١.٥٦١.٠٠٠	٤١٠.٠٠٠	٢٦.٦٧٢	٣٤.٨٣٢	٨.١١٥	١٠٠.٠٩٤
١٩٦٢	٣٧٧.٠٠٠	٤.٢٦٤	١.٠٧٩.٠٠٠	١.٥٣٥.٠٠٠	٤٤٧.٠٠٠	٢٠.٢٩٥	٣٣.٨٧٥	١٤.٣٨٥	١١٠.٦٨٠

(١) يسري عبد الرازق الجوهري: شمال أفريقيا (دراسة في الجغرافيا الإقليمية) الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧٥.

ويلاحظ أن إنتاج القمح يكاد يكون مقارباً في إنتاجه مثله مثل بقية المحاصيل أما الذرة البيضاء فقد شهدت نمواً كبيراً على مدار السنوات المذكورة ويلاحظ أن تذبذب إنتاج محصول الشعير يرتبط بتوزيع سقوط المطر على مختلف الأقاليم خصوصاً في جنوب البلاد وكثيراً ما يصعب على الفلاحين أن يزرعوا في أحوال عادية بسبب قلة المطر.

وتمثل الحوامض وهي زراعة غنية كثيرة الإستهلاك مكاناً بارزاً في التجارة الخارجية إذ تأتي في الدرجة الثالثة من مجموع الصادرات وفي الدرجة الأولى من صادرات المغرب الغذائية ويبين الجدول الآتي المساحة المنزرعة بالحوامض والغلة الحالية لكل صنف وذلك حسب أرقام موسمي ١٩٦٠/٦١، ١٩٦١/٦٢.

الصنف	المساحة	الإنتاج بالطن
البرتقال	٤٥.٠٠٠ هكتار	٣٨٠.٠٠٠ طن
الكليماتين	٣.٧٠٠ هكتار	٢٥.٠٠٠ طن
الماندرين	٧٠٠ هكتار	٤.٠٠٠ طن
الليمون	١.٠٠٠ هكتار	٦.٠٠٠ طن
المجموع	٥٠.٤٠٠ هكتار	٤١٥.٠٠٠ طن

ويلاحظ أن الغلة السنوية للحوامض تتكيف حسب تغيرات الجو الذي يؤثر تأثيراً كبيراً على هذا المحصول في المغرب.

وتأتي الثروة المعدنية في المغرب في المركز الرابع في المرتبة الثانية بعد الزراعة وأهم عناصر الثروة المعدنية في المغرب الفوسفات والجدول التالي يبين إنتاج المغرب من الفوسفات في الفترة ما بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٣:

السنة	١٩٤٨	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧	١٩٥٨
الكمية بآلاف الأطنان	٣٢٢٦	٥٣٢٨	٥٥٢٢	٥٥٦٧	٦٥٣٨
السنة	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣
الكمية بآلاف الأطنان	٧١٦٤	٧٤٩٢	٧٩٢٠	٨١٦٢	٨٥٤٩

ومن هذا الجدول يتضح أن إنتاج المغرب من الفوسفات في عام ١٩٦٣ بلغ ما يعادل ضعفين ونصف الكمية المنتجة في عام ١٩٤٨ أما عن الكميات المصدرة في الفترة ما بين عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٢ فيبينها الجدول التالي:

السنة	فوسفات الكالسيوم الطبيعي	الهيبر فوسفات
١٩٥٨	٦.٢٣٠.٨٠٠	٨.٩٨٤
١٩٥٩	٧.٠٥٩.٧٣٢	٩٩٨
١٩٦٠	٧.٥٨٣.٣٧٠	٦.٠٥٠
١٩٦١	٧.٦٢٢.٥٠٥	٥.٧٢٦
١٩٦٢	٨.١٢٧.٧٢٢	٣.٣٨٣

ويلاحظ تطور الإنتاج وزيادته في الكالسيوم الطبيعي أما الهيبر فوسفات فقد تناقص الإنتاج بسبب عوامل فنية ونقص في الكوادر الإدارية.

والى جانب الفوسفات يوجد بالمغرب معادن أخرى مثل الرصاص ولكن إنتاجه ليس بالكميات الكبيرة الصالحة للتصدير على مستوى واسع.

ويختلف الإنتاج الصناعي في المغرب بصفة عامة إختلافاً بيناً بعضه عن بعض فبينما نجده قليل الإنماء في قطاع الصناعات الأساسية والمواد التجهيزية نجده أكثر تطوراً في بعض الفروع مثل قطاع المواد الإستهلاكية وخصوصاً في الصناعات الغذائية وتعتمد هذه الصناعات على نمو زراعة الخضر والفواكه سواء في الساحل أو في المناطق الداخلية المسقية. ويوجد في المغرب حوالي ٦٠ مصنعاً لحفظ ألأباب الفواكه في حالته الطبيعية ولصنع المربيات وعن الصناعات المغربية الأخرى صناعة السكر ومنتجاته وصناعة زيت الزيتون والمسلى النباتي ولكن يلاحظ أن المعاصر التقليدية أكثر من المعاصر الميكانيكية وهناك صناعة التبغ، وكذلك يوجد بالمغرب ١٤ مصنعاً للصابون وكذلك صناعة طحينة الحبوب وتعتبر صناعة النسيج من الصناعات النامية بالمغرب وتشمل صناعة المنسوجات الصوفية والقطنية وتشمل صناعة النسيج أيضاً المنسوجات المصنوعة من الألياف إذ يوجد في المغرب حوالي عشرين مصنعاً تستخدم الألياف وذلك حتى سنة ١٩٨٠. (١)

أما الصناعات التقليدية بالمغرب فمازالت حتى الآن تمثل تراثاً وطنياً ففي جميع المراكز العمرانية الضئيلة الشأن يواصل كثير من الحرفيين صناعتهم التقليدية ولاسيما في المناطق الجبلية وللصناعة التقليدية المغربية صبغة خاصة تبدو في المنتجات التالية:

(١) المعتز بالله مصطفى كامل: دراسة تحليلية لتجربة التخطيط في المغرب خلال الفترة ١٩٦٠. ١٩٧٧. القاهرة ١٩٧٩

أ. الزرابي "السجاد والأغطية" وقد بلغ إنتاج المغرب من الزرابي في عام ١٩٦٢ حوالي ٨١.٠٦١ متراً مربعاً.

ب. الجلديات التقليدية وتشمل جميع المصنوعات الجلدية على إختلاف أنواعها وقد بلغ إنتاج المغرب من هذه المصنوعات في ١٩٦٢ حوالي ٦١٧ طناً.

ج. الأثاث ومصنوعات الأخشاب وتشمل الأثاث التقليدي المقاعد والصناديق والخزائن وغيرها من الأشياء المنحوتة أو المزركشة على الطراز المغربي أي حسب الأسلوب المغربي أو الأسلوب الأندلسي أو الأسلوب البربري.

د. المصنوعات الفلزية وتشمل مصنوعات من الحديد المطروق والفوانيس، والموائد والدوارق وما يشبهها من الأواني.

هـ. مصنوعات الفخار التي تشتمل على أواني متعددة الألوان والرسوم حسب النواحي مثل فخاريات أسفي وفاس وفخار مراكز البربر الأخرى كما تشمل الصناعات التقليدية أيضاً التطريز المنجز باليد المصنع بصبغة الناحية التي صنع فيها ومصنوعات القصب والخوص والسلاسل والحصر ولعب الأطفال.^(١)

يبقى أن نقول في نهاية هذا المبحث أن المغرب في نهاية السنة الثالثة للإستقلال مازال الإقتصاد الفرنسي وكان الخروج من هذه الوصفية عليه الضرورة الوطنية والغاية من الإستقلال، ولم تكن ظروف المغرب بداية سنة ١٩٥٩ تتميز بنفس المميزات التي كانت للأوضاع المالية الفرنسية وبالتالي فإن مشاكل المغرب الإقتصادية لم تكن تتطلب نفس الحلول ولو سائر المغرب^(٢) القرار الذي إتخذه السيد أنطوان بيني وزير المالية الفرنسي بالتخفيض من قيمة الفرنك المغربي لكان قد قيل المزيد من التبعية لفرنسا، ولهذا أعلن نائب رئيس الحكومة ووزير الإقتصاد الوطني والمالية عبد الرحيم بوعبيد الخروج، الخروج من منطقة الفرنك وفصل العملة المغربية عن العملة الفرنسية.

ولا يحق مسايرة عدوى تقلبات الأوضاع الفرنسية فهذا خطر كان المغرب يستشعره، وكانت الدوائر الإقتصادية تشتكي من ذلك منذ ١٩٤٦ نظراً للأضرار التي كانت تلحق بإقتصاد المغرب، سياسة التخفيض من قيمة العملة ولا الأسعار وعلى مستوى المعيشة في المغرب.

(١) يسري الجوهري: المرجع السابق ص من: ٦٠. ٦٥.

(٢) شوقي عمر يوسف: الدور المغربي للبحرية المغربية في عهد دولتي المرابطين والموحدين القاهرة ١٩٩٦ ص ص: ١٧ - ٢٠.

إن فصل العملة كان ضرورة حتمية لسياسة إقتصادية تبني على إعتبارات مغربية صرفة ولقد أدت عملية الفصل غايتها من حيث المحافظة على مستوى الأسعار وضمان حماية القدرة الشرائية للمواطنين إنخفضت أسعار الجملة بـ ٥.٦% ونزلت أثمان التقسيط بـ ٥.٠%^(١)

ولقد كانت عملية فصل العملة المغربية عن العملة الفرنسية أثارت ردود أفعال حادة لدى المعمرين الفرنسيين وحلفائهم من كبار الملاك الزراعيين بدعوى أن عدم مسايرة العملة الفرنسية من حيث تحديد القيمة من شأنه أن يؤثر على صادرات المغرب ويقول وزير الإقتصاد الوطني في أكتوبر ١٩٧٩ أن فصل العملة أدى إلى بعض التقلبات والإضطرابات على صعيد المبادلات التجارية ولكن آثارها كانت محدودة المجال والميدان والذين أقاموا الضجة حول فصل العملة لم ينتبهوا إلى شيء أساسي وهو أنه لابد من توضيحات ولابد من دفع الثمن كلما تعلق الأمر بالإستقلال الحقيقي الذي هو الإستقلال الإقتصادي وطوال تسعة أشهر من سنة ١٩٥٩ كانت المعارضة الأساسية ضد سياسة التحرر الإقتصادي هي تلك التي كانت تقوم بها صحافة حزب الإستقلال.^(٢)

وفي شهر أكتوبر ١٩٥٩ تعززت هذه المعارضة بأسبوعين لبفار التي صدر منها ٣٣ عدداً كان آخرها العدد الصادر في مايو ١٩٦٠ الذي تنشر خبر إقامة حكومة عبد الله إبراهيم.^(٣)

وفي شهر يونيو من سنة ١٩٥٩ جاء ثلاثة خبراء من صندوق النقد الدولي في مهمة إستطلاعية بالمغرب وقد إستقبلهم محمد الخامس بحضور نائب رئيس الحكومة ووزير الإقتصاد الوطني والمالية.^(٤)

وبهذه المناسبة نوه الملك بالجهود التي بذلها عبد الرحيم بوعبيد الوزير المكلف بالإقتصاد والمالية على العمل الذي قام به منذ ثلاث سنوات وذكر الملك أن منصب تسيير الإقتصاد الوطني والميزانية ليس بالمنصب الهين لأنه يشتمل على مسئوليات جسيمة وقد تقبلها السيد

(١) تصريحات أدلى بها نائب رئيس الوزراء ووزير الإقتصاد الوطني والمالية خلال ندوة صحفية عقدها برئاسة الحكومة المغربية يوم السبت ١٧ أكتوبر ١٩٥٩.

(٢) Alayi and Crowder (eds) in History of West Africa V. 2 London 1974 P. 66.

(٣) جريدة لبفار ٥ ديسمبر ١٩٥٩ ص ٤.

(٤) رانيا حسين عبد الرحمن: السياسة الفرنسية تجاه أفريقيا بعد الحرب العالمية الباردة القاهرة ٢٠٠٥ ص ٨٧.

بوعبيد بشجاعة مثالية وقام بمهمة تحرير الإقتصاد من التبعية حتى أصبح إقتصاداً مستقلاً له ميزانية متوازنة للتجهيز، تمول الموارد المغربية الصرفة أزيد من نصفها.^(١)

وقد وضعت الحكومة بدءاً من عام ١٩٦٠ برنامجين للإنعاش الإقتصادي البرنامج الأول يتجلى في توحيد العملة وسحب البسيطة من التداول في الشمال وكذلك التوفر على جهاز إقتصادي في الشمال يماثل في الجنوب كأداة للتنمية الإقتصادية والتطور الإجتماعي.

وهذا الجهاز يتطلب بناء الطرق الثانوية والطرق القروية وتحسين الموانئ . البرنامج الثاني إنجاز مجموعة من المشاريع الإجتماعية والمرافق الضرورية لدفع الإقتصاد إلى الأمام.

وفي الخطة الخمسية الأولى ١٩٦٠ / ١٩٦٤ حرصت الدولة المغربية على بناء القاعدة الأساسية للإقتصاد المغربي الصناعي الحديث ومحاولة إقامة كل أقاليم المغرب كمنطقة صناعية واحدة.

وقررت الحكومة المغربية أن تبدأ في مواجهة أراضي الإستعمار أي ما يتعلق بمليون هكتار من الأراضي الزراعية الخصبة التي إستولى عليها المعمرون الأوربيون وكانوا آنذاك مازالوا يستغلونها لحسابها. وفي شهر يونيو ١٩٥٩ أقرت الحكومة كبدائية هذا التوجه إسترجاع ٤٠ ألف هكتار من المعمرين وزرع منها ١٧٠٠ هكتار على صغار الفلاحين بمنطقة سيدي جابر قرب بني ملال.

ثم إفتتح المغرب البنك الوطني الخاص به كبنك مركزي لإصدار العملة كما أنشئ صندوق وطني وصندوق للإيداع والتدبير كما أنشئ البنك الوطني للإنماء الإقتصادي والبنك المغربي للتجارة الخارجية.^(٢)

وفي عشية يوم السبت ١٧ أكتوبر ١٩٥٩ عقد نائب رئيس الحكومة بمقر الرئاسة في دار المخزن ندوة صحفية شرح خلالها القرارين المتخذين في إطار سياسة التحرر الإقتصادي.

. تأسيس مراقبة الصرف بين المغرب وبلدان منطقة الفرنك.

. تخفيض قيمة العملة بـ ٢٠% وإعلان الإسم الجديد للعملة الوطنية المستقلة أي الدرهم.

(١) جريدة العهد الجديد الرسمية ٦ يونيو ١٩٥٩.

(٢) عطا الله محمد شحاتة: اليهود في بلاد المغرب الأقصى . رسالة ماجستير غير منشورة . القاهرة ١٩٩٧ ص ٩٣.

وقد أكد عبد الرحيم بوعبيد أن الغاية من مراقبة الصرف هي وضع حد للزيف النقدي الجارف الذي أظهرت التجربة أنه لا يرتبط بالضرورة بما يمكن أن يكون فارقاً بين العملة المغربية والعملة الفرنسية.

إن عهد الإستقلال كان يتطلب من المغرب أن تتحرر من التبعية وألا تتساق وراء عملية نظام كانت فيه القرارات المهمة المتعلقة بإقتصاده تتخذ خارج المغرب ودون مراعاة لظروف المغرب النوعية.

المبحث الثاني

التطور الإقتصادي السنغالي من التخلف والتنمية

الوضع الإقتصادي في السنغال بعد حصولها على الإستقلال:

إذا كانت السنغال هي أول إقليم على حافة الصحراء الكبرى يتم إكتشافه ويخضع للإستعمار الأوربي لعام ١٤٤٤، فإنها خضعت للغزو الفرنسي بدءاً من عام ١٦٢٣م حيث توافد الفرنسيون إليها وأقاموا مركزاً تجارياً على ساحل السنغال في عام ١٦٣٨ في منطقة ندارا (سان لوي الحالية) وفي عام ١٨٦٤ أعلنت كمستعمرة فرنسية ومنحت الجنسية الفرنسية لسكان المدن الرئيسية في المستعمرة بإعتبارها أراضي فرنسية فيما وراء البحار. وفي عام ١٩٤٦ تم تطبيق القرار على أربع مناطق سنغالية وهي (سان لوي . جوري . داكار . رافسيك) وتم في هذا العام تعيين مواطنين سنغاليين كنائبين للحاكم الفرنسي على تلك المناطق في أول سابقة في التاريخ السياسي لمجموعة الدول الناطقة بالفرنسية وقد كان "لديبولد سيدار سنجور" و"الأمين جاي" هما النائبان السنغاليان.^(١)

وفي عام ١٩٥٨ تشكلت في البلاد قوى وطنية بدأت تتاهض الإستعمار بزعمامة "لديبوله سيدار سنجور" الذي إشتراك في إعداد دستور للسنغال وكان يرأس حزب الإتحاد التقدمي في السنغال وفي سبتمبر سنة ١٩٦٠ حصلت السنغال على إستقلالها وتولى "لديبوله سيدار سنجور" الحكم وكان أول ما قام به هو تغيير إسم حزبه إلى الحزب الإشتراكي حيث فاز حزبه في إنتخابات الجمعية الوطنية بـ ٥٨ مقعداً من ١٠٠ مقعد في إنتخابات عام ١٩٧٦.

وفي ٣١ ديسمبر سنة ١٩٨٠ تخلى الرئيس سنجور عن منصب الرئاسة بمحض إرادته.^(٢)

وأهم سمات السنغال في المجال الإقتصادي أنها تطل بسواحلها الغربية على المحيط الأطلنطي، كما أن بها أربعة أنهار أهمها نهر السنغال الذي يقطع البلاد وطوله ١٧٠٠ كم وعدد السكان حتى المساحة الزمنية للبحث وصل إلى ٧ مليون نسمة وبالرغم من أن اللغة الرسمية للبلاد هي اللغة الفرنسية إلا أن هناك بعض اللهجات الأفريقية نذكر منها "الفولاني والأولون والديولاد والماندينجو" والديانة الرسمية للدولة هي الدين الإسلامي حيث يدين به نحو ٩١% أما

(١) Africa south of the Sahara, England 1981 P.P 852 – 833.

(٢) ن جانريلون: حركة التحرر الوطني في غرب أفريقيا . ترجمة فؤاد عبد الحليم . القاهرة ١٩٧٠ ص ٩٧.

نسبة الـ ٩% الباقية فهي موزعة بين المسيحية والوثنية. والعملة في السنغال هي الفرنك الأفريقي C.F.A. والدولار الأمريكي = ٤٨٨ فرنك سنغالي.^(١)

ونظام الحكم أنها جمهورية رئاسية علمانية ديمقراطية طبقاً لنص الدستور السنغالي. ومع ذلك فإن للدين الإسلامي أثره على مسيرة السنغال إقتصادياً وإجتماعياً، وهناك طائفتان إسلاميتان هما الطائفة التيجانية والطائفة الموريدية.

وتلتزم السنغال بالمذهب الحر إقتصادياً ولكن خلال فترة البحث كان النموذج الإشتراكي هو المطبق إقتصادياً.^(٢)

والزراعة في السنغال تشكل ٧٠% من إقتصادها في الثمانينات إلا أن الهيكل الإقتصادي شهد تحولات هيكلية فأصبحت الزراعة تمثل ١٧% فقط من إجمالي الناتج المحلي ويوجد قطاع عام قوي إلى جانب القطاع الخاص... وتؤثر بعض العوامل على إنتاج البلاد من المحاصيل الزراعية الأساسية مثل الأرز الذي تستورد منه السنغال سنوياً حوالي ٤٠٠ ألف طن تكلف الخزانة السنغالية نحو ٩٠٠ مليون دولار من عملاتها الحرة، ورغم أن السنغال بلد زراعي ويعمل بقطاع الزراعة نحو ٧٦% من السكان إلا أنها تعتبر من الدول الأفريقية الواقعة في نطاق حزام الجفاف مما أثر بدوره على إنتاجية المحاصيل وإلحاق خسائر بالقطاع الزراعي وحيث أن السنغال بلد يفتقر إلى الموارد الطبيعية، يعتمد في الأساس على زراعة الفستق (المستخدم في صناعة الزيت) وال فول السوداني وإنتاج الفوسفات التي لا يمكن أن يواجه بها متطلبات التطور الذي يفرضه القرن العشرون، فكيف إذا كانت هذه المواد مهددة بقلّة الأمطار والجفاف وإنخفاض الأسعار الدولية... ومن هنا فإن النظرة أصبحت دائمة على أساس أن الصراعات والخلافات الأيديولوجية والعرقية تتلاشى أمام الضرورات الإقتصادية والتي تتلخص في عجز سداد الديون والتصحّر والمجاعات والجفاف.

وأهم المحاصيل الزراعية في السنغال الفول السوداني والقطن والذرة البيضاء والفستق والأرز والفاصوليا والخضروات والفاكهة والبطاطا، وإلى جانب ذلك فقد كانت تتوافر الثروة السمكية في السنغال حيث تطل سواحلها على المحيط الأطلنطي والأسماك بأنواعها المختلفة من أهم صادرات السنغال ويعتبر تجفيف الأسماك من أهم الصناعات في السنغال.^(٣)

(١) Louis Mossignor: Aralziere du Monde Musuliman, Paris 1956 P.P. 223 – 224.

(٢) فيليب رفل: الجغرافية السياسية لأفريقيا. مكتبة النهضة الغربية. بيروت عام ١٩٧٣ ص: ٤٥٨. ٤٥٩.

(٣) محمد عبد الغني سعودي: أفريقيا دراسة شخصية الأقاليم. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة د. ت ص ٢١٠.

وبعد الإستقلال أصبحت السنغال قاعدة صناعية لا بأس بها وهى واحدة من أفضل الدول الصناعية في مجموعة الدول الفرنكفونية بعد كوت ديفوار وتسهم الصناعة بحوالي ٢٣.٣% من إجمالي الناتج المحلي وتعتمد الصناعة هناك على الإنتاج الزراعي مثل صناعة عصر الزيوت والأغذية المحفوظة وأهم الصناعات التي تشتهر بها السنغال صناعة الخزف والأواني وصناعة الأسمنت وصناعة النسيج إلى جانب بعض الصناعات الكيماوية وصناعة زيت الفول السوداني والسكر والصابون والأغذية المحفوظة والمشروبات الغازية والأحذية والبيرة وتجفيف الأسماك.^(١)

وقد تم إكتشاف البترول في السنغال في عام ١٩٥٢ وإن كان إنتاجه في البداية ضعيفاً ولكنها لم تلبث أن تقدمت وأصبحت تساهم بحوالي ١٥% من صادرات البلاد.

وقطاع التعدين يقوم أساساً على إستخراج الفوسفات والألومنيوم والحديد والذهب والسيليكون وتتركز مناطق إستخراج هذه المعادن في أقاليم (تيس . صابو . الرأس الأخضر).^(٢)

ولقد تركزت أهم صادرات السنغال في الفول السوداني وزيت النخيل والأسماك الطازجة والمعلبة والملح والفوسفات والقطن الخام، أما عن الواردات فهي تتركز في القمح والأرز والسكر ومنتجات البترول والورق وبعض وسائل النقل الخفيف.

وتمثل الواردات من أوروبا نحو ٥٨% من إجمالي واردات السنغال أما وارداتها من قارة آسيا فتتمثل نحو ١٩.٥% من إجمالي واردات السنغال. أما بالنسبة للقارة الأفريقية فقد كانت ١٢.٨% من إجمالي واردات السنغال. وفرنسا تحتل المرتبة الأولى بين الدول المصدرة للسنغال بنسبة ٣٢.٥% من إجمالي الواردات أما بين الدول الأفريقية فتتمثل نيجيريا المرتبة الأولى بنسبة ٦.١% تقريباً ولكن مستوى التبادل بين السنغال وأفريقيا لم يلبث أن حقق زيادة ملحوظة وبالذات مع الشمال الأفريقي وتحتل نيجيريا المرتبة الأولى بالنسبة للتبادل التجاري مع أفريقيا تليها كوت ديفوار ثم جنوب أفريقيا وأخيراً المغرب.

وقد تبنت حكومة الإستقلال في السنغال بعض المشروعات الإقتصادية نذكر منها:

١. مشروع إحياء الوديان الجافة أو ما كان يطلق عليها الوديان الميتة ويهدف المشروع إلى تحقيق ما يلي:

(٢) I.B.I.D. Lands and peoples: Africa vol, I printed in the U.S.A 1980, P.P.: 155 -

160.

(٣) أحمد نجم الدين مليحة: أفريقيا دراسة عامة إقليمية لأقطارها غير العربية . مؤسسة شباب الجامعة . الإسكندرية ١٩٨٧ ص ٣٢٠.

- تجديد وتنمية المحاور المائية التي تستخدم في الري وإقامة دلتا ضخمة.
 - تحسين حصص السنغال من المياه عن طريق زيادة العائد من الإستثمارات المحققة في إطار منظمة تنمية نهر السنغال.^(١) وتبلغ تكلفته مليارين من الدولارات وتم الإنفاق عليه بين كل من السنغال وموريتانيا ومالي منذ عام ١٩٧٣ كرد فعل للجفاف الكبير الذي اجتاحت منطقة الساحل في هذا العام وتضمن إنشاء سدين ٣٧٥ ألف هكتار ولم يكن سهلاً على البلاد الثلاثة الحصول على قرض لتنفيذ المشروع ولكنه تم اللجوء إلى القروض الأجنبية ونجحت تلك الدول في الحصول على قرض بمبلغ مليون دولار لتنفيذ المرحلة الأولى من المشروع.^(٢)
 - تطوير الحيوان والنبات لإقامة نظام بيئي في المناطق المتأثرة بالجفاف.
 - مكافحة الفقر والهجرة الريفية وذلك عن طريق خلق عدد مناسب من فرص العمل للشباب والمرأة.
 - إعطاء دفعة لإنطلاق عملية التنمية الإقتصادية في السنغال.
٢. مشروع قناة كابور الذي يهدف إلى سد إحتياجات إقليم داکار من المياه للإستخدامات المنزلية أو الصناعية أو ري المساحات المخصصة للبقول في الإقليم والمشروع عبارة عن إقامة قناة مفتوحة بطول ٢٤٠ كم تربط ما بين بحيرة جويير وإقليم تيبس وتكون قادرة على نقل ٤٣٠ مليون متر مكعب من المياه سنوياً.^(٣)
- ويعد قطاع السياحة من أهم الأنشطة الإقتصادية في السنغال فهو ثاني مورد للخزانة العامة للدولة بعد قطاع الثروة السمكية والفلو السوداني والفوسفات ولكن كثيراً ما كانت تتأثر

(١) Ministère de l'information du Sénégal carte d'identité du sevegal Dakar 1977 P.P.: 9 -12.

(٢) صباح محمود محمد: السنغال أخبار ودراسات بغداد ١٩٨٤ ص: ٦-١٦.

(٣) محمود شاكر: السنغال "مواطن الشعوب الإسلامية الإسلامية في أفريقيا" سلسلة رقم ٨ مكتبة دار الفتح بدمشق عام ١٩٧١ ص٢٧.

حركة السياحة بالإضطرابات السياسية خاصة تلك التي تقع في إقليم كازامانس الذي يطالب بالإنفصال عن السنغال ويستخدم أسلوب الكفاح المسلح من أجل تحقيق هذا الهدف.^(١)

تتبنى السنغال برنامجاً طموحاً في مجال السياحة لزيادة مواردها من العملات الحرة لمواجهة الأعباء الاقتصادية ويتضمن البرنامج تحسين الخدمات السياحية وإقامة خطوط طيران مباشرة على مناطق الجنوب السياحي ورفع كفاءة المطارات وتنويع مصادر الجذب السياحي مثل صيد الأسماك والصيد في الصحاري وسياحة السفاري.

وتعتبر مدينة ببس هي مدينة الصناعات الأولى في السنغال وتشتهر بشكل خاص إلى جانب الصناعات المعدنية بصناعة السجاد وهي مركز هام للصناعات الحرفية الصغيرة كالحياكة وأشغال الديكور والجلود، كما تعتبر دكار مركز التكوين للصناعات التقليدية وتضاف إلى المنطقتين المركز الإقليمي للتعليم الفني بريجيجور يهتم بالآلات والعدد الميكانيكية الصغيرة.^(٢)

وتعد فرنسا الشريك السياسي والإقتصادي الأول للسنغال حيث أنها دولة فرانكفونية وترتبطها علاقة تاريخية بالإضافة إلى اللغة المشتركة وإرتباط الفرنك السنغالي بالفرنسي من الناحية النقدية.

وتعمل الحكومة السنغالية على إبراز الشخصية الإسلامية للسنغال وإحياء التعاون مع العالم الإسلامي والعربي وتبرز في هذا المجال العلاقات الوطيدة مع غالبية الدول العربية ودول الخليج.^(٣)

ونظراً لحاجة السنغال من الموارد البشرية المتعلمة لسد إحتياجات مشروعاتها الاقتصادية والإجتماعية من العمالة الماهرة ونظراً لإمكانياتها المالية التي لا تتماشى ولا تتناسب مع

(٢) محمد السيد غلاب وآخرون: جغرافية العالم دراسة إقليمية ص ٢ . المطبعة الفنية الحديثة مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة د.ت ٢٥١، فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية أفريقيا (دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء) دار الجامعات المصرية الإسكندرية عام ١٩٨٣ ص ٢٤٥.

(٣) وزارة الأنباء بالجمهورية السنغالية: التعليم في السنغال . دكار ١٩٧٢ ص: ٩٦ . ٩٧، عبد المنعم الصاوي: دليل القارة الأفريقية . القاهرة ١٩٧٥ ص: ٢٢٨ . ٢٢٩.

(١) آفاق أفريقية (دولة فصلية تعني بالقضايا الأفريقية) المجلد الأول العدد الرابع شتاء ٢٠٠٠ / ٢٠٠١ م معلومات أساسية عن جمهورية السنغال Senegal ص: ١٤٤ . ١٥١.

طموحاتها في تمويل مشروعاتها الصناعية والزراعية والتجارية فكانت حاجتها للمساعدات الدولية ضرورة مثل بقية البلدان النامية.^(١)

وقد أسهمت المغرب في تهيئة إعداد الكوادر الفنية التعليمية اللازمة للإقتصاد النيجيري وقد إرتفع عدد من تلقوا تدريبات فنية في المغرب من السنغال بدءاً من عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٧٥ حتى وصل إلى أكثر من ٤٠ فرداً.^(٢)

وحسب تقديرات عام ١٩٧٨ سجل الميزان التجاري عجزاً قدره (٣٤٧.٦ مليون فرنك) حيث بلغت قيمة الصادرات بحدود (٤٠١.٨ مليون فرنك) في حين بلغت قيمة الواردات بحدود (٧٤٤.٣ مليون فرنك) لنفس السنة المذكورة.^(٣)

وقد وصل ما صدرته فرنسا إلى السنغال بحدود ٦٢% من إجمالي واردات السنغال في عام ١٩٧٦/١٩٧٧ في حين إحتلت ألمانيا الغربية حوالي ٩% من جملة واردات السنغال وتأتي إيطاليا في المرتبة الثالثة بنحو ٥% من إجمالي واردات السنغال وتستورد فرنسا من السنغال بحدود ٦٩% من جملة صادرات السنغال وتأتي بريطانيا بعدها إذ تستورد بريطانيا من السنغال نحو ١١% من جملة صادرات السنغال.^(٤)

ورغم محاولات حكومة "ليدبولة سنغور" تطوير إقتصاد البلاد إلا أن السنغال ظلت تعتمد على محصول واحد ألا وهو محصول الفول السوداني والذي شكل حوالي ١٩% من قيمة صادرات هذا البلد في عام ١٩٧٧/١٩٧٨ ويتركز إنتاج هذا المحصول في إقليم كولاك وكذلك في منطقة نيس وديوريل، وأيضاً في الجهات الداخلية بشرق السنغال وبلغ الإنتاج منه في عام ١٩٨٠ بحدود ١٤ ألف طن متري والبعض من الإنتاج يستعمل في الصناعات النسيجية والجزء الآخر يصدر كمادة خام.

ومنذ منتصف الستينيات حاولت السنغال تنويع المحاصيل الزراعية فأدخلت زراعة قصب السكر في مشروع ريتشارد تول بواي السنغال وقد بلغ الإنتاج من هذا المحصول بحدود ٣٠٠ ألف طن متري وفق تقديرات عام ١٩٧٨. ومن المحاصيل الأخرى التي تنتجها السنغال

(٢) إبراهيم رمضان الرفاعي الزيادي: تاريخ التعليم في السنغال ١٩٥٠ - ١٩٧٥ (دراسة مقارنة للوضع في ظل الإستعمار) - رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة أسبوط كلية الآداب جامعة سوهاج قسم التاريخ ١٩٨٧ ص: ٧٥ - ٨٥.

(٣) وزارة الأنباء السنغالية المرجع السابق ص ٦٣ . 30 . T& Ylor, E. B. Primitive culture, Paris 1971

(٤) زهير عبد الحسن مهدي: جمهورية السنغال . الجامعة المستنصرية (معهد الدراسات الآسيوية والأفريقية) - (سلسلة الدراسات الأفريقية) دراسة رقم ٢٨ بغداد ١٩٨٤ ص ١٨.

(٥) محمد رياض . كوثر عبد الرسول: أفريقيا (دراسة لمقومات القارة) ط ٢ دار النهضة العربية . بيروت عام ١٩٧٣ ص: ٢٢٥ - ٢٢٦.

في المجال الزراعي الذرة إذ بلغ إنتاجها بحدود ٤٥ ألف طن متري وفق تقديرات عام ١٩٨٠، كما ينتج بحدود ١٠ آلاف طن متري من البطاطس سنوياً وما يقارب ١٣٧ ألف طن متري من الكسافا وبحدود ٥.٩٠٠ ألف طن متري من نخيل الزيت سنوياً.

وتتملك السنغال ثروة حيوانية لا بأس بها، ومع ذلك فإنها لا تدخل ضمن صادرات هذا البلد عدا الثروة السمكية ويوجد في السنغال وفق تقديرات عام ١٩٧٨ حوالي ٢.٦٧١ ألف رأس من البقر وتتركز تربيتها في المناطق الشمالية من البلاد، كما تمتلك حوالي ١.٩٥٠ ألف رأس من الضأن ومنها حوالي مليون من الماعز وتتركز تربية الماعز في الجهات الجنوبية الغربية من البلاد كما يوجد في السنغال أيضاً ضمن الثروة الحيوانية حوالي ١٧٨ ألف رأس من خنزير وتقدر الأسماك النهرية المصطادة بحدود ٥.٥ ألف طن متري في حين كانت الأسماك البحرية المصطادة وفق تقديرات عام ١٩٧٨ بحدود ٣٤٠.٣ ألف طن متري ويعتبر فوسفات الألومنيوم هو المعدن المهم المستغل في هذا البلد إذ يستخرج من منطقة باللود من منطقة الطيبة ويقدر إنتاجه حسب تقديرات عام ١٩٧٧/١٩٧٨ بحدود ١.٨٤٠ ألف طن متري في حين تقدر قيمته بحدود ١٨% من إجمالي قيمة الصادرات.

وأغلب صناعات السنغال تقوم على المنتجات الزراعية، وهناك تطور ملموس في هذا المجال وخاصة بالنسبة للتوسع الأفقي وأهم هذه الصناعات هو عصر الفول السوداني وإنتاج الزيت التي تتركز في العاصمة داکار وكذلك في كولاك. وبلغ إنتاج الزيت من هذا المحصول في عام ١٩٧٦ بحدود ٣٠٧ ألف طن متري إضافة إلى ٥.٦ ألف طن متري من زيت النخيل وتصدر السنغال كميات كبيرة منه إلى فرنسا وإلى شمال أفريقيا أيضاً كي يتم تكريره في تلك البلدان. وقد بلغ الإنتاج من السكر في عام ١٩٧٧ حوالي ٥.٧٠٠ طن متري وهناك صناعة حلج الأقطان. كما أن صناعة النسيج أحرزت تقدماً ملحوظاً وأهم المصانع في هذا المجال هو مصنع ثيس للغزل والنسيج وقد قدر الإنتاج في عام ١٩٧٦ بنحو ٢.٣٥٨ طن متري ومن الصناعات الأخرى صناعة البلاستيك وصناعة الأسمنت وصناعة الصابون والبيرة والصناعات الجلدية وتعليب الأسماك.^(١)

ويمكننا في النهاية أن نصل إلى التحليل التالي:

أولاً:

(١) محمد عبد الغني سعودي: أفريقيا دراسة شخصية الأقاليم. مصدر سبق ذكره ص: ٢٠٩. ٢١٢.

. نسبة كبيرة من السكان في كلا البلدين يعتمد على الزراعة وإن كانت نسبة السنغال تفوق نسبة المغرب.^(١)

. الصناعة في كلا البلدين بسبب الظروف الإستعمارية التي مر بها كل منهما كانت لازالت حتى سنة ١٩٨٠ في طور النمو ولم تشكل بالنسبة للإنتاج المحلي والدخل القومي إلا ٢٢%.

- تعتبر السياحة في كل منهما مصدراً للحصول على العملات الصعبة وإن كانت مساهمة السياحة في المغرب تفوق نسبة السياحة في السنغال ولكن كلا البلدين تحاولا تهيئة المناخ الإقتصادي لإزدهار تلك الصناعة خاصة وأن السنغال والمغرب تمتلكان مقومات سياحية واعدة.

- لازالت المغرب تعتمد على الفوسفات كمحصول وأساسي بالنسبة لها وتعتبر ثالث دولة في العالم تنتج هذا المعدن، وفي نفس الوقت نجد السنغال تعتمد على الفول السوداني والذي يمثل ثلاثة أرباع قيمة الصادرات وتعتبر السنغال رابع دولة في الصادرات العالمية في هذا المحصول.^(٢)

- لازالت وسائل النقل في كلا البلدين في حاجة إلى تطوير وتعتمد كل منهما على الوسائل التقليدية للنقل والخطوط الحديدية المتواضعة.

- تحاول كلا الدولتين تنويع الإنتاج حتى تتحرر من الإعتماد على المحصول الواحد فقد زادت منتجات الفاكهة والخضروات والأرز والقطن وإن لم يكن لكل منهما نصيب كبير في حركة التصدير ولكن على الأقل سدت هذه المنتجات جزءاً كبيراً من الإحتياجات المحلية.

- تعاني كل من المغرب والسنغال من نقص الكوادر الإقتصادية الفنية ولكن التعليم الفني الصناعي في المغرب يتقدم عنه في السنغال مما أدى إلى فتح قناة بين البلدين حيث إستضافت المغرب عدداً من المبعوثين من السنغال بدءاً من عام ١٩٦٠ ظلوا في إزدياد حتى عام ١٩٧٠ وما بعدها.

. تركز قاعدة الصناعة في كلا البلدين على الإنتاج الزراعي نظراً لفقرهما في المعادن بإستثناء الفوسفات والألومنيوم.

(٢) يمثل مركز كولاك الإقليم الرئيسي للزراعة في الوقت الحاضر فيضم وحده نصف المساحة المزروعة فولاً في السنغال، كما أنه مسؤولاً عن نصف الإنتاج المعروض للبيع ويليه في الأهمية مركز نيس ودبوريل وقد ساعد تمهيد الطرق على إنتشار زراعته، أنظر: عبد الخالق القباج . إقتصاد الحبوب في المغرب . دراسات وإحصائيات مكتب الإحصاءات المغربية للحبوب الرباط ١٩٦٢ ص ٣٩.

Africa its people and their culture history – London 1969 P.P.: 111 – 115.

(٣)

. لازالت بعض الجاليات الأجنبية في كلا البلدين تتمتع بموقع إقتصادي متميز خاصة في مجال التجارة الخارجية.

وكل من السنغال والمغرب مرتبطان بفرنسا إقتصادياً بدرجة كبيرة سواء في مجال الإستيراد أو التصدير وإن كان من الواضح أنه بعد الإستقلال أن ذلك الارتباط بالنسبة للسنغال أقوى ويفوق ذلك الارتباط ولكن يلاحظ أن كلا منهما بدأ في تقليل الإعتماد على فرنسا ولكن السنغال حتى ١٩٧٨ كانت تستورد من السنغال معظم وارداتها وأيضاً كانت معظم صادراتها تتجه إلى فرنسا.

. يعيش أكثر من ٧٥% من سكان السنغال في المدن وتتساوى هذه النسبة بين البلدين وإن كانت المناطق الريفية فيها تسهم بجزء من حركة الإقتصاد القومي.^(١)

. لازالت الثقافة الفرنسية مؤثرة على حركة الإقتصاد المغربي والسنغال حيث اللغة الرسمية للسنغال هي الفرنسية ومعظم أهالي المغرب يتقنون اللغة الفرنسية وإن كانت المغرب قد بدأت في التحرر تدريجياً من سيطرة هذه اللغة.^(٢)

. كلا الدولتين يتبع في نطاقه الإقتصادي نموذجين مختلفين حتى فترة البحث بالرغم من ذلك فإن مستوى المعيشة في كلا البلدين لازال تحت مستوى النمو المتوازن فقد إتبع المغرب النظام الإقتصادي الليبرالي الممزوج بالفكرة الاشتراكية وإن كان في معظم حركة الإقتصاد المغربي يتبع السوق الحر ولكن النظام في السنغال كان يعتمد على المفهوم الاشتراكي الذي قاده ليدبولة سينغور من خلال حزبه الذي إتخذ مسمى الحزب الاشتراكي.

. لازال النظام الحاكم في المغرب مرتبط بالعشائرية والقبلية رغم مظاهر التحضر إلى حد ما في المغرب وكذلك لازالت الأوضاع في السنغال تتميز بوجود بعض الطوائف القبلية والتي تتميز كل منها بلغتها المحلية فمثلاً يبلغ عدد سكان قبيلة البيل (الفولا) نحو نصف مليون نسمة.

- يتشارك البلدان في أن كلا منهما يدين بالديانة الإسلامية ففي السنغال يصل عدد السكان المسلمين نحو ٩١% والمسيحيين نحو ٦% ونسبة ٤% وثنيين أما بالنسبة للمغرب فحوالي ٩٦% مسلمون وتوجد أقلية مسيحية وكذلك أغلبية يهودية. وإن كان الوضع رغم ذلك مختلف

1- Ashford D. E., Political change in Morocco, New Jersey 1961 P. P.: 9 - 21.

(١)

(٢) دانيال نوان: التوزيع الجغرافي لسكان المغرب . مجلة البحث العلمي . المركز الجامعي للبحث العلمي . الرباط . السنة الأولى العدد الثاني ١٩٦٤ ص ٦٢.

بالنسبة لنظام الحكم فهو في السنغال علماني طبقاً لدستور الدولة أما في المغرب فهو يمتزج بالدين بشكل كبير ولا انفصال بين الدين والدولة بل أن ملك المغرب يستمد جزءاً من سلطانه بكونه أميراً للمؤمنين.

. يعتبر كلا من البلدين ثرياً من حيث الثروة المائية ففي السنغال يوجد النهر العظيم الذي بدأت السنغال في إقامة الكثير من السدود عليه لبناء قاعدة زراعية صناعية ضخمة وتعتبر أطلس الكبرى والوسطى بمثابة خزان للمياه إذ ينبع منها عدد من المجاري المائية التي تتساب في اتجاهات متعددة والتي من بينها نهر مولويه الذي يصب في البحر المتوسط ونهري سيبو وأم الربيع اللذين يتجهان إلى المحيط الأطلسي. وهذه الثروة المائية تبشر بنمو صناعي وزراعي كبير لكلا البلدين.

- تمتلك كلا البلدين ثروة غابية كبيرة منتشرة في السنغال في كافة مناطقها وفي المغرب في الشمال والجنوب والوسط ولكن لم يتم إستغلالها بالشكل الأمثل.

وفي ختام هذه السطور نقول أن كلا من البلدين يعد من بلدان العالم الثالث وأن خطط التنمية فيهما طموحة وأن الانقلابات العسكرية بعيدة عنهما وأن كان ذلك لا يمنع من وجود بعض القلاقل السياسية إلا أن ما يعوق التطور الإقتصادي في السنغال من عقبات أكثر بكثير من المغرب حيث التصحر والجفاف والإستثمارات القليلة نسبياً والديون كلها تعوق خطط التنمية كذلك يلاحظ أن الديون لازالت تنقل كاهل الميزانية المغربية، وإن إنتاج الحبوب غير منتظم بسبب تقلب أحوال الطقس والكثير من المساحات الزراعية لازال يستخدم فيها الأدوات المنزلية في الزراعة مما يجعل الإنتاج للفدان ضعيفاً.

ويلاحظ أن الوضع السياسي بالنسبة لهما له تأثير على مسيرة الخطط، فبالرغم من الديمقراطية الموجهة في السنغال فإن المغرب وإن إنطلق نحو بناء البنية التحتية لحركة الإقتصاد القومي إلا أن النظام الديمقراطي فيه لازال قيد التجربة وفي طور النمو... ولاشك أن التطبيق للمفهوم الديمقراطي يؤثر على مسيرة الإقتصاد لكل منهما.^(١)

(١) يسري الجوهري: المرجع السابق ص ٣٨.

المبحث الثالث

العلاقات الإقتصادية بين المغرب والسنغال

لا يمكن لأي تعاون دولي صحيح أن يزدهر ويكتسب مدلوله الحقيقي إلا إذا كان كل من يساهم فيه يبذل جهوده بوسائله الخاصة قبل كل شيء... وهذا هو الشرط الأساسي في العلاقات بين الدول المستقلة.

وحيث كانت كل دولة تمتلك مقومات إقتصادية خاصة فإنها تستطيع أن ترسم سياستها الإقتصادية في ضوء هذه المقومات... وبالنسبة للعلاقات بين المغرب والسنغال سنجد أن البلدين إمتلكا الكثير من السلع التي جعلت حاجة كل منهما للآخر ضرورة إقتصادية.

وقد زاد من متانة هذه العلاقات العقيدة الدينية التي جعلت من معظم سكانها مؤمنين بدين واحد هو الإسلام... وكانت الطريق للحج بالنسبة للسنغاليين يمر بالمغرب في بعض الأحيان مما كان يقرب بين الشعبين حيث يمكن لهؤلاء الحجاج أن يتعرفوا على أحوال المغرب ويتسوقوا من أسواقها ما يشاءون.

كما أن خضوع الدولتين لإستعمار واحد وهو الإستعمار الفرنسي جعل من المناخ في كلا البلدين أنه يكاد يكون متناغماً حيث فرض المستعمر لغته وحيث أمكن للمستوطنين من الأوربيين وبالذات الفرنسيين الإستيلاء على أخصب الأراضي وحيث سيطرت العملة الفرنسية على المقدرات الإقتصادية للبلدين وفي نفس الوقت كانت صادرات كل من البلدين تتجه في معظمها إلى فرنسا كما أن واردات كل من الدولتين كذلك في معظمها ونسبة تفوق ٥٠% إن لم تصل إلى ٦٠% إليها، مما أثر على قدرة الدولتين على التبادل العادل والحر مع بقية دول العالم.

الميزان التجاري بين المغرب والسنغال:

تقوم بين البلدين حركة تبادل تجاري في مجموعة من السلع التي تشتهر بها البلدين نذكر منها سلع زيت الفول السوداني وبعض الفاكهة وكذلك بعض أنواع الحبوب وفيما يلي الميزان التجاري بين البلدين خلال الفترة منذ عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٨٠ بالدرهم المغربي (الألف درهم)^(١)

(١) الدرهم المغربي يساوي ١١.٦٦ قرش مصري.

السنة	١٩٦٠ / ١٩٦١	١٩٦١ / ١٩٦٢	١٩٦٢ / ١٩٦٣
حركة الميزان	٧٥٠ +	٦٥٠ -	٤٥٠ +
	١٩٦٤ / ١٩٦٣	١٩٦٥ / ١٩٦٤	١٩٦٦ / ١٩٦٥
	٣٥٠ -	٤٥٠ +	٦٥٠ +

١٩٦٦ / ١٩٦٧	١٩٦٧ / ١٩٦٨	١٩٦٨ / ١٩٦٩	١٩٦٩ / ١٩٧٠	١٩٧٠ / ١٩٧١
٤٦ -	١٧ -	٣٨ -	٤٥ +	٤٥ +
١٩٧١ / ١٩٧٢	١٩٧٢ / ١٩٧٣	١٩٧٣ / ١٩٧٤	١٩٧٤ / ١٩٧٥	١٩٧٥ / ١٩٧٦
٣٣ +	٢٢ +	١٥ -	٤٤ +	٣٣ +
١٩٧٦ / ١٩٧٧	١٩٧٧ / ١٩٧٨	١٩٧٨ / ١٩٧٩	١٩٧٩ / ١٩٨٠	
٢٢ +	٢٣ +	١٥ -	٢٧ +	

ويلاحظ على هذا الجدول تذبذب حركة الميزان التجاري فمرة يميل لصالح المغرب وأخرى يميل لصالح السنغال.

ويمكننا أن نلاحظ أن العلاقات الاقتصادية بين البلدين ضعيفة ولعل السبب يعود إلى مجموعة من العوامل:

أولاً: ضعف طرق النقل بين البلدين مما يجعل التبادل التجاري صعب التكلفة بل فوق ذلك يحرم وصول سلع سهلة التلف من الدولة إلى الدولة الأخرى.

فمنذ أكثر من خمسة وعشرين عاماً على إستقلال كل من المغرب والسنغال فإن أنماط النقل التي وضعها النظام الإستعماري لا تزال متشبثة بوصفها في الدولتين ويرجع هذا التشبث بهذه الأنماط بين الدولتين إلى:^(١)

١. إستمرار السيطرة على الإقتصاد في كلا البلدين من جانب فرنسا من ناحية ومن جانب بقية القوى الغربية بحيث يتضح أن معظم صادرات كل من المغرب والسنغال تتجه إلى فرنسا بشكل خاص ثم إلى بقية دول أوروبا والولايات المتحدة أما التجارة البينية لكل من المغرب والسنغال سواء بين بعضهما البعض أو بينهما وبين القارة الأفريقية.

(٢) Morocco: Country Study Foreign Area Studies (The American University) Edited by Herold D. Nelson research completed March, 1978 P. 44.

٢. تخلف الصناعة في كلا البلدين.^(١)

٣. عملية الظروف الأساسية المؤثرة في تطور النقل أو بمعنى آخر أن شبكة العمل تتغير أو تتطور فقط عندما يفرض الذين يستخدمونها هذا النوع.

ورغم التطورات التي حدثت في كلا البلدين فإن خريطة النقل في كلا البلدين مازال يغلب عليها الخواء.^(٢)

فلا يوجد في البلدين شبكة متكاملة للنقل وبالذات في السكك الحديدية أو النقل الجوي أو رصف الطرق مما يعوق حركة التجارة الخارجية على الوجه الأمثل بين البلدين.^(٣)

فالبنية الأساسية للنقل غير ملائمة حيث أنها نبعت أصلاً من نظام إستعماري قديم إعتد على أغراض إدارية وعسكرية أو من أجل التصدير المباشر للمحصولات ذات الأحجام الضخمة و بالتالي فإن هذه الشبكة ليست ملائمة للتبادل الداخلي وتوزيع الواردات أو للتجارة بين الأقطار الأفريقية^(٤) ويعتبر النقل بالطرق ذا أهمية كبيرة في مجال التنمية الإقتصادية في شمال وغرب أفريقيا إذ أننا في كل قطر نجد أن إنشاء الطرق وتحسينها وصيانتها يستوعب جزءاً كبيراً بمن الموارد النقدية المتاحة.^(٥)

وتعتبر شبكة الطرق الفرعية ذات أهمية أيضاً خصوصاً في مجال التنمية الإقتصادية مثلاً إنشاء النظام النقلي في غرب أفريقيا كان من أجل خدمة تجارة الصادرات والواردات بصفة أساسية مع الإهتمام الضئيل بالحاجات الخاصة بالأسواق المحلية التي كانت محدودة بشكل واضح. وكان تخفيض خدمات النقل بين أقطار هذه المنطقة سواء بالطرق أو السكك الحديدية أو الملاحة بحذاء الساحل غير واضح تماماً خلال الفترة الإستعمارية الأولى وكان ذلك يرجع إلى الجو السياسي السائد في ذلك الوقت والذي كان يطلق عليه التكالب على أفريقيا، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن الأسواق الكبرى لمنتجات السنغال لم تكن موجودة في المنطقة وإنما كان

Church H.R. Africa and its islands – London 1977 P. 110.

(١)

Taeff, E. Morrill, R. L. Gould P., Transport et Pansion in Underdeveloped Convntines

(٢)

A Comparative Analysis in Geographical Review, London October 1963 P. 120.

(٣) البنك الدولي للإنشاء والتعمير :

تقرير عن التنمية في العالم ١٩٨٤

إن الترجمة العربية مركز الأهرام للترجمة العلمية ص ٩٥.

(٤) بحوث مؤتمر أفريقيا وتحديات القرن الحادي والعشرين ٢٧ . ٢٩ فبراير ١٩٩٧ (المجلد الثاني)

السعيد إبراهيم البدوي . مشكلات التنمية الإقتصادية (مع دراسة تطبيقية على النقل والمواصلات) ص : ٢٤ . ٢٩ .

Hance, W, Black Africa London 1977 P.P.: 201 – 203. (٥)

ينظر للمنطقة باعتبارها منطقة إستيراد للسلع الصناعية، وبين الإستقلال ونظراً لضآلة حجم سكان هذه الأقطار وبالتالي ضعف القوى الشرائية في السوق المحلي يؤدي إلى التخطيط لإقامة إرتباط بين هذه الأقطار.

ورغم أن وسائل النقل المختلفة الحالية في كلا البلدين قد قامت بإنجازات ضخمة في مجال نقل السلع المختلفة الزراعية والمعدنية والصناعية سواء إلى الخارج ومنه أو على مستوى دول القارة الأفريقية فإن هذه الوسائل مازالت تحتاج إلى تحسين كبير لكي تستطيع أن تقوم برسالتها كاملة سواء من أجل التجارة الخارجية الصادرات والواردات بينها.^(١)

ويمكننا أن نؤكد أن كلا من المغرب والسنغال دولتان من دول العالم الثالث أي أن إقتصادياتها تتسم بخصائص الإقتصاد المتخلف والتي تتجسد في خصائص إجتماعية وديموجرافية وسياسية إلى جانب الخصائص الإقتصادية وتواجه كلتا الدولتين قضيتان رئيسيتان مترابطتان الأولى قضية التخلف وكيفية التخلص منه والثانية قضية التنمية وكيفية تحقيقها للتخلص من حالة التخلف التي تعيشها.^(٢)

وعلى الرغم من أن تعريف التخلف مسألة نسبية تتضمن حكماً تقديرياً يختلف باختلاف المعيار الذي يختاره الباحث والغرض الذي يستخدم من أجله إلا أنه بوجه عام يمكن القول أنه توجد مجموعة من الخصائص المشتركة والسمات المتشابهة والصفات المتجانسة تطبع الدولتين بطابع متميز يعمل على إدراجها في طائفة الدول النامية.^(٣)

والتخلف ظاهرة نابعة من طبيعة البنيان الإقتصادي والإجتماعي الذي تبرز منه خصائص وسمات التخلف الذي تلتصق به ويمكن القول أن من خصائص التخلف الإقتصادي في كلا البلدين:

إنخفاض متوسط دخل الفرد ومستوى المعيشة والتبعية الإقتصادية للخارج ونقص رؤوس الأموال والتخلف التكنولوجي وما يترتب عليه من ضعف التصنيع والإعتماد على أسلوب الزراعة التقليدي والتخصص في إنتاج محصول واحد وقصور وسوء إستغلال الموارد الطبيعية والبشرية ولعل هذا ما يفسر ضعف العلاقات الإقتصادية من ناحية وتذبذبها من ناحية أخرى.

Prichard J.: Africa A Study geography for advanced studies 1979, P. 120. (١)

Stock well, Edward Grant and Laidlaw, Karén Anne: (٢)

Third word development problems and prospeds, chicagr Nelson – Hall 1983 P.P.: 25 – 29.

Ibid P. 33 Mercer, J.,: Spanish Sahara – London 1976 P.122. (٣)

وجدير بالذكر أن السنغال يتعرض للجفاف أكثر من المغرب مما يؤثر على حركتها الاقتصادية مما يؤدي إلى النقص في إنتاج الأغذية مما يجعل هذه الدولة تحاول الإلتجاء إلى الإتحادات الأفريقية الاقتصادية لتخفف من وطأة ما تتعرض له فالسنغال هي عضو الإتحاد الأفريقي (أركام) في سبتمبر عام ١٩٦١ حيث وقعت في تاناريف عاصمة مالجاش.^(١)

ويهدف هذا الإتحاد إلى تقوية التعاون والتضامن بين الدول الأفريقية وبينه بغية في مختلف الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية والسياسية كما إنضمت السنغال إلى المجموعة الاقتصادية لدول غرب أفريقيا.

ولا شك أن هناك تعاوناً إقتصادياً بين السنغال والمغرب في مجال صادرات الحبوب التي تأتي من المغرب إلى السنغال والبول السودانى الذي يذهب من السنغال إلى المغرب.

كما أن المغرب يقوم بتدريب مجموعة من السنغاليين وإعدادهم كادرات فنية في مجال الإدارة والتصنيع وقد تطورت أعداد المبعوثين من السنغال إلى المغرب تدريجياً بدءاً من ١٩٦١ حيث كانت لا تتعدى أصابع اليد ووصلت سنة ١٩٧٠ إلى نحو خمسين فرداً ثم إرتفعت بنهاية سنة ١٩٨٠ حتى وصلت إلى نحو ١٢٥ فرداً.

كما أن المغرب يقوم بتصدير بعض المصنوعات اليدوية إلى جانب أنها تستورد مجموعة من أنواع الأخشاب السنغالية نظراً لوفرة الغابات في السنغال.^(٢)

وعضوية الدولتين في منظمة الوحدة الأفريقية عامل مساعد على تعزيز العلاقات الاقتصادية بينهما.

ولعل أهم تفسير في ضعف العلاقات الاقتصادية بين المغرب والسنغال أولاً صورة الإنتاج الأولى في القطاعات الاقتصادية في كل منهما ونقصد به الإستقلال الجزئي للإمكانات والموارد المتاحة مما لا يسمح بتنوع الإنتاج لدى كل منهما.

ثانياً: أن كلا البلدين لازالا يقبعان في شبه تبعية تجارية لفرنسا.

(١) يضم هذا الإتحاد كل من السنغال وموريتانيا وساحل العاج العليا وبوركينا فاسو و؟؟؟ (بنين) - والنيجر وتشاد والكاميرون والجابون وأفريقيا الوسطى والكونغو برازافيل وملجاش وإنضمت إليه فيما بعد رواندا وتوجو.

أنظر السياسة الدولية العدد (٢٧) يناير ١٩٩٧. عمرو الشربيني: أفريقيا وجهود التنمية الاقتصادية ص ٢٣٥.

(٢) Serageldin Ismail and Taber off June editors, Culture and development in Africa, Washington D.C. the world bank 1992 P.P. 445 – 448.

ثالثاً: أن الإقتصاد الزراعي يسود نمط الإنتاج الإقتصادي وحتى الآن لم تظهر في أي منهما الزراعة التجارية الإقتصادية بإستثناء المحصول الواحد الذي يميز كلا منهما مثل الفول السوداني في السنغال.^(١)

رابعاً: العديد من المنتجات الصناعية في كلا البلدين تعتمد على الحاصلات الزراعية والقطاع الحيواني وهذ يفسر تواضع نسبة الصناعات الثقيلة في كلا البلدين.

خامساً: تشابه الإنتاج في كلا البلدين يجعل فرص التوسع قليلة في التبادل التجاري.^(٢)

سادساً: أن البلدين يواجهان مشكلات سياسية مع جيرانهما تؤثر على حركة التنمية الإقتصادية داخلهما فالمغرب تواجه مشكلة الصحراء التي ترهق كاهلها المالي مما يفرض عبئاً على ميزانية الدفاع المغربي خاصة بعد إعلان قيام الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية SADR في ٢٧ فبراير سنة ١٩٧٦ وظلت هذه المشكلة تعطل إنطلاقه الإقتصاد المغربي لمزيد من التفاعل في العلاقات الدولية الإقتصادية.^(٣)

كما أن هناك مشكلات حدود بين السنغال وبعض جيرانها أيضاً تعطل حركة النمو الإقتصادي مما أثر على حركة الإنتاج وبالتالي أثر على علاقاتها الإقتصادية مع الدول الأخرى سواء أو الشمال الأفريقي وبالذات المغرب التي ترتبط معها بوشائج التاريخ.^(٤) حيث يجمعها علاقات في جميع الميادين وبالذات في المجال التقني فالمغرب تقوم بتقديم الكثير من

Fizerald, W. Africa – London 1955 P. 201.

(١)

6 Griffiths, I, The Atlas of African Affairs – London 1994 P.P. 101 -103.

(٢) أحمد إسماعيل . آمال شاور: أفريقيا المعاصرة (البيئة والإنسان والتحدي) دار الثقافة والنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٦٦ ص ١٢٠ .
(٣) تدخلت منظمة الوحدة الأفريقية في محاولة لتسوية الخلاف وتشكلت لجنة سباعية للنظر في أسلم طريقة لحل الخلاف وإقترحت اللجنة أن أسلم طريق لحل المشكلة هو إجراء إستفتاء بين مواطني الصحراء لإبداء الرأي فيما يتعلق بمصير الصحراء على أساس الإستقلال أو الإتحاد مع المغرب، واضطرت المغرب لأن تعلن في ٢٦ يوليو ١٩٨١ قبول مبدأ الإستفتاء الذي ساندته المنظمة الدولية ولكن إلى الآن لم يتم إجراء الإستفتاء بسبب الخلاف على من لهم حق إعطاء أصواتهم فقد تباينت الأعداد تبايناً كبيراً وإختلفت وجهات النظر. بحوث مؤتمر أفريقيا وتحديات القرن الحادي والعشرين ٢٧ . ٢٩ مايو ١٩٩٧ المجلد الأول . جامعة القاهرة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية.

د. شوقي الجميل: مشكلات الحدود بين دول الصحراء الكبرى في أفريقيا وتحدياتها ص: ٧٨ . ٧٩ .

(١) بحثت مشكلة الحدود بين الدول الأفريقية في مؤتمر أقطاب أفريقيا في الدار البيضاء (٤ . ٧ يناير ١٩٦١) كما نوقشت مشكلة

الحدود بين الدول الأفريقية في مؤتمر القمة الأفريقية الثاني (١٧ . ٢١ يوليو ١٩٦٤) . المرجع السابق ص: ٨٢ . ٨٣ .

المساعدات التقنية للمغرب للإسهام في خطط التنمية السنغالية وبالذات لضمان الاكتفاء الذاتي الغذائي بالسنغال.^(١)

وهنا مهم في المجال الإقتصادي يربط بين المغرب والسنغال ألا وهو الإسهام المغربي ببعض الإستثمارات داخل السنغال وتوضح الأرقام تواضع هذه الأرقام التي لا تتعدى ٣ مليون دولار بدءاً من ١٩٦٥ لم تلبث أن إرتفعت إلى ١٥ مليون دولار سنة ١٩٧٠ ثم تطورت لتصبح خمسين مليون دولار في نهاية السبعينات. وهذه الإستثمارات في مجال السياحة والمجال العقاري ومجال الصناعات الخفيفة.

وفي سنة ٢٠٠٠م كانت المغرب هي المسؤولة عن إدارة الخطوط الجوية السنغالية مما كان يعني عمق العلاقة بين الدولتين. وإنها كانت تمثل شراكة ناجحة.. وكانت الزيارات بين الشعبين والمسؤولين الحكوميين في كل البلدين تمثل نموذجاً لعلاقة هذه العلاقات حيث كان المسؤولون في كلا البلدين يتبادلون الزيارة وذلك للحوار في بناء مستقبل مشترك في كافة مجالات التعاون وبالذات المجال الإقتصادي والسياسي والثقافي والديني وكان التعاون واضحاً بين البلدين في مجالات النقل الجوي وتكنولوجيا الإعلام والاتصال.

يبقى القول أن علاقات روحية وبشرية وإقتصادية وتجارية وسياسية ربطت بين البلدين ظهرت الأولى:

في تعدد الزيارات من رجال الدين في كلا البلدين، وقيام المغرب بمد السنغال بمجموعة من رجال الدين والعلماء ومشايخ الطرق الصوفية للإسهام في تعميق أواصر العلاقات بين البلدين وتزداد الزيارات الدينية المتبادلة خلال شهر رمضان الكريم.

وظهرت الثانية:

في وجود بعض الإنتقالات بين البشر من كلا الجانبين وإن كان الجانب السنغالي أكثر عدداً حيث يصل عدد السنغاليين في المغرب إلى ما يقرب من خمسة آلاف وكذلك تحدث زيارات بين شعبي البلدين في مجال السياحة وفي نطاق زمن الحج من جانب السنغاليين الذين يتخذون من المغرب محطة للتسوق وللإعداد لرحلة الحج.

(٢) كان للتكنولوجيا المغربية للإستثمار الإصطناعي دور حاسم في إنجاح المبادرة الفلاحية الكبرى لتوفير الغذاء وهي إستراتيجية ترمي إلى توسيع الأراضي المزروعة لرفع إنتاجية الفدان من المحصول الزراعي، أنظر - U.N. Statishliq/ year book 1999 - 2090 P.P.: 210 - 213.

وظهرت الثالثة:

في مجال المعونات والإستثمارات من جانب المغرب للسنغال وتظهر هذه الصورة بهدف مساعدة السنغال في مجال التنمية الإقتصادية وزيادة الرقعة الزراعية. أما مجال الإستثمار فهو بعض الصناعات الخفيفة وصناعة الملابس وتجفيف بعض معلبات الفواكه والأسماك وكذلك الإستثمار في المجالات السياحية على شواطئ السنغال.

وظهرت الرابعة:

في مجال تبادل بعض السلع التي تشتهر بها البلدان ولكن لازالت الأرقام متواضعة كما لوحظ أن الميزان التجاري متذبذباً بين البلدين.

فالبلدان يتقاسمان السعي نحو التنمية ويملكان الطموح لترسيخ العلاقات من ذائع المصالح المشتركة التي تحتم زيادة هذه العلاقات وإتساع المجال لها والعمل على ربط إقتصادهما التبادلي بصورة أكبر.

ويمكن القول بأن الإختلال الإقتصادي الذي عانت منه الدولتان هو محصلة لعملية طويلة من الهدم التاريخي إضافة للإفتقار إلى الإستقرار حيث إفتقدت كلاهما التنمية البشرية المستدامة مما أثر على إنطلاقهما في علاقات إقتصادية متسعة هذا بالرغم من أن المغرب والسنغال كانتا من أفضل الدول الأفريقية التي لم تتعرض أي منهما لأي إنقلاب عسكري يغير نظام الحكم فيهما بعد الإستقلال ولكن الميراث الإستعماري لكل منهما كان السبب في ضعف النمو من ناحية والتوجه الإقتصادي خارج القارة من ناحية أخرى.

ولو توافرت للدولتين نفس البنى التحتية الأساسية المتوفرة للبلدان المتقدمة لكانت في وضع أكثر ملائمة للتركيز على الإنتاج وتحسين الإنتاجية للتنافس الدولي.

وتشمل البنى التحتية من وجهة نظرنا الطرق والطرق العامة والمطارات والموانئ البحرية والسكك الحديدية والمجاري المائية ومرافق الإتصالات السلكية واللاسلكية وهي واحدة من المؤشرات الرئيسية للنمو الإقتصادي والثغرة الهيكلية في البنى التحتية التي تشكل عقبة خطيرة للغاية أمام النمو الإقتصادي وتخفيف حدة الفقر ولاشك إن الإهتمام بالبنى التحتية في كلا الدولتين سوف يدفع مقدراتهما إلى تبادل له كيانه ويخفف من إعتمادها على الخارج في البقاء الإقتصادي.

وفي نفس الوقت فإن أزمة التمويل الخارجي يعتبر من معوقات التنمية بها القرض والمعونات وتعزيز التعاون الإقليمي بين الدولتين من آفاق طموحات كل منهما مستقبلاً.

وكلا البلدين في حاجة إلى إتخاذ خطوات جادة لزيادة التعاون الإقتصادي بينهما نذكرها على النحو التالي:

١. تعزيز التعاون عبر الحدود والترابط بإستخدام المعارف المتاحة حالياً لدى كلا من البلدين مع الإهتمام بالخبرات التكنولوجية.

٢. الإهتمام بضرورة العمل على تدفقات رأس المال الأجنبي لبلوغ أهداف التنمية في كلا البلدين وفي نفس الوقت العمل على رفع مستوى المعيشة لزيادة المدخرات المحلية.

٣. زيادة تعبئة الموارد المحلية من أجل تحقيق مستويات نمو أعلى وتخفيف حدة الفقر بصورة أكثر فعالية وتشمل الموارد الإضافية محلية وأجنبية المدخرات الوطنية التي تحققها الشركات والأسر والتي ينبغي زيادتها بدرجة كبيرة.

٤. السعي إلى تخفيف عبء الديون والتي تشكل نسبة كبيرة من العجز في الموارد وتثقل كاهل الميزانية لكل من الدولتي. ولابد من تشكيل فريق عمل للقيام بمراجعة للتشريعات والنظم المتعلقة بالإستثمارات بغية الحد من المخاطر وإجراء تقييم للإحتياجات ودراسة جدوى حول الوثائق المالية للحد من المخاطر المتعلقة بتنفيذ المشروعات في كلا البلدين.

٥. إتخاذ مبادرة لتعزيز قدرة البلدين على تنفيذ الشراكة بين القطاع العام والقطاع الخاص فقد ثبت تدريجياً أن ترك القطاع الخاص يقود التحرك الإقتصادي يمكن أن يشكل خطورة على مستقبل هذا الإقتصاد بينما وجود القطاعين يخلق بينهما التنافس و؟؟؟ المجتمع في ضمان حريته الإقتصادية من ناحية والحفاظ على مصلحة المجتمع من ناحية أخرى.

٦. وتعتبر حركة الإقتصاد في كلا البلدين ضعيفة بسبب إعتماها على قطاعات الإنتاج الأساسية القائمة على الموارد مع ضيق قواعدها للتصدير وهناك حاجة ملحة إلى تنويع الإنتاج كما ينبغي زيادة القيمة المضافة للصناعات الزراعية والإستفادة من المعادن وتنمية قطاع السلع الرأسمالية من خلال إستراتيجية للتنويع الإقتصادي تقوم على الربط بين القطاعات ويجب دعم المنشآت الخاصة سواء المنشآت الصغيرة في القطاع غير الرسمي أو المنشآت الصغيرة والمتوسطة في قطاع الصناعة والتي تعتبر القوة المحركة

الرئيسية لتحقيق النمو والتنمية ويتعين على حكومتي البلدين إزالة العقبات التي تواجه الأنشطة التجارية وتشجيع المواهب الإبداعية لأصحاب المشروعات.

٧. الإهتمام بتحسين الإنتاجية الزراعية مع الإهتمام بصفة خاصة لصغار المزارعين والمزارعات مع صناعة الأمن الغذائي لجميع السكان وزيادة فرص حصول الفقراء على غذاء كافٍ وتغذية كافية مع الإهتمام في الوقت نفسه بتعزيز الإجراءات التي تتخذ لمكافحة التدهور في الموارد الطبيعية وتشجيع أساليب الإنتاج القابلة للإستمرار بيئياً مع دمج الفقراء من سكان الريف في إقتصاد السوق وتحسين طرق وصولهم إلى أسواق التصدير.

هذا كله إلى جانب زيادة الإمدادات بالمياه اللازمة للزراعة في كلا البلدين من خلال إنشاء مرافق صغيرة للري وتحسين إدارة مصادر المياه المحلية وزيادة تبادل المعلومات والمعارف الفنية مع المجتمع الدولي مع تحسين فرص ضمانة إمتلاك الأرض في ظل الأشكال التقليدية والحديثة للملكية وتقرير الإصلاح اللازم للأراضي.

٨. تعزيز الإهتمام بطرق النقل والتخزين بالنسبة للمحاصيل الغذائية وإنشاء أنظمة للإنذار المبكر من أجل الجفاف وإنتاج المحاصيل.

٩. الحد من التمييز الشديد في الإنفاق العام نحو المناطق الحضرية في كلا البلدين من خلال تحويل الموارد في الأنشطة في المناطق الحضرية إلى الأنشطة الريفية.

١٠. وأخيراً تحسين نوعية المعلومات المتعلقة بالموارد المعدنية وإقامة إطار تنظيمي يؤدي إلى تنمية قطاع التعدين لإستخدامه في الصناعة من ناحية ولكي يمكن تصديره من ناحية أخرى مع تطوير صناعات جديدة أو رفع مستويات الصناعات القائمة التي تتمتع بها البلدان.

وكل تلك الإجراءات والإصلاحات خطط تنمية طموحة تزيد من قدرات البلدين على تحسين العلاقات التجارية بينها وليس فقط بل وبينها والعالم الخارجي بدءاً من المحيط الأفريقي إلى المحيط العالمي.

هذا كله بالإضافة إلى الإهتمام بقطاع السياحة في كلا البلدين والتوسع في إقامة المشاريع المشتركة بينهما في هذا المجال.

ولاشك أن تحسين الإجراءات للجمارك ومشروعات الإسترداد ومعالجة الحواجز الجمركية في التجارة بين البلدين سوف يزيد من فرص تحسين التبادل التجاري بينهما وذلك لتدعيم الأمن خلال خلق آليات ومؤسسات تسويقية لتطوير إستراتيجيات التسويق لمنتجاتهما مثل الأخرى ويستلزم هذا:

أ. الدعاية لشركات التصدير والإستيراد ومنتجاتها عن طريق المعارض التجارية المتبادلة بين كلا البلدين مع خفض تكاليف الصفقات والعمليات المالية.

ب. تشجيع وتحسين الإتفاقيات التجارية بينهما وخفض الضرائب على الصادرات.

بهذا يمكن أن المعدل التجاري بينهما ويمكن إقامة مشاريع للتكامل الإقتصادي تعود على البلدين بالكثير من المكاسب المادية والمعنوية.

الخاتمة

خلاصة ما توصل إليه الباحثة من قوانين عامة وخاصة ونتائج مرتبطة بموضوع الدراسة وفصول الرسالة، والمعالجة الموضوعية لنقاط البحث، تتناول مجموعتين:

المجموعة الأولى:

هى النتائج العامة للبحث في محور حركة التاريخ الإنساني في شكل مجموعة من القوانين التي تنطبق على حركة الإنسان في زمان بعينه ومكان بعينه.

ثم النتائج الخاصة بالبحث فيما يتعلق بموضوعه مؤكدين من البداية أن تلك هى القيمة المضافة للدراسات التاريخية.

وقد درجت الدراسات التاريخية المعاصرة على الإهتمام بالعلاقات الدولية وذلك لإستخلاص تجارب الشعوب وعلاقاتها مع بعضها البعض وحكمة التاريخ في إستخلاص مفاهيم جديدة لوضع أسس علمية أمام الساسة لممارسة علاقات أفضل بين الدول هدفها المزيد من التعاون والحث على التقارب في كافة المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

وتعتبر العلاقات العربية الأفريقية من أهم ألوان البحث التاريخي خاصة بعد تلك الإكتشافات المذهلة لثروات أفريقيا الواعدة في مجالات الطاقة بشكل خاص وما تنبئ ثروتها الزراعية من الإسهام في حل مشكلات العالم الغذائية.

ولاشك أن من مصلحة القوى المعادية للتطور والتقارب في مجال العلاقات العربية الأفريقية الكثير مما يروي التباعد العنصري بين الدول العربية والدول الأفريقية ولكن يُحمد للدراسات التاريخية في جامعاتنا المصرية الإتجاه نحو دراسة هذه العلاقات بشكل موضوعي.

والإهتمام بالتقارب العربي الأفريقي لأن ذلك من مصلحة الوطن العربي والقارة الأفريقية وقد يكون من الصعب تناول تلك العلاقات من خلال دراسة الوطن العربي ككتلة واحدة ولكن تجزئة دراسة الأقطار العربية في علاقاتها مع الأقطار الأفريقية يلقي مزيداً من الضوء ويفسح مجالاً أفضل لتعميق هذه العلاقات.

والمغرب تمثل بتراثها التاريخي وعظمتها الحضارية رأس الحربة في دفع العقيدة الإسلامية إلى القارة الأفريقية وبالذات منطقة غرب أفريقيا القريبة منها جغرافياً ومن ثم فإن دراسة

علاقاتها بقطر مثل السنغال إنما يعتبر حجر الزاوية في فهم علاقات شمال أفريقيا العربي مع غرب أفريقيا الذي يدين معظم سكانه بالعقيدة الإسلامية والذي تربطه بالنطاق العربي المسلم في الشمال الكثير من الوشائج، ولقد ناقش البحث عوامل الارتباط التي تقوي تلك العلاقات كما درس المعوقات التي تثير الخلافات وقد توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج العامة فيما يشبه القوانين التاريخية المجردة يمكن أن نصيغها على النحو التالي:

أولاً: تقتضي الكتابة التاريخية الجادة استخدام التجريد والموضوعية وإستعمال منهج المقارنة في التحليل وهما يشكلان أساس تطور أي علم من العلوم الإجتماعية وعلى رأسها علم التاريخ.

ثانياً: لكي تتجح العلوم الإجتماعية في تكريس مفاهيم إنسانية وقيم أخلاقية لا بد من ربط المعرفة بطرق ثلاثة مختلفة فكرياً وكتخصصات معرفية وتنظيمياً كمياً مشتركة مع آخرين وثقافياً بالإشتراك في بعض المسلمات الأولية.

ثالثاً: خرجت الباحثة بنتيجة هامة وهى أن العصبية القبلية العمياء وما تسببها من مآسي في كثير من بلاد العالم التي لم تندمج قبائلها بعد في نظام المجتمع المتكامل هى التي أدت لإنهيار دول كثيرة وتردي أوضاعها السياسية والإجتماعية والإقتصادية بأن ذلك يعود إلى غياب منظور ثقافي واحد تنصهر فيه جميع قوى المجتمع، فالوطن يجب أن يكون قبل القبيلة والولاء للقبيلة يجب أن لا يتناقض أو يتعارض بأي حال من الأحوال مع الولاء للوطن وإذا حدث تعارض بين الإثنين فلتسقط القبيلة ويحيا الوطن، وإذا كانت صورة التنظيم الإداري القبلي في وقت من الأوقات مقابل حاجة الأفراد إلى تحديد علاقتهم بالمجتمع وتحديد إلتزاماتهم وحقوقهم وكيفية الحصول عليها فإن التنظيم الإداري الديمقراطي الحديث للدول قد قدم وسائل أكثر كفاءة في هذه الجوانب تحقق للأفراد حاجاتهم الجديدة إلى مزيد من الحرية وإلى بناء المكانة الإجتماعية والطموح الفردي على أساس من الجهد الذاتي بصلة وطن أو نسب.

ومن الغريب أن المجتمع المغربي والمجتمع السنغالي كل منهما مازال له تأثير كبير في الحراك الإجتماعي والسياسي والإقتصادي.

وإذا كانت القبيلة قد تكونت في الأساس لتقديم الحماية لأفرادها خلال عهود تاريخية سبقت قيام الدولة في كل من الإقليمين كما أنها إزدهرت كذلك أثناء العهود التاريخية التي كانت الدولة في كل منهما عاجزة عن السيطرة على سكان المناطق البدوية التي حتمت عليهم تلك الظروف أن يكونوا فيما بينهم إتحاداً لحماية مصالحهم حيث كانت القبيلة هى أقدم التنظيمات

الاجتماعية نشأة بعد الأسرة أما في وجود الدولة العصرية فإن مثل هذا التصرف يجب أن يختفي لأن النظام القبلي بمفهومه العتيق عدو لنظام الدولة فأهداف الإثنين قد تتعارض في كثير من الأحيان وعليه لا يمكن أن تقوم دولة عصرية يكون فيها الجميع سواسية في ظل الولاءات القبلية المتزايدة ولعل ذلك الصراع الكامن بين الدولة والقبيلة في أي دولة من دول العالم هو عامل معوق للتطوير والتحديث.

رابعاً: يؤدي التنافس الإستعماري بين الدول الأجنبية إلى فرض قيود على تصرف الدول المستهدفة وتكبل حركاتها في علاقاتها الخارجية حيث تتأثر الدول الوليدة بالإستقلال بعد الإحتلال طويل المدى الذي عاشت فيه.

وقد أدى التنافس الإستعماري بين الدول الأجنبية في المغرب الأقصى (مراكش) وخاصة بين فرنسا وبريطانيا وأسبانيا إلى حصول تلك الدول على إمتيازات تجارية وقانونية من خلال المعاهدات التي فرضتها على المغرب منذ أواسط القرن ١٩ وكان من بينها الإمتيازات القنصلية التي تعطي القناصل الكثير من المكاسب.

نفس الحال بالنسبة للسنغال وإن كان للموقع الإستراتيجي الفارق بينها وبين المغرب تفرد قوى واحدة هي فرنسا بالسيطرة على سير الأمور فيها.

خامساً: لاشك أن الديون تشكل ضغوطاً كبيرة على الحكومات الضعيفة التي تقع فريسة كما وأن هذه الديون غالباً ما تكون القناة التي يستغلها الأجنبي الدائن يفرض سيطرته عبر الإبحار فيها فقد ظلت الديون الأجنبية تشكل مصاعب مالية للحكومة المغربية والحكومة السنغالية برغم من الثروات التي تتمتع بها كلا الدولتين ولكن إستغلالها وإستثمارها كان في يد الأجانب أكثر من القوى الوطنية.

سابعاً: عندما حصلت الدول التي أستعمرت من الجانب الأوربي على إستقلالها كان منقوصاً حيث ركزت هذه الدول مطلبها الرئيسي في الإستقلال السياسي غافلة على أن لهذا الإستقلال وجه واحد للعملة والوجه الثاني هو الإستقلال الإقتصادي وبالتالي ظل الإستعمار يتلاعب بمقدراتها حتى بعد حصولها على إستقلالها.

ثامناً: ترك الإستعمار الغربي للدول التي كانت خاضعة له مشكلات كانت كفيلة بإعاقة تطلعاتها نحو المستدامة للإستثمار الأمثل لمواردها، فقد ظلت قوى الإستعمار الفرنسي في كل من المغرب والسنغال تمتلك عصب الإقتصاد في كلا منهما بل تكاد تحتكر المحاصيل النقدية

فيهما كما أنها كانت تشجع التيار القبلي ليكون دائماً مناوئاً لفكرة الاندماج مع المجتمع حتى يظل التفكك السياسي سائداً.

تاسعاً: مما لا ريب فيه أن إستمرارية بقاء الثقافة العربية في أفريقيا السوداء كانت مرتبطة بمدى تأثيرها في الطبقات الواسعة ولحيويتها وديمومتها وذلك رغم الظروف السياسية التي إنتابتها وقت الإستعمار أو تلك التي تتابها بعد الإستقلال، حيث لم تكن الثقافة العربية في أفريقيا السوداء مقيدة بيوم ما بوجود سلطة سياسية خططت لها أو وجهتها نحو أهدافها وسنة دخولها إلى القارة السمراء في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي إنتشرت الثقافة العربية في القارة تلقائياً لإنتشار الإسلام وهذا الإنتشار مدين بالكثير إلى نخبة من المثقفين الأفارقة الذين تكونوا بالمشرق والمغرب العربيين دينياً وثقافياً بالإضافة إلى تمسك الأفارقة الزوج عامة بالمفاهيم الثقافية العربية باللغة والدين واللباس وغيرها فإنهم أبدوا حماساً شديداً في الدفاع عنها وبالتصدي لكل مناوئ لها.

وعندما أراد الإحتلال الفرنسي في أفريقيا السوداء أن يجردهم من أبسط العلاقات التي تربطهم بالثقافة العربية فإن رؤساء وزعماء الجماعات الدينية هناك وبوجه خاص في السنغال قد وقفوا مواقف مشرفة وثبتوا أمام التيارات التي هاجمت الثقافة العربية في المنطقة بإعتبارها جزءاً لا يتجزأ من ثقافتهم المحلية وإذا كان الإحتلال الفرنسي قد إستطاع أن يضع حداً للثورات المسلحة التي إندلعت في غرب أفريقيا في فترات متفاوتة زمنياً فإنه بدون شك لم يتمكن من وضع حد نهائي للمقاومة الثقافية التي تتبناها الثقافة العربية.

عاشراً: إن الإستيطان نوع من أنواع الإستعمار وأخطر أنواعه فإذا تمكن من الأرض وركز على الهجرة وأقام المؤسسات أصبح إجتثاثه أمراً غاية في الصعوبة وهذا لازم حقبة الإستقلال لكلا الدولتين المغرب والسنغال.

تبقى في هذه النتائج العامة كلمة هامة وهي أن الروابط بين أفريقيا والعالم العربي ليست روابط تاريخية وجغرافية فحسب، بل هي روابط سياسية وإقتصادية في المقام الأول، فقد شهدت السنوات الأخيرة منذ أوائل الستينيات وما بعدها تطوراً هاماً في علاقة العرب بأفريقيا في شتى المجالات.

أما عن النتائج الخاصة بالبحث فيمكننا توصيفها على الشكل التالي:

أولاً: لقد كان لموقع المغرب وأهميته الإستراتيجية في الشمال الأفريقي قصب السبق في إقامة علاقته بدول غرب أفريقيا وبالذات السنغال وساعدت عدة ظروف على التقارب بين الدولتين كان

أهمها خضوعهما سوياً لإستعمار موحد هو الإستعمار الفرنسي وكان ثانيهما هو إنتشار العقيدة الإسلامية بين أغلب سكانهما مما ساعد على وجود اللغة العربية كلغة تفاعل بينهما.

ظهر التقارب بين البلدين في تلك العلاقات الثقافية والتي أدت إلى تبادل إرسال البعثات التعليمية بين الجانبين من الجانب السنغالي لمزيد من الدراسة للعقيدة الإسلامية ومن الجانب المغربي لتنمية العلاقات الثقافية بين الدولتين.

ثانياً: إذا كانت أوضاع كلا البلدين في ظل السيطرة الإستعمارية الموحدة فإن تطلعاتهما كانت تواجه نفس الصعوبات والتحديات من حيث المشكلات القبلية ومشكلات بطء النمو الإقتصادي ومشكلات التخلف في التصنيع وقضايا الإعتماد على محصول نقدي واحد.

ثالثاً: جاءت الأوضاع السياسية في كلا البلدين عاملاً مساعداً لدفع حركة الإقتصاد والمجتمع ونمو طبقة برجوازية أسهمت في التخطيط الجيد للخروج من مأزق التخلف الإقتصادي، ورغم أن الإتجاه الإشتراكي كان واضحاً في السنغال أكثر منه في المغرب إلا أن المغرب عوض ذلك بتبني مجموعة من الخطط الإقتصادية أسهمت في تنمية قدراته الزراعية والإقتصادية.

رابعاً: اتسمت العلاقات بين البلدين بالتفتيت بمعنى ربط هذه العلاقات بمجموعة من الإتفاقات والمعاهدات التي سهلت التعاون من أجل تحقيق روابط أمتن في مجال العلاقات التجارية حيث وقعت بين البلدين إتفاقية تجارية نظمت حركة الصادرات والواردات وكذلك وقعت إتفاقية قضائية إستقادت منها السنغال بإرسال مجموعة من رجال القضاء في المغرب هذا إلى جانب أن كلا الدولتين كانت تتخذ من الأخرى سنداً لها في ترويج محاصيلها الزراعية والحيوانية.

خامساً: كان لنمو الحركة العمالية في السنغال أثره المباشر في نمو الحركة العمالية في المغرب، بل في وجود تطور في النقابات لدى البلدين، وخلق كيانات لإتحادات عمالية مما ساعد على صحوه الشعور الوطني والذي حرص في كلا البلدين على تحرير التجارة الخارجية من براثن الهيمنة الفرنسية بشكل خاص والهيمنة الغربية بشكل عام ولاشك أن تطور النقابات العمالية في كلا البلدين أثر على العلاقات الإقتصادية ودفعها إلى الأمام.

سادساً: لقد كان للتنمية السياسية في كلا البلدين وجذور الثقافة الفرنسية الأثر الأكبر في تنمية العلاقات الثقافية وتحقيق تقارب ثقافي أثر على تشكيل عقلية الفرد في كلا البلدين.

سابعاً: كان للعقيدة الإسلامية الدور الرئيسي في حفاظ السنغال على الإسلام كعقيدة يؤمن بها أكثر من ٩٠% من السكان وساعد على ذلك وجود مجموعة من الطرق الصوفية في البلدين تقاربت وأسهمت في مزيد من التقارب بين الشعبين، ولا يُنسى هنا دور العلماء المغاربة في نشر الإسلام في السنغال حيث ساعدوا على نشر اللغة العربية وإنشاء مجموعة من الكتاتيب في مواجهة المدارس التبشيرية والمدارس الحكومية التي أنشأها المستعمر.

ثامناً: خلال الفترة من ١٩٦٠ حتى ١٩٨٠م والتي أعتبرت فترة تحديات لكل من المغرب والسنغال للتخلص من السياسة الإستعمارية الفرنسية لكلٍ منهما لا يمكن للباحث أن يُنكر أن كلا البلدين قد نجح في عبور الكثير من المشكلات ومواجهة الكثير من التحديات وترسيخ مفاهيم الإستقلال ونجاح التنمية الإقتصادية في كلٍ منهما.

الملاحق

أولاً: الخرائط:

- . موقع المغرب.
- . الأنشطة الاقتصادية للمغرب.
- . العاصمة والمدن الرئيسية للمغرب.
- . موقع المغرب بالنسبة لغرب أفريقيا.
- . موقع السنغال.
- . الأقاليم الطبيعية في السنغال.
- . مناطق زراعة الفول السوداني في السنغال.
- . القبائل الرئيسية في السنغال.

ثانياً: المراجع العربية والمعرية:

- ١ - الحسن العرائشي: إنطلاق المقاومة وتطورها . الرباط . ١٩٨٢ .
- ٢ - السائح الحسن: الحضارة المغربية عبر التاريخ . الجزء الأول . الدار البيضاء . ١٩٧٥ .
- ٣ - الشيخ موسى كمر: أشهى العلوم وأطيب الخبر في تاريخ عمر . مخطوطات شيخ موسى كمر . جامعة إيتاجوب . داكار . ١٩٧٠ .
- ٤ - الطيب بنونة: نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شبيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة . طنجة . ١٩٨٠ .
- ٥ - المعتر بالله مصطفى كامل: التصنيع في المغرب . معهد البحوث والدراسات الأفريقية . القاهرة . ١٩٧٧ .
- ٦ - المهدي بن بنونة: السنوات الحرجة . كتاب الشرق الأوسط . ١٩٨٩ .
- ٧ - الناصري: الإستقصاء في أبناء المغرب الأقصى . الرباط . ١٩٩٠ .
- ٨ - أ. ج. هوبكنز: التاريخ الإقتصادي لأفريقيا الغربية . تقديم محمد عبد الغني سعودي . ترجمة أحمد فؤاد بلبع . القاهرة . ١٩٨٨ .
- ٩ - أحد طاهر: أفريقيا فصول من الماضي والحاضر . القاهرة . ١٩٧٥ .
- ١٠ - أحمد إسماعيل . آمال إسماعيل . أفريقيا المعاصرة (البيئة والإنسان والتحدى) . القاهرة . ٢٠٠٥ .
- ١١ - أحمد بو جداد: السياسة التعليمية للحماية الأسبانية بالمنطقة الخليفة . أطروحة نيل "دكتوراه الدولة في القانون العام . إشراف عبد الله ساعف . كلية الحقوق . الرباط . د . ت .
- ١٢ - أحمد توفيق عياد: التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه . القاهرة . ١٩٧٠ .
- ١٣ - أحمد صدقي الدجاني: الحركة السنوسية . نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر . القاهرة . ١٩٦٧ .
- ١٤ - أحمد نفاسكا: تطور الحركة العمالية في المغرب (١٩١٩ . ١٩٣٩) . بيروت . ١٩٨٠ .
- ١٥ - أدو بواهن: تاريخ أفريقيا العام . أفريقيا في ظل الإستعمار . (١٨٨٠ . ١٩٣٥) . المجلد السابع . اليونسكو . ١٩٧٧ .
- ١٦ - أمين الريحاني: (رحلة في منطقة الحماية الأسبانية) .

- ١٧ - أمين الريحاني: المغرب الأقصى . الطبعة الثانية . بيروت . ١٩٧٥.
- ١٨ - أمين أسبر: مسيرة الوحدة الأفريقية . بيروت . ١٩٨٣.
- ١٩ - أمين شاعر . سعيد العريان . مصطفى أمين: شمال أفريقيا بين الماضي والحاضر والمستقبل . دار المعارف . القاهرة . ١٩٥٤.
- ٢٠ - إبراهيم أحمد رزقانة "دكتور": بعض مشكلات الجغرافيا السياسية . الطبعة الأولى . دار الطبعة العربية . ١٩٦٧.
- ٢١ - إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ: المجلد الثالث . الدار البيضاء . ١٩٨٥.
- ٢٢ - ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . مطبعة التقدم . القاهرة ١٣٢٢ و ج ٣.
- ٢٣ - إجلال رأفت: العلاقات العربية الأفريقية . القاهرة . ١٩٩٤.
- ٢٤ - إحسان حفني: المغرب العربي . بيروت . ١٩٦٨.
- ٢٥ - إدريس خليفة: الحركة العمالية والثقافية بتطوان من الحماية إلى الإستقلال (١٩١٢ . ١٩٥٦) . المجلد الثاني . الرباط . ١٩٩٤.
- ٢٦ - إلهام ذهني: جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الإستعمار الفرنسي (١٨٥٠ . ١٩١٤) . الرياض . ١٩٨٦.
- ٢٧ - إميل فهمي: التعليم الحديث . دراسة وثائقية . القاهرة . ١٩٧٧.
- ٢٨ - إندا بانجي ستيهوك: التوعية الأفريقية . ترجمة خديجة برادة . القاهرة . ١٩٧٥.
- ٢٩ - ب . ف . سكر . ترجمة عبد القادر يوسف: تكنولوجيا السلوك الإنساني . الكويت . ١٩٨٠.
- ٣٠ - بازيل ديفيسون: صحوة أفريقيا . مترجم . سلسلة الألف كتاب . القاهرة . ١٩٥٦.
- ٣١ - بوقنطار الحسان: السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام ١٩٦٧ . بيروت . ١٩٨٧.
- ٣٢ - بول باسكون: فوز مراكش . الرباط . ١٩٨٣.
- ٣٣ - تغريد السيد عنبر: العوامل الثقافية وتطور العلاقات العربية الأفريقية . القاهرة . ١٩٩٤.
- ٣٤ - توماس أرولد: الدعوة إلى الإسلام . ترجمة حسن إبراهيم وآخرون . القاهرة . ط ٢ . ١٩٧٠.

- ٣٥ - ثابت كريم خليل: عبد الكريم الخطابي والحرب الريفية . القاهرة ١٩٢٥ .
- ٣٦ - جاك ووديس: جذور الثورة الأفريقية . ترجمة أحمد فؤاد بليغ . القاهرة . ١٩٧١ .
- ٣٧ - جان فرانسوا نودينو: ٢١ دولة الآن عربية واحدة . ترجمة خليل أحمد خليل . ج ١ بيروت . ١٩٩٣ .
- ٣٨ - جرمان عباس: دراسات للتاريخ المغربي . الرباط . ١٩٨٣ .
- ٣٩ - جلال يحيى: المغرب الكبير (العصور الحديثة لهجوم الإستعمار) . الدول العربية للطباعة والنشر . ١٩٦٦ .
- ٤٠ - جلال يحيى: تاريخ المغرب الكبير . القاهرة . ١٩٦٦ .
- ٤١ - جمال حمدان: أفريقيا الجديدة . دراسة في الجغرافيا السياسية . النهضة المصرية . القاهرة . ١٩٦٦ .
- ٤٢ - جمال حمدان: إستراتيجية الإستعمار والتحرر . الطبعة الأولى ت بيروت . ١٩٦٠ .
- ٤٣ - جون جنتر: داخل أفريقيا . إشراف ومراجعة وتقديم . حسن جلال العروسي المحامي . الجزء الأول . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٥٣ .
- ٤٤ - جيمس دافي: الإستعمار البرتغالي في أفريقيا . ترجمة الدسوقي حسين المراكبي . الأنجلو المصرية . القاهرة . ١٩٦٣ .
- ٤٥ - حسن الصغار: حرب الإصلاح الوطني . (١٩٣٦ . ١٩٥٦) . دراسة تحليلية . الرباط . ١٩٩٨ .
- ٤٦ - حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا . القاهرة . ١٩٦٣ .
- ٤٧ - إبراهيم شحاتة حسن: إنتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، معهد الدراسات العربية ت ١٩٦٠ .
- ٤٨ - حسن إعزازي: ابن عبد الكريم وحرب الريف . (١٩٢١ . ١٩٢٦) . كتاب الدولة في التاريخ . كلية الآداب . فاس . (١٩٨٨ . ١٩٨٩) . ١٩٨٩ .
- ٤٩ - حسن شحاتة إبراهيم: نصوص ووثائق في تاريخ المغرب تحت حكم الحماية . الإسكندرية د . ت .
- ٥٠ - حسن صبحي: التنافس الدولي الإستعمار الأوربي في المغرب . القاهرة . ١٩٦٥ .
- ٥١ - حسن عيسى عبد الظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا وقيام دولة الفولان . جامعة الإمام محمد بن مسعود . الرياض . ١٩٨١ .

- ٥٢ - حسن محمد جوهر: مصطفى حسن شرف: أسبانيا فردوس الحرب المفقود . الطبعة الأولى . مؤسسة دار الشعب . يوليو . ١٩٧٦ .
- ٥٣ - حسنين محمد محمد: الإستعمار الفرنسي . القاهرة . ١٩٦٠ .
- ٥٤ - حلمي محمد عليش: المغرب الأقصى كما رأيته . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . القاهرة . د . ت .
- ٥٥ - حمدي حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ نونس . القاهرة . ١٩٦٦ .
- ٥٦ - حمدي عبد الرحمن: التعددية وأزمة بناء الدولة في أفريقيا الإسلامية . القاهرة . ٢٠٠٢ .
- ٥٧ - حورية مجاهد: الإسلام في أفريقيا ودوافع المسيحية . القاهرة . ٢٠٠٢ .
- ٥٨ - دوجلاس أي . روم لاند: محمد الخامس منذ إعتلائه عرش المغرب إلى يوم وفاته . تعريب/ ليلي أبو زيد . بيروت . ١٩٧٩ .
- ٥٩ - دوجلاس أي آشفورد: التطورات السياسية في المملكة المغربية ترجمة عائدة سليمان عارف . أحمد مصطفى أبو حكمة . بيروت . ١٩٦٣ .
- ٦٠ - رؤوف عباس: العرب في أفريقيا . الجذور التاريخية والواقع المعاصر . القاهرة . ١٩٨٧ .
- ٦١ - رأفت غنيمي الشيش: أفريقيا في التاريخ المعاصر . دار الثقافة للطباعة والنشر . القاهرة . ١٩٩١ .
- ٦٢ - رأفت غنيمي الشيش: تاريخ العرب الحديث ط ١ . القاهرة ١٩٧٥ .
- ٦٣ - روبرت إپرس: مد الإستعمار إلى الإستقلال . ترجمة نيقولا الدر . بيروت . ١٩٦٤ .
- ٦٤ - روم لاند: أزمة المغرب الأقصى . ترجمة إسماعيل حسين الحوت . مجموعة الألف كتاب . القاهرة . ١٩٦١ .
- ٦٥ - روم لاند: تاريخ المغرب في القرن العشرين . ترجمة نيقولا زيادة . مراجعة أنيس فريجة . دار الثقافة . بيروت . لبنان . ١٩٦٣ .
- ٦٦ - روم لاندو: تاريخ المغرب في القرن العشرين . ترجمة نيقولا زياد . دار الكتاب المغربي . ١٩٦٣ .
- ٦٧ - سعيد بن سعيد العلوي: الوطنية والتحديثية في المغرب ط ١: بيروت . مارس ١٩٩٧ .
- ٦٨ - شارل أندري جوليان: أفريقيا الشمالية . الدار التونسية للنشر . ١٩٧٦ .
- ٦٩ - شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي .

- ٧٠ - شوقي الجمل: المغرب العربي الإسلامي إلى الوقت الحاضر (ليبيا . تونس . الجزائر .
المغرب) الأخص (مراكش) . القاهرة . ١٩٩٧ .
- ٧١ - شوقي الجمل: الوحدة الأفريقية ومراحل تطورها . القاهرة . ١٩٦٦ .
- ٧٢ - شوقي الجمل: كشف أفريقيا وإستعمارها . القاهرة . ١٩٧١ .
- ٧٣ - شوقي عطا الله الجمل: المغرب العربي في العصر الحديث . مكتبة الأنجلو . القاهرة .
١٩٧٧ .
- ٧٤ - شوقي عطا الله الجمل: تاريخ كشف أفريقيا وإستعمارها . الطبعة الثانية . مكتبة الأنجلو
المصرية . ١٩٨٠ .
- ٧٥ - صفي الدين محمد: أفريقيا بين الدول الأوربية . القاهرة . ١٩٥٩ .
- ٧٦ - صلاح الدين حافظ: حرب اليوليوزاريو . دار الوحدة العربية للطباعة والنشر . بيروت .
الطبعة الثانية . لبنان . ١٩٨١ .
- ٧٧ - صلاح الدين علي الشامي: دراسات في الجغرافيا السياسية . الطبعة الثانية . الناشر
منشأة المعارف بالإسكندرية . ١٩٧٣ .
- ٧٨ - صلاح العقاد: المحميات الأفريقية في الإتحاد الفرنسي . القاهرة . ١٩٦٢ .
- ٧٩ - صلاح العقاد: المغرب العربي (الجزائر . تونس . المغرب الأقصى) . الرياض . ١٩٨٧ .
- ٨٠ - طلعت إبراهيم . أحمد بن محمد: مدخل إلى علم الإجتماع . الرياض . ١٩٨٧ .
- ٨١ - طه عثمان الفرا وآخرون: الجغرافيا الطبيعية . الرياض . ١٩٨٧ .
- ٨٢ - عادل طه يونس: المسلمون في العالم . القاهرة . ١٩٨٠ .
- ٨٣ - عاشور الفاضل بن عاشور: الحركة الأدبية والفكرية في تونس . تونس ١٩٥١ .
- ٨٤ - عبد الحميد الضهاجي: التعاون الفرنسي الأفريقي بين حيثيات التنظير وإكراهات
التطبيق (١٩٦٠ . ١٩٩٠) . معهد الدراسات الأفريقية . المغرب . الرباط . ٢٠٠٧ .
- ٨٥ - عبد الحميد بن جلون: جولات في مغرب أمس ١٩٠١ . الرباط . الدار البيضاء . د.
ت .
- ٨٦ - عبد الحميد بن جلون: هذه مراكش . مطبعة الرسالة . القاهرة . ١٩٤٩ .
- ٨٧ - عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر . بيروت . دار الفكر . ١٩٧١ .

- ٨٨ - عبد الرحمن ذكي: تاريخ الدولة الإسلامية السودانية في أفريقيا الغربية . القاهرة . ١٩٦٦ .
- ٨٩ - عبد الرحمن محمد الصالحي: دليل الدول الأفريقية . الجمعية الأفريقية . القاهرة . ١٩٩١ .
- ٩٠ - عبد الرحيم الوديغي: الخفايا السرية في المغرب المستقل . (١٩٥٦ . ١٩٦١) . الدار البيضاء . ١٩٦٢ .
- ٩١ - عبد العزيز خلوف التسماني: دراسات في تاريخ شمال المغرب المعاصر . الدار البيضاء . ١٩٩٦ .
- ٩٢ - عبد الغني سعودي: أفريقيا شخصية القارة . القاهرة . ١٩٩٨ .
- ٩٣ - عبد الكريم غلاب: تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب . المجلد الأول . الرباط . ١٩٨٧ .
- ٩٤ - عبد الله العروسي: الجذور الثقافية والاجتماعية للتطور في المغرب . الرباط . ١٩٨٠ .
- ٩٥ - عبد الله ساعق: المغرب وأفريقيا بعد الإستقلال . معهد الدراسات الأفريقية . الرباط . المغرب . ١٩٩٥ .
- ٩٦ - عبد الله عبد الرازق: الصوفية والمجتمع في غرب أفريقيا . القاهرة . ١٩٩٩ .
- ٩٧ - عبد الله عبد الرازق: المؤرخ الأفريقي . تقابل الجهاد الإسلامي في السنغال في القرن ١٩ ، القاهرة ، ١٩٩٤ .
- ٩٨ - عبد الله عبد الرازق: المسلمون والإستعمار الأوربي لأفريقيا . القاهرة . ١٩٨٩ .
- ٩٩ - عبد المجيد بن جلود: هذه مراكش . القاهرة . ١٩٧٨ .
- ١٠٠ - عبد الملك عودة وآخرون: العرب وأفريقيا . بيروت . ١٩٨٤ .
- ١٠١ - عبد الملك عودة: السياسة والحكم في أفريقيا . القاهرة . ١٩٥٩ .
- ١٠٢ - عبد الملك عودة: سنوات الحسم في أفريقيا . مكتبة الأنجلو . القاهرة . ١٩٦٩ .
- ١٠٣ - عبد المنعم سيد عبد العال: لهجة شمال المغرب . "تطوان وما حولها" وزارة الثقافة . دار الكتاب العربي . ١٩٦٨ .
- ١٠٤ - عبد المنعم محمد بدر: أمتنا العربية (الحاضر والماضي والمستقبل) دار المعارف . القاهرة . ١٩٧٠ .
- ١٠٥ - عثمان براهما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي . القاهرة . ط ١ . ٢٠٠٠ .

- ١٠٦ - عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في المغرب . القاهرة . ١٩٥٨ .
- ١٠٧ - عز الدين عمر مرسى: الإسلام وأفريقيا . القاهرة . ١٩٧٣ .
- ١٠٨ - عزيزة محمد علي بدر: طنجة بوابة أفريقيا (دراسة في جغرافية المدن) . دار الكتاب . ١٩٩٦ . ١٩٩٧ .
- ١٠٩ - علال الفاسي: الحركات الإستقلالية في المغرب العربي . الطبعة الأولى . مطبعة الرسالة . ١٩٥٤ .
- ١١٠ - علي أحمد هارون "دكتور": أسس الجغرافية السياسية . دار الفكر العربي . ٢٠٠١ م .
- ١١١ - علي إبراهيم عبده "دكتور": المنافسة الدولية في أعلى النيل . (١٨٨٠ . ١٩٠٦) . الطبعة الأولى . مكتبة الأنجلو المصرية . ١٩٨٠ .
- ١١٢ - علي إبراهيم عبده: المنافسة الدولية في أعالي النيل . القاهرة . ١٩٥٨ .
- ١١٣ - علي إبراهيم عبده: مصر وأفريقيا في العصر الحديث . القاهرة . ١٩٥٨ .
- ١١٤ - علي حسن كمارا: مشكلات الغزو الفكري في غرب أفريقيا . القاهرة . ٢٠٠٢ .
- ١١٥ - علي عودة العقابي: العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والتاريخ والنظريات . بنغازي . ١٩٩٦ .
- ١١٦ - علي مزروعى: قضايا فكرية، أفريقيا والإسلام والغرب . مركز دراسات المستقبل . القاهرة . ١٩٩٨ .
- ١١٧ - علي منصور نصير: أضواء على الفتح الإسلامي للمغرب، بلاد المغرب وعلاقاتها بالشرق حتى أواخر القرن ١٥ م .
- ١١٨ - عمر فروخ . مصطفى أكالوي: التبشير والإستعمار في الدول العربية . بيروت . ١٩٧٣ .
- ١١٩ - عياد محمد المنوني: الحركة العمالية العربية . صراعات وتحولات . الدار البيضاء . ١٩٨٥ .
- ١٢٠ - عياش ألبير: المغرب والإستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية . ترجمة عبد القادر الشاوي . نور الدين السعودي . البيضاء . ١٩٨٥ .
- ١٢١ - عياش جرمان: دراسات في تاريخ المغرب . الدار البيضاء . ١٩٨١ .
- ١٢٢ - فتحي محمد أبو عيانة: جغرافية أفريقيا . دراسة إقليمية للقارة مع التطبيق على دول جنوب الصحراء . الإسكندرية . ١٩٨٧ .

- ١٢٣ - فتحة الحامدي: جيواستراتيجية سبتة ومليلية . رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا . كلية الحقوق . الدار البيضاء . ١٩٨٨ .
- ١٢٤ - قدري قملعجي: ثمانية من أبطال العرب . الطبعة الثانية . شركة المطبوعات للتوزيع والنشر . بيروت . لبنان . ١٩٩٧ .
- ١٢٥ - كريم خليل ثابت: عبد الكريم الخطابي والحرب الريفية . القاهرة . ١٩٢٥ .
- ١٢٦ - كلوس كريزر . فارنرديم هانس جورج مار: معجم العالم الإسلامي ترجمة ج. كتورة . بيروت ط ١ . ١٩٩١ .
- ١٢٧ - كوامي نكروما: الإستعمار الجديد آخر مراحل الإمبريالية . تعريب خيرى حماد . القاهرة . ١٩٦٦ .
- ١٢٨ - ليون تروتسكي: الثورة الأسبانية . ترجمة علي الشهابي . اللاذقية . ١٩٩٢ .
- ١٢٩ - مارتين مايكل: الإستعمار الأسباني في المغرب . (١٨٨٦ . ١٩٥٦) . ترجمة عبد العزيز الودي . منشورات التل . الرباط . ١٩٨٨ .
- ١٣٠ - محمد الضعيف: تاريخ الضعف . تحقيق وتعليق وتقديم د. أحمد العماري . الرباط . ١٩٨٦ .
- ١٣١ - محمد العلمي: محمد بن يوسف أو تاريخ إستقلال المغرب . البيضاء . ١٩٧٥ .
- ١٣٢ - محمد المالكى الناصري: الحركات الوطنية والإستعمار في المغرب العربي . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . ١٩٩٣ .
- ١٣٣ - محمد الميلي: المغرب العربي بين حسابات الدول ومطامع الشعوب . الطبعة الثانية . بيروت . ١٩٨٣ .
- ١٣٤ - محمد أنقار: بناء الثورة في الرواية الإستعمارية . صورة المغرب في الرواية الأسبانية . تطوران . ١٩٩٤ .
- ١٣٥ - محمد بن عبود: مركز الأجانب في مراكش . دراسة قانونية لوضعية الأجانب في المغرب قبل عهد الحماية وخلالها . الطبعة الثانية . تطوران . ١٩٨٠ .
- ١٣٦ - محمد بن عزوز حكيم: الشريف الريسولي والمقاومة المسلحة بشمال المغرب . المجلد الأول . الرباط . ١٩٨١ .
- ١٣٧ - محمد بن عزوز حكيم: أب الحركة الوطنية الحاج عبد السلام بنونة . حياته ونضاله . الرباط . ١٩٨٧ .
- ١٣٨ - محمد بن عزوز حكيم: سبتة ومليلية في عهد الحاية . وثائق تاريخية . الرباط . ١٩٨٨ .

- ١٣٩ - محمد بن عزوز حكيم: موقف شمال المغرب من الإعتداء على أغسطس يوم ٢٠ . ١٩٥٣ . تطوان . ١٩٨٤ .
- ١٤٠ - محمد بن عزوز حكيم: وثائق الحركة الوطنية في شمال المغرب . المجلد الأول . الطبعة الثانية . تطوان . ١٩٨١ .
- ١٤١ - محمد بن عزوز حكيم: وثائق تشهد . الرباط . ١٩٨٠ .
- ١٤٢ - محمد حافظ غانم: العلاقات الدولية العربية . القاهرة . ١٩٦٥ .
- ١٤٣ - محمد حسن الوزاني: مذكرات حياة وجهاد . التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية . المجلد الثالث . مرحلة الإنطلاق والكفاح . (١٩٣٠ . ١٩٣٤) . مؤسسة حين الوزاني . ١٩٨٤ .
- ١٤٤ - محمد خير فارس: المسألة المغربية . القاهرة . ١٩٦١ .
- ١٤٥ - محمد داود: الحركة الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية . إتحاد كتاب المغرب . الرباط . ١٩٩٠ .
- ١٤٦ - محمد زنيير: صفحات من الوطنية المغربية . من الثورة الريفية إلى الحركة الوطنية . الدار البيضاء . ١٩٩٠ .
- ١٤٧ - محمد عابد الجابري: السياسات التعليمية في أقطار المغرب (تونس . الجزائر) . عمان . ط٢ . ١٩٩٠ .
- ١٤٨ - محمد عايد الجابري: المغرب المعاصر (الخصوصية والهوية . الحداثة والتنمية) . الطبعة الأولى . الدار البيضاء . نوفمبر . ١٩٨٨ .
- ١٤٩ - محمد عبد العاطي جلال: الإستعمار الفرنسي في مراكش . القاهرة . ١٩٥٤ .
- ١٥٠ - محمد عبد الغني سعودي: العلاقة العربية الأفريقية . دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة . القاهرة . ١٩٧٧ .
- ١٥١ - محمد عبد المنعم إبراهيم: الأمير عبد الكريم الخطابي بطل الشمال الأفريقي . المكتبة العلمية . الطبعة الأولى . القاهرة . ١٩٥٨ .
- ١٥٢ - محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية . القاهرة . ١٩٦٥ .
- ١٥٣ - محمد محمود ربيع: موسوعة العلوم السياسية . جامعة الكويت . ١٩٩٤ .
- ١٥٤ - محمد موسى البر: الإسلام والمسلمون في أفريقيا .
- ١٥٥ - محمود شاكر: السنغال (مواطن الشعوب الإسلامية في أفريقيا . بيروت . ١٩٨٣ .

- ١٥٦ - مصطفى العلوي: محمد الخامس . المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية . الجزء الخامس . الطبعة الأولى . ١٩٧٧ .
- ١٥٧ - مصطفى بو شعراء: الإستيطان والحماية بالمغرب . (١٨٦٣ . ١٩٩٤) . المجلد الثاني . الرباط . ١٩٨٧ .
- ١٥٨ - نزار عبد اللطيف الحديثي: الأمة العربية والتحدي . بغداد . ١٩٨٥ .
- ١٥٩ - نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام . دمشق . ١٩٦٢ .
- ١٦٠ - نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في أفريقيا الغربية . الجزائر . ١٩٧٥ . ص ٤١ .
- ١٦١ - هـ . أولدروج: الهجرات والإختلافات المملوكية واللغوية . تاريخ أفريقيا العام . باريس . ج ١ .
- ١٦٢ - هشام شرابي: المتقفون العرب والغرب . بيروت . ١٩٧١ .
- ١٦٣ - ونستون تشرشل: ترجمة محمد شلبي . مذكرات . القاهرة . ١٩٧٠ .
- ١٦٤ - ياسين رشدي: التصوف ماله وما عليه . القاهرة . ١٩٩٣ .
- ١٦٥ - يوسف فضل حسن: إنتشار الإسلام في أفريقيا . الخرطوم . ١٩٧٩ .

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- 1 - A lagig: History of west Africa London 1974.
- 2 - A. J. P.: La Societe Té Wolof les systemes Dire galine et domination bivan Senegal 1981.
- 3 - Abbe. H. Boplet: Esquisses Senegaleises-Paris 1863.
- 4 - Abou, Lay, Bara, Diop: La socite de Wolof Paris 1997.
- 5 - Abun Nasr Gamil: The Teganiya London 1976.
- 6 - Abun-Nasr Gambil: The Tiganiyya, London 1976.
- 7 - Achatau gner: Le tata D al Bouie Ndiaye a yang yang, Senegal 1907.
- 8 - Addab, Bozeman: Conflict in Africa London 1976.
- 9 - Ader. J. P: La, Societe Wolof, Paris 1981.
- 10 - Adu Boahen, Colonralism in Afric and its Impact and Significance General History of Africa VII Unesco pans 1985.
- 12 - Africa its People and They Culture History – London 1969.
- 13 - Amadou, Bamba, Diop: Lat Doir Probleme Musulman. Bifan 1966.
- 14 - Amadou, Duguoy Eleclor: La Ba Taille Deguite Sant-Louis 1931.
- 15 - Anderson J. N. D: Islamic Law in Africa London 1970.
- 16 - Ashford. D. E. : Political Change in Morocco New Jersey 1961.
- 18 - Azan. F.: Notice Sur Oaluo, Revuematiter De Colompia 1974.

- 19 - Bahannon, Paul: African Autine London 1966.
- 20 - Barre. R: Les Class Socials en Afrique Noire Economice et Polibque Paris 1984.
- 21 - Barry. Boubakar: Memoire Inedit De Monserat Sur l, Histoire Du Nord du Senegal de 1819 - 1839 Bifan 1970.
- 22 - Basil Davidson: West Africa before the Colonial Era History to 1890, London 1988.
- 23 - Behrman Lucy: Muslim Brothorhoods and Politics in Sengal Harvard U. Press 1970.
- 24 - Beshif, Mohamed Omer: Terramedia theme in Afro-Arab relations London 1985.
- 25 - Bil, Freund: The Making of Contemporary Africa 1986.
- 26 - Boubarkr. Ly: I Honneur. Dans Les Societes Et Ouolof et Toucouleur Senegal 1967.
- 27 - Bouri Ndia Ya: Yang - Yang Sengal 1943.
- 28 - Buck le C. Land lords in London 1978.
- 29 - Buttin. Paul: Le Dramme De Moroc. Paris Les Edition Du Cere 1955.
- 30 - Caltra, P: Histoire Du Senegal Du Siecle 1870, Paris 1910.
- 31 - Carrete, F. and P. Holle: De la Senegambie, Francaise, Paris, 1855.
- 32 - Carter. M: African One Party State, Newyork 1962.
- 33 - Cheikh Anta Diop: La Senegambie Dans la Deuxleme Moitie XIX Siecle Canquetes Resistances.

- 34 - Chekh Ndao: L, exil D Albouri Paris 1967.
- 35 - Church. H. R: Africa And Its Islands – London 1977.
- 36 - Colonel. H. Fety: La Compagne Dans le Haut Senegal, Paris 1988.
- 37 - Combon, Henri: Histire du Maroc. Paris 1952.
- 38 - Crowdet Michael: A Study in French Assimilation Policy. Oxford 1962.
- 39 - Dally Forde: French, Respectives an African Studies London 1973.
- 40 - Dan Forde: African, Agrian, Settement Oxford 1963.
- 41 - Daniel. F. Macall: Aspects of West African Islam, Boston 1971.
- 42 - Darlly Ford And P. M. Kaberry: West African Kingdoms in the Nineteeth Century Oxford 1967.
- 43 - Darlly Forde: Modern, Migrations, in Western Africa, Oxford 1979.
- 44 - David. P. Gambil: The Wolof of Senegambie, London, 1957.
- 45 - David. W. Roibinson: Chefs and clerics Abdul Bokarkan, and Futa Toro 1853 – 1891, Oxford, 1975.
- 46 - Davidson Basil: Africa in Modern History. London 1978.
- 47 - Davidson-Basilc: The African Past, London 1966.
- 49 - Delafosse, M.: Les Pays Les Peoples Haut Sénégal-Niger 1912.
- 50 - Derrick J. Sleming: Savannah Nomads London 1959.

- 51 - Diop, Majhemout, Histoire Des Classes Socials Dans L'Afrique de L'ouest II. Le Senegal, Masperce Paris 1972.
- 52 - Diop. A. B.: Lat Dior et le Probleme Musulman, Bifan, 1966.
- 53 - Dos Chanps, Hubert: Le Senégat et la Gumbia Paris 1964.
- 54 - Durand J. B. L.: Voyage au Senegal Paris, 1802.
- 55 - Edward. C. Hopen: The Pastoral Folbe Family in Gwandu, Oxford 1958.
- 56 - Emil Poux: Notes Sur le Diambour et la Dioloff. Senegal 1907.
- 57 - Eugene Sawlnier: la Companic de Galam au Senegal, Paris 1921.
- 58 - Fage A: An Introduction Duction to the History of West Africa Conbkidge 1959.
- 59 - Fage J.D.: A History of West Africa, Cambridge 1969.
- 61 - Fernandes: Description De la Côte d Afrique, Bissau 1951.
- 62 - Garviek, Christine: Philippe Erviont Senegal Part De La Frigue Hachette. Paris 1962.
- 63 - Gemille Free Man: Chkonology of African History Oxford 1973.
- 64 - Gemille Free Man: Chronology of African History Oxford 1973.
- 65 - Gifford Paul: African Christianity its public role, Haret and company London 1998.
- 66 - Golbetty, S. M. X: Fragments D un, Voyage en Afrique Paris, 1802.
- 68 - Griffiths, I: The Atlas of African Affairs. London 1994.
- 69 - Hagreaves J.: France and West Africa. London 1969.

- 70 - Haily lord: An African Survey, London 1956.
- 71 - Hance, W; Black Africa London 1977.
- 72 - Harold. Dodson: Area Hand book for Sengal Washintion 1974.
- 73 - Harrisson chuh: R: French West Africa London 1961.
- 74 - Henri Laboret: Pay Song d Afrique, Occidentale Paris 1941.
- 75 - Henry – S. Wilson: The Imperial, Experience in Sub Sahra, Africa, Since 1976, Oxford, 1977.
- 76 - Hiskett M: The development of Islam in West Africa, London 1984.
- 77 - Hiskett. M.: The Development of Islam in West Africa London 1984.
- 78 - I. F Ade Ajayi: the Impact of Colonialism on Afro Arab Cultural Relations in West Africa Yusuf Fadi Hassan (ed) Tunis 1985.
- 79 - Iaabelle, Leymarie,: Les Groits Wolofe Du Senegal Paris, 1999.
- 80 - Iabat, J. B.: Nouvelle Relation de L., Afrique Occidentale, Paris 1728.
- 81 - Irving Leomard Markovitz: Leopold Sedar Senghor, and the polities of Negritude, London, 1969.
- 82 - Isnar, H.: Le Magreb Paris 1966.
- 83 - J. C. Froebich: Les Musulmans d' Afrique noire Paris 1951.
- 85 - J. F. Ade Jayi the Impact of Colonialisn on Afro Arab Cultural Relations in West Africa, in Afro Arab Cultural Relations, Yusuf Fadi Hassan (ed, tunis 1985).

- 86 - J. Montzere: L' Afrique et L' Islam. Dakar 1931.
- 87 - J. P. Raux: L' Islam en Occident Paris 1987.
- 89 - Jack, Goodys: Succession to High Africa. Dambridge 1966.
- 90 - John Ston, H. Ahistory of Colonization of Africa by Alien Races-
Cambridge univ press London 1913.
- 91 - Jon. D. Hareaves: France and Africa London, 1969.
- 93 - Jon. Ralph–Willis: Studies in west African Islamic History,
London, 1979.
- 94 - Joseph Sorbiers: Au Pays Des Woloffs, Tours, 1897.
- 95 - Kanya. Forstner A. S.: The Conquest of the Western Sudam,
Cambridge, 1969.
- 96 - Karl Polany: Dahomey and the Slave Trade, London 1966.
- 97 - Klein, Martin: Islam and Imperialism in Senegal, London, 1968.
- 98 - Laffe. G.: The Changing Geography of North Africa
Development Nigration and the Demographic Time Bonb in G. p
8 Akar K. N. the Changing Geography Africa and the Middle
East, London, 1992.
- 99 - Lakrere F.: Note Sur le Senegal, 1854.
- 101 - Lechatelier. A.: L Islam Dans Lafrique Occidentale, Paris 1899.
- 102 - Lewichit: Arabic external Souces for the History of Africa South
of Sahara London 1969.
- 104 - Louis Faidberbe: Le Senegal Paris 1889.
- 105 - Luned, Arnard: Le Senegal Lau Sonne 1996.

- 106 - Macken, Ain. W. J. M.: Five Elections in Africa Oxford 1980.
- 107 - Madivili. J: Le Senegal Son et la Present Etson Avenil, Paris, 1863.
- 108 - Mamadou. Diouf: Histoire Du Senegal Paris. 2001.
- 109 - March: Voyage D, Exploration au La Coniefoul Et Dans le Goloff, Senegal 1840.
- 110 - Marrui Ali: The African Crdition the Reith Lectures, Heinemann, London 1981.
- 111 - Martin Yves: Les Repporsds Situation Politique 1874 – 1891, Dakar 1966.
- 112 - Martin, Klein: Islam and Imperialism in Senegal Stanford, 1988.
- 113 - MCE Wan. M. J. P. : Twentieth Century Africa London Oxford U. Press 1968.
- 114 - Melville Herskouit. J: The Human Factor in Changing Africa, New York 1967.
- 115 - Mercer I: Spanish Sahara – London 1976.
- 116 - Michael. Crowder: West African Resistance New York.
- 117 - Mission, Valiere: Renseignements, Sur la Setualion Politique du Cayour, Dakar 1879.
- 118 - Moilien. G: Travels to the Interior of Africa, London 1820.
- 119 - Monteil Henri: Exploratur et Soldat Paris 1937.
- 120 - Monteil P. L.: Journal De Route, Paris 1879.
- 121 - Montiret Educicoud: Le Senégal et la Gumbia Paris 1969.

- 122 - Murdock. G. P. Africa its Peoples and Their Culture History, New York 1959.
- 123 - Olver, R. and Fage J. D: Ashart History of Africa. London 1970.
- 125 - Oumar Leyti Ndiaye: Le Digolof Et Ses Borbas, Bifan, 1966.
- 126 - P. Mercier: Evolution of Senegaler Elites International Social Bullelin vol VIII 1956.
- 127 - P. Mercier: Evolution of Senegaless Elites International Social Science Bulletin vol vill 1956.
- 128 - Panikaru: Revolution in African Bombry 1961.
- 129 - Pateick Chabal: Power in Africa, London 1992.
- 130 - Pathe Diayne: Pouvoir politique Traditionale en Afrique Accidentale, Paris 1967.
- 131 - Paul Marty: Etudes Sur l, Islam au Senegal, Paris 1913.
- 132 - Paul Marty: L Emirats Des Trarzas Paris 1919.
- 133 - Paul Marty: Les Mourides D Amadou Bamba, Paris 1913.
- 136 - Perninder. J: Le Religion en Afrique Occedentare Paris 1950.
- 137 - Philippe Plamel. G: Legal Anthropology, London, 1988.
- 138 - Prichard I: Africa a Study Geography for Advanced Studies 1979.
- 139 - Purl Marty: L 'Islan en Sénégal Paris 1923.
- 141 - R. Forichon and P. Mass: Les Problènes de la Repartition Du Peuplement Au Maroc. Bulletin. Econonique et Social Du Maroc 1956.

- 143 - Regive Une Chi, The Atlas of Africa Paris 1973.
- 144 - Reter Clark. B: West Africa and Islam, London 1982.
- 145 - Retsony: Hirtoire de L'Afrique Noire Paris 1970.
- 146 - Rita. Gruise Obriem: White Society in black Africa London 1972.
- 147 - Rousseau, R: Le Village Guolof Senegal 1933.
- 149 - Samir, Amin: Modern Migrations in Western Africa Oxford 1974.
- 150 - Sanba Amar: Islam et L'histoire Du Senegal Bull d. 1 F. A. N. Dakar 1971.
- 151 - Shedon Gellar: Senegal an African Nation Between and the West African Kingdom, London 1982.
- 152 - Shilington. Kevin: History of Africa London 1995.
- 153 - Stack well, Edward Grant and Laidlau Karen Anne: Third word Development Problems and Prospeds, Chicagt Netson – all 1983.
- 154 - Taeff, E. Morrill, R. L. Gould P: Transport et Pancion in Underdevcoped Convntines a Conpasative Analysis in Geogxaphical Review, London 1963.
- 155 - The Truth About Moraco, New York, Moroccan office of Information and Documentation.
- 156 - U. N World Information: Africa Guide – New York 1962.
- 157 - U. N.: Survery of the Economic and Social Conditions in Africa New York 1975.

- 158 - Vincen Tmonleil: Le Dylof et la Bourindiaye, Dakar Oxford 1966.
- 159 - Vinece N. T: L Islamisation des Wolofs, Dakar 1 .
- 160 - Vinece N. T: The Wolof Kingdom of Kayor Oxford 1883.
- 161 - W. L. M. Machenzine: Five Elections in Africa Oxford press 1960.
- 163 - Walter, Fitzgerald: Africe New York 1961.
- 164 - Wesley Johanson: The Emergence of Black Polities in Senegal Stanford 1971.
- 165 - Yoro Diaw: Histoire Des Damels Du Cayor, San Louis 1864.
- 166 - Zerbo. J. K.: General History of Africa Mythology African Prehistory, California, 19 .

رابعاً: الدوريات العربية:

- ١ - التعاون العربي الأفريقي . منظور تاريخي . ورقة غير منشورة قدمت للجامعة العربية . ٢٠٠٣.
- ٢ - الحسن برولي: جهاد الحاج عمر العوني تال . نظرياً وتطبيقاً . مجلة الدراسات الأفريقية . العدد العشرون . القاهرة . ١٩٩٨ .
- ٣ - الطرق الصوفية الأفريقية . سلسلة ندوات جامعة محمد الخامس . معهد الدراسات الأفريقية . المغرب . الرباط . أكتوبر . ٢٠٠١ .
- ٤ - العلاقات العربية الأفريقية: دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة . مجموعة بحوث لأساتذة متخصصين بإشراف أ.د. محمد خيرى عيسى . معهد الدراسات العربية . جامعة الدول العربية . القاهرة . ١٩٧٨ .
- ٥ - المؤتمر الدولي حول الإسلام في أفريقيا . (٢٦ . ٢٧ نوفمبر) . ٢٠٠٦ .
- ٦ - المدن الصوفية في السنغال: سلسلة محاضرات رقم ٢٠ . جامعة محمد الخامس . معهد الدراسات الأفريقية . المغرب . الرباط . ٢٠٠٥ .
- ٧ - المغرب الأفريقي . مجلة متخصصة في التراث والدراسات الأفريقية عدد ٨ . جامعة محمد الخامس . معهد الدراسات الأفريقية . الرباط . ٢٠٠٧ .
- ٨ - المغرب وأفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث . سلسلة ندوات ومناظرات . جامعة محمد الخامس . معهد الدراسات الأفريقية . الرباط . ندوة دولية . أكتوبر . ١٩٩٢ .
- ٩ - الهادي صالح المثلوثي: المسيحية والإسلام في السنغال . مجلة أفريقيا المعاصرة . العدد ١٢٥ . بغداد . ١٩٨٤ .
- ١٠ - أحمد التوفيق: المجتمع المغربي في القرن ١٩ منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية . الرباط . ١٩٩٠ .
- ١١ - أحمد صادق القشيري: الجامعة الدولية لخدمة التنمية الأفريقية . إنجاز حققته الفرانكفونية . مجلة السياسة الدولية . مايو ٢٠٠١ .

- ١٢ - إجلال رأفت: الدور السياسي للإسلام في السنغال (دراسة تحليلية للطرق المريدية) . سلسلة بحوث سياسية . مركز البحوث والدراسات السياسية . كلية الإقتصاد والعلوم السياسية . جامعة القاهرة . ١٩٨٩ .
- ١٣ - إجلال رأفت: السياسة الفرنسية في أفريقيا جنوب الصحراء . السياسة الدولية . العدد ١٤٥ . ٢٠٠١ .
- ١٤ - إجلال محمود رأفت: الدور السياسي للإسلام في السنغال . دراسة تحليلية للطريقة المريدية . سلسلة بحوث سياسية . مركز البحوث والدراسات السياسية . جامعة القاهرة . ١٩٨٩ .
- ١٥ - باتريشيا لون أميرة الأمين: اليونيسيف . ١٩٩٦ .
- ١٦ - برنامج الأمم المتحدة الإنمائي . التقرير الأول عن التنمية البشرية في العالم . تقرير عام ١٩٩٤ . نيويورك ١٩٩٥ .
- ١٧ - جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (ليبيا) بالإشتراك مع جامعة أفريقيا العالمية . وزارة الإرشاد والأوقاف .
- ١٨ - صلاح سالم زرنوقة: العرب وأفريقيا . القاهرة . مركز دراسات وبحوث الدولة النامية . سلسلة قضايا التنمية . العدد ١٨ . ٢٠٠٠ .
- ١٩ - عبد العزيز السعدي: مسألة التربية والتعليم عند الحركة الوطنية في الشمال . ندوة محمد داود . الحركة الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية . ندوة تطوان . فبراير ١٩٨٩ . الرباط . ١٩٩٠ .
- ٢٠ - عبد العزيز السعدي: مسألة التربية والتعليم منذ الحركة الوطنية في الشمال . ندوة محمد داود . الحركة الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية . إتحاد كتاب المغرب . الرباط . ١٩٩٠ .
- ٢١ - عبد الله عبد الرازق: نظم الحكم الإستعمارية في غرب أفريقيا . مجلة دراسات أفريقيا . العدد ١٢ . ١٩٨٩ .
- ٢٢ - عبد الملك عودة: التنافس الدولي في أفريقيا . القاهرة . مؤسسة الأهرام . كتاب الأهرام الإقتصادي . العدد ١٠١ . يوليو ١٩٩٦ .

- ٢٣ - عز الدين فريد: ظهور الوعي الأفريقي . محاضرات الموسم الثقافي لوزارة الثقافة والإرشاد القومي عام ١٩٦٣ . القاهرة .
- ٢٤ - عنايات الطحاوي "دكتور": أفريقيا الإسلامية . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . الكتاب رقم ٥٩ . سنة ١٩٧٠ .
- ٢٥ - فاروق أباطة . دراسة تحليلية للهجرة اليمنية إلى شرق أفريقيا في النصف الأول من القرن العشرين . ندوة العرب في أفريقيا . الجذور التاريخية والواقع المعاصر . جامعة القاهرة . ١٩٨٧ .
- ٢٦ - في المغرب العربي . (المؤتمر العربي للسكان) . أبريل ١٩٩٣ . عمان .
- ٢٧ - كواليس الريف: أمريان وثورة الريف . العدد ١٣٧ . يوليو ٢٠٠٢ .
- ٢٨ - مؤتمر مستقبل الأمن الغذائي الأفريقي . (٢٤ . ٢٥ يونيو) ٢٠٠٣ . جامعة القاهرة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية . قسم الموارد الطبيعية . القاهرة . ٢٠٠٥ .
- ٢٩ - ماجدة إبراهيم عامر: النمو السكاني في أفريقيا . مقال ضمن الإحتفالية باليوبيل الذهبي لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية . المجلد الأول (الجغرافيا) . مايو . ١٩٩٧ .
- ٣٠ - محمد الأمين البزاز: جوانب من تاريخ طنجة خلال العهد الدولي . المدينة عشية زيارة محمد الخامس إليها . ندوة زيارة السلطان سيدي محمد بن يوسف لطنجة . الرباط . ١٩٨٨ .
- ٣١ - محمد الأمين فارس: واقع وآفاق الهجرة الأفريقية والعربية . الندوة الأفريقية عن الهجرة . منظمة العمل العربية بالإشتراك مع منظمة الوحدة الأفريقية . (القاهرة ٥ . ٩ ديسمبر) . ١٩٩٥ .
- ٣٢ - محمد العربي الشاويش: موقف شمال المملكة المغربية من السياسة البربرية . مجلة المقاومة وجيش التحرير . العدد ١٩ . يناير ١٩٨٨ .
- ٣٣ - محمد جلال عباس: التكاليف الإستعماري على السنغال . مجلة نهضة أفريقيا . العدد ٣٤ . القاهرة . ١٩٦٠ .

- ٣٤ - محمد حسن الوزاني: مذكرات وحياة وجهاد التاريخ السياسي للحركة الوطنية التحريرية المغربية . المجلد الثالث . مرحلة الإنطلاق والكفاح (١٩٣٠ . ١٩٣٤) . مؤسسة الوزاني . ١٩٨٤.
- ٣٥ - محمد صبحي قنصوة: قضية الهوية وأثرها على الإدراك الأفريقي للعالم العربي . ندوة العلاقات العربية الأفريقية . القاهرة . جمعية الدعوة الإسلامية العالمية . ١٩٩٨.
- ٣٦ - مصطفى كامل أحمد: الإستراتيجية العسكرية الفرنسية في أفريقيا . السياسة الدولية . ١٥ يناير ١٩٦٩.
- ٣٧ - منتدى الفكر العربي، عمان . التعددية السياسية والديموقراطية في الوطن العربي (سلسلة الحوارات العربية) تحرير وتقديم د. سعد الدين إبراهيم.
- ٣٨ - منتدى الفكر العربي، عمان . التعددية السياسية وأصولها وآفاق مستقبلها . حالة المغرب . د. محمد عابد الجابري.
- ٣٩ - نبيه الأصفهاني: أزمة نظام الحكم في المغرب . السياسة الدولية . العدد ٣٠ . السنة الثانية . أكتوبر ١٩٧٢.
- ٤٠ - ندوة قضايا التنمية والبيئة في أفريقيا . (١٨ . ١٩ نوفمبر) ٢٠٠٠ . القاهرة . جامعة القاهرة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية . قسم جغرافيا.
- ٤١ - يوسف فضل حسن: الجذور التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية . أعمال ندوة العرب وأفريقيا . مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت . ١٩٨٧ . ج ٢.

خامساً: الدوريات الأجنبية:

- 1 - Africa Encyclopaedia Britannica 1990.
- 2 - Africa Encyclopaedia Britannica 1990.
- 3 - Africa south of the Sahara, England 1981.
- 4 - David W. Ames: American Anthropologist new series, The use of a transitional cloth. Money taken among the Senegal. Vol 57, No 5 (Oct) American 1955.
- 5 - Diop, Abdoulaye Barg Fouiation d'une nouvelle nation au Senegal revue de L'Institut de sociologie No 2/3 1967.
- 6 - Documents diplomatiques Français 1971-1914 serie I janvi et 1914.
- 7 - Euncie A. Charles: The international Journal of African Historical studies, Shaikh Amadu Ba & Jihad in Senegal. Vol 8, No 3, Boston 1975.
- 8 - I. B. I. D Lands and peoples: Africa Vol I printed in the U. S. A 1980.
- 9 - James. F. Searing: The International Journal of African Historical Studies power and dependence in the Senegal 1700 – 1850 Vol, 21. No 3, Boston 1988.
- 10 - Jean Boulegue: Les Anciens Royaumes Senegal Paris 1964.
- 11 - John, Glover: The International Journal of African Historical studies, Murid Marabouts and Senegal aristocrats in Colonial Senegal. Vol 33, No 2, Boston 2000.

- 12 - La Nouvelle Revue international N 1 Jouvier 1967.
- 13 - Le chatelies L'islam dans Afrique occidentale.
- 14 - Le marco du travail Rabat ministry of labor 1958.
- 16 - Louis Mossignor: Aralzire du monde musuliman, Paris 1956.
- 17 - Lucy Behrman: African Historical studies, The political significance of the Senegal Adherence to muslim Brotherhoods in the mineteentl century, Vol 1, Boston 1968.
- 18 - Mararve: On the concept we are in Africa Journal of political science Review. 1963.
- 20 - Ministere de L'information du Senegal carte d'identité du Senegal Dakar, 1977.
- 21 - Morocco: Country study foreign area studies (the American university) edided by Herold. D. Nelson research completed. March 1978.
- 22 - Pulletin Econo Mique et Social du Moroc. March 1956.
- 24 - Revolution in Africa Bombay 1961.
- 25 - Revue Maritime et coloniale 1961.
- 26 - Rofl, Jensen: The Journal; of Economic History, The Senegal Social formation of west Africa Vol 42, No 1, 1982.
- 27 - Serageldin: Islanil and Faber off June edidars culture and development in Africa D. C. the world bank 1992.
- 28 - The Atlas of Africa, Jeune Afrique prese Africaine Associee Paris 1973.
- 29 - The Cambridge history of Africa Vol 5.

- 30 - Unido-industry an external debut in Africa. Alerlininy, Analysis and Development No. 17 wenna 1986.
- 31 - United Nations, Statistical year Book 1979/1980.
- 32 - United Nations: Hand book of International Trade and Development statistics 1983.

سادساً: الرسائل الجامعية العربية:

- ١ - المتولي السعيد أحمد: هجرة العمالة بين بعض دول غرب أفريقيا وأثرها على التنمية الاقتصادية . رسالة ماجستير غير منشورة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية بالقاهرة.
- ٢ - المعتر بالله مصطفى كامل: دراسة تحليلية لتجربة التخطيط في المغرب خلال الفترة ١٩٦٠ - ١٩٧٧ ، معهد الدراسات الأفريقية، القاهرة، ١٩٧٩ .
- ٣ - إبراهيم رمضان الرفاعي الزيايدي: تاريخ التعليم في السنغال ١٩٥٠ . ١٩٧٥ ، دراسة مقارنة للوضع في ظل الإستعمار ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة سوهاج ، كلية الآداب قسم التاريخ، ١٩٨٧ .
- ٤ - إجلال رأفت: صراع القوى السياسية في السنغال بعد الإستقلال والسياسة الفرنسية تجاه الصراع . رسالة دكتوراه في الفلسفة والعلوم السياسية . معهد البحوث والدراسات الأفريقية . ١٩٧٨ .
- ٥ - إيمان محمد علي نونو: ليوبولد سيديار سنجور والحركة الوطنية في السنغال، معهد الدراسات الأفريقية، ٢٠٠٤ .
- ٦ - رانيا حسين عبد الرحمن: السياسة الفرنسية تجاه أفريقيا بعد الحرب الباردة . رسالة ماجستير في الدراسات الأفريقية . جامعة القاهرة . معهد الدراسات والبحوث الأفريقية . ٢٠٠٥ .
- ٧ - سحر صلاح الدين عبد المتعال: الطريقة التيجانية ودورها الحضاري في منطقة سانجامبيا، معهد الدراسات الأفريقية، القاهرة، ٢٠٠٥ .
- ٨ - سلوى العطار: المقاومة ونشأة الحركة الوطنية في المغرب، كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٣ .
- ٩ - سوسن سعد الديني: الحاج عمر الفوتي التكروري ودوره في السودان الغربي . رسالة ماجستير غير منشورة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية . القاهرة ١٩٨٤ .
- ١٠ - شوقي محمد يوسف: الدور المغربي للبحرية المغربية في عهد دولتي الموابطين والموحدين، القاهرة، ١٩٩٦ .
- ١١ - عبد الله عبد الرازق: دولة سكوتو منذ عام ١٨١٧ . ١٩٠٣ رسالة دكتوراه منشورة . مكتبة الأنجلو . القاهرة ١٩٨٦ .

- ١٢ - عطا محمد شحاتة، اليهود في بلاد المغرب الأقصى، معهد البحوث الأفريقية، القاهرة، ١٩٩٧.
- ١٣ - ماهر عطية شعبان: مصر والحركة الوطنية في مراكش من الحماية إلى الإستقلال ١٩١٢ . ١٩٥٦، معهد البحوث الأفريقية، القاهرة، ١٩٨٧.
- ١٤ - محمد جمال الدين سيد: إنتشار الإسلام في غرب أفريقيا . رسالة ماجستير غير منشورة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية . القاهرة ١٩٧٤.
- ١٥ - محمد ولد سيدي محمد ولد أحمد: الإصلاح الإسلامي في غرب أفريقيا . الحركة الإصلاحية في فوتاتوا ١٧٦٦ . ١٨٣٤ . رسالة ماجستير غير منشورة . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة ٢٠٠١.
- ١٦ - محمود فريد شديد: السنغال تحت الحكم الفرنسي ١٨٨٥ . ١٩٦٠ . رسالة ماجستير غير منشورة . معهد الدراسات الأفريقية . القاهرة ١٩٧٤.
- ١٧ - نادية محمود مصطفى: سياسة دييجول الخارجية في ظل الجمهورية الخامسة . (١٩٥٨) . ١٩٦٩ . رسالة ماجستير في العلوم السياسية . جامعة القاهرة . ١٩٧٦.
- ١٨ - نصر الدين رشوان حسن: التطور التاريخي لسياسة فرنسا في غرب أفريقيا . رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر . معهد الدراسات والبحوث الأفريقية . ١٩٨٤.
- ١٩ - نوال محمد عبد العزيز: علاقات المغرب الأقصى الخارجية في عهد بن وطاس، معهد الدراسات الأفريقية، القاهرة.
- ٢٠ - هالة خير الدقاق: دور قبائل المغربين الأوسط والأقصى في حركة التجارة إبان القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي، معهد الدراسات الأفريقية، ٢٠٠٢.
- ٢١ - هدى محمود نايل: مملكة الجولون في القرن التاسع عشر (السنغال) رسالة ماجستير غير منشورة . معهد الدراسات والبحوث الأفريقية جامعة القاهرة ٢٠٠٥.

٢٢ سابعا: الرسائل الجامعية الأجنبية:

- 1 - David. Wpadinson: Abdul Bokar Kan the history of futa toro
1853-1991 PHD-Colombia University.
- 2 - Loice colnin: Kayor and it's relations sant louis in Senegal 1763-
1861 PHD. Colombia University 1972.

ثامناً: مواقع الإنترنت (Media Internet):

- 1 - Abdoulaye wede: Art and Ufe in Africa
[http: www.viowa-edu/africaart/toc.countries/senegal/html](http://www.viowa-edu/africaart/toc.countries/senegal/html)
- 2 - Maranz, Dave: Peace in every thing sic 1993
[http: www-lauwnbeacon.com](http://www-lauwnbeacon.com)

ملخص الوثائق

الوثيقة الأولى: بروتوكول ملحق للاتفاقية التجارية بين حكومة المملكة المغربية وحكومة جمهورية السنغال

الوثيقة الثانية: بروتوكول العلاقات الثقافية.

الوثيقة الثالثة: بروتوكول اجتماعي تجاري بين مراكش والسنغال

الوثيقة الرابعة: بروتوكول بالتوزيع الجغرافي للمنتجات.

الوثيقة الخامسة: الاتفاق القضائي بين المغرب والسنغال

الوثيقة السادسة: الاتفاق القضائي بين المغرب والسنغال

الوثيقة السابعة: بروتوكول اتفاقية اقتصادية بين المغرب والسنغال

الوثيقة الثامنة: بشأن تأليف الوزارة الجديدة

الوثيقة التاسعة: بشأن اجتماع اللجنة العليا للتصميم

الوثيقة العاشرة: بشأن الحالة الاقتصادية والاجتماعية